* الجمهـــوريـــة الجزائريـــة الديمقراطيـــة الشعبيـــــة *

-وزارة التعليم العالي والبحث العلمي-

جامعـــة الأميـــر عبد القادر للعلـــوم الإسلاميـــة – قسنطينـــة-

كليـــة أصول الدين والشريعـــة والحضارة الإسلاميـــة

قسم الكتاب والسنة

تخصص علوم القرآن والتفسير

الرقم الترتيبي:.....

رقم التسجيل للطالب:.....

الموضـــــــــوع

الوحدة الموضوعية للسورة القرآنية عند الشيخ محمود شلتوت من خلال تفسيره -تفسير القرآن الكريم- الأجزاء العشرة الأولى

إعـــــداد الطالب:

محـــي الدين بن عمـــــار

إشراف الأستاذ الدكتور

منصـــور كـــافي

بحث مكمل مقدم لنيل شهادة الماجستير في الكتاب والسنة

أعضاء لجنة المناقشة

الاسم و اللقب	الرتبة	الجامعة الأصلية	الصفة
د رمضان يخلف	أستاذ محاضر	جامعة الأمير عبد القادر	رئيسا
د منصور كافي	أستاذ محاضر	جامعة باتنة	مشرفا و مقررا
د هلال خزاري	أستاذ محاضر	جامعة الأمير عبد القادر	عضوا مناقشا
د صونيا وافق	أستاذ محاضر	جامعة الأمير عبد القادر	عضوا مناقشا

السنـــة الجامعيـــة: 2008/2007م – 1428/1427هـ

نوقشت في : 02 صفر 1429 الموافق لـ 10 فيفري 2008

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

إهـــــداء

إلى روح الوالدين الكريمين الطاهرين، الذان سهرا على تربيتي، وتعبا من أجل راحتي، وشقيا من أجل تفوقي العلمي والمعرفي، ولم يقدّر الله لهما أن يعيشا ليجنيا ثمرة جهـــودهما .

إلى إخواني وأخواتي: يحي وصابر وعبد السلام وصورية وسميرة وصباح، إلى خالي كمال وزوج أختي النوار وأبنائه الذين شجعوني على السير قدما في إنجاز هذا البحث .

إلى أصدقائي: محمد وفريد وخالد وعبد الرحيم وعدنان ولطفي وعصام وهشام ورياض ومصطفى الذين أشعروني بلذة الجد والمثابرة .

إلى كل من استلهم القرآن الكريم نورا ومنهاجا ودستور حياة ودعوة إلى مكارم الأخلاق ومعالي الفضائل .

أهدي إليـــهم باكورة هذا العمـــــل الجديد . . .

محي الدين

شكـــر و تقـــدير

بعد شكر الله تعالى وحمده والثناء عليه بما هو أهل له، أتقدم بالشكر الجزيل إلى الأستاذ المشرف الدكتور منصور كافي الذي لم يبخل عليّ بنصائحه وتوجيهاته وملاحظاته القيمة؛ والذي لا أستطيع أن أجازيه إلا بالدعاء له أن يطيل الله في عمره، وأن يبارك في عمله وجهده ووقته.

والشكر موصول أيضا للدكاترة الأفاضل: عبد الحي الفرماوي، هلال خزاري، صونيا وافق، حسين شرفة، وأبوبكر كافي على ما أبدوه لي من نصائح وتوجيهات علمية ومنهجية.

وإن كنت أنسى شيئا فلا أنس كلية الكتاب والسنة، فإلى عميدها ورئيس قسمها فيها وأساتذتي مزيد العرفان والشكر.

محي الدين

شكـــر و تقـــدير

بعد شكر الله تعالى وحمده والثناء عليه بما هو أهل له، أتقدم بالشكر الجزيل إلى الأستاذ المشرف الدكتور منصور كافي الذي لم يبخل عليّ بنصائحه وتوجيهاته وملاحظاته القيمة؛ والذي لا أستطيع أن أجازيه إلا بالدعاء له أن يطيل الله في عمره، وأن يبارك في عمله وجهده ووقته.

والشكر موصول أيضا للدكاترة الأفاضل: عبد الحي الفرماوي، هلال خزاري، صونيا وافق، حسين شرفة، وأبوبكر كافي على ما أبدوه لي من نصائح وتوجيهات علمية ومنهجية.

وإن كنت أنسى شيئا فلا أنس كلية الكتاب والسنة، فإلى عميدها ورئيس قسمها فيها وأساتذتي مزيد العرفان والشكر.

محي الدين

مقدمة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الحمد لله منزل خير كتاب، والصلاة والسلام على من كان خلقه القرآن ،وعلى آله وصحبه والتابعين أهل القرآن والإيمان، وعلى من سلك القرآن إلى يوم الحساب، أما بعد:

فمما لا شك فيه أن القرآن العظيم هو المعجزة الإلهية العظمى،والحجة الربانية الخالدة، تعددت وجوه إعجازه فما استطاع العلماء حصرها ولا عدها؛ وإن من وجوه إعجازه وفاؤه لحاجات البشر وصلاحيته لكل زمان ومكان ، طولا وعرضا وعمقا ؛ إذ من المتعارف عليه أن النصوص محدودة ، وأن الحوادث غير متناهية، والأفكار والوقائع متجددة، تجدد الزمان، وتغير المكان، واختلاف الأشخاص، وقد تعددت المناهج التفسيرية في استجلاء هذا الوجه الإعجازي، فكانت غير وافية لكل متطلباته؛ لا لشيء سوى أنها وليدة زمانها، لم تتعد أفق رؤيتها، مما استدعي إلى استحداث منهج جديد يسد هذه الحاجة، ويلبي مستحدثات العصر بما يمدها به من هدايات ربانية ويعالجها به من أدوية إلهية، وينقذها به من حياة الضنك والشقاوة التي تعاني البشرية –اليوم– مرارتها نتيجة ابتعادها عن مصدر قوتها، واستغنائها عن دستور حياتها؛ القرآن الكريم، وهذا المنهج هو منهج التفسير الموضوعي؛ والذي يستشف الهدايات الإيمانية بما يستنطقه من دلالات النص المطلقة؛ تحقيقا لغاية الإنسان العظمى في هذه الحياة الدنيا، وهي العبادة لله رب العالمين، وتعميرا في هذه الأرض وفق منهج الاستخلاف؛ وذلك كله انطلاقا من النظرة الكلية الشاملة لحقائق القرآن.

ولقد اتخذ التفسير الموضوعي في ذلك ثلاثة ألوان هي:

الأول: المصطلح القرآني والذي يهتم بالمفردات القرآنية، وتتبع تصاريف اشتقاقها في القرآن الكريم.

الثاني: الموضوع القرآني والذي يهتم بتتبع المعنى الواحد المبثوث في سور القرآن الكريم ، وليسا هاذين محل بحثنا .

الثالث: السورة القرآنية: والتي ينصب اهتمام المفسر من خلالها على الكشف عن وحدة الموضوع بهذه السورة، والتعرف عليها كوحدة متماسكة، مقاطعها وعناصرها، مترابطة فيما بينها ترابط الحبات في خيط السبحة؛ ولا شك أن وحدة الموضوع هي لب التفسير الموضوعي للسورة وقلبه، وبها تستشف كل المعاني الهدائية لسور القرآن الكريم، ولقد كان الشيخ محمود شلتوت أحد علمائنا المعاصرين من القلائل المهتمين بهذه المسألة الجوهرية في عصره؛ وذلك في تفسيره "تفسير القرآن الكريم "، ولذا ارتأيت أن أبسط هذه الدراسة حول نظرته إلى هذه المسألة، في بحث موسوم بـ

"الوحدة الموضوعية للسورة القرآنية عند الشيخ محمود شلتوت من خلال تفسيره (تفسير القرآن الكريم.)".

1- أهمـــية الموضـــوع: وتتمثل أهميته في الآتي :

1-ما لهذا المنهج التفسيري من الأهمية البالغة في الوفاء بحاجات البشر، زمانا، ومكانا.

2- إيفاء هذا المنهج حقه، بل والمساهمة بلبنة من لبناته في إطار تكوين رؤية كاملة متكاملة له كغيره من المناهج الأخرى التي يبدو أنها قد أوفيت حقها من الدراسة والبحث والتأليف.

3-المساهمة في التأصيل لهذا المنهج، وتجلية بعض جوانبه.

4-المساهمة في سد فجوة في المكتبة الجامعية؛ وذلك بما يؤصل، ويكتب في موضوع "الوحدة الموضوعية"؛ لا لشيء سوى أن هذا الموضوع بالذات لا يزال بكورا في مجاله.

2- إشـــكالية البـــحث:

لاشك أن هذا المنهج القرآني في ترابط، وتناسق، وترتيب الآيات والموضوعات مدعاة للتساؤل عن سر ترتيب القرآن على ما هو في المصحف الشريف خلافا لترتيب النزول؟وما الداعي إلى الجمع بين آيات وسور نزلت تبعا للحوادث المختلفة مع الفاصل الزمني؟ هل الترتيب النزولي عامل مهم ووحيد في بلورة الوحدة الموضوعية، وفي استخراج النظرية القرآنية ؟ أم أن الترتيب المصحفي لا يقل أهمية عن سابقه – الترتيب النزولي- ؟ وأيهما أوفق في التفسير الموضوعي وأكمل؟ ما هي أصلا الوحدة الموضوعية؟ وهل يشترط وجودها على تماسك آيات القرآن وسوره وانسجامها؟ كيف نلتمسها ؟ وما هي معالمها؟ هل هي ثابتة معلومة لدى أدنى نظر؟ أم هي نسبية حسب اختلاف أفهام المفسرين؟ لماذا هذا التآلف بين موضوعات لسورة واحدة ؟ أيدل ذلك على وحدة الموضوع أم تعدده؟ هل يمكن أن تتواجد عدة موضوعات لسورة واحدة ؟ أم أنه يشترط تواجد موضوع واحد يربط بينه وبين مقاطع السورة خيوط وأسرار دقيقة؟ هل يمكن أن تحتوي السورة الواحدة على موضوع متكامل؟ أم أن ذلك يستقصي سورا عديدة؟ كل هذا –طبعا –وفق فكر الشيخ محمود شلتوت –رحمه الله- في تفسيره "تفسير القرآن الكريم"؟ ثم هل كان الشيخ يباشر العملية التفسيرية وفق نمط منهج التفسير الموضوعي؟ وهل كان واعيا له ومدركا لألوانه ومناهجه؟ فضلا عن أن يكون من الرواد الأوائل في تأسيسه؟.

إذا كان ذلك كذلك هل في مؤلفاته العلمية ما يدل على ذلك؟ هل يلتزم الشيخ منهج التفسير الموضوعي للسورة؟ أم أنه يستعين بمناهج أخرى داخل السورة؟ وهل وفق الشيخ في إيضاح الوحدة الموضوعية للسورة القرآنية بصورة واضحة وجلية؟ وإذا كان قد وفق، ما هي معالم وملامح

الوحدة الموضوعية عنده؟ وفيم تتحقق؟ وما هي عناصرها ومسمياتها عنده؟ وهل يمكن أن نقول: إن الشيخ قد أتى بالجديد في هذا المجال بم لم يأت به غيره.

3- أسبـــاب اختـــيار الموضـــوع: فقد دفعني لاختيار الموضوع عدة أسباب ، تتنوع إلى:

أ- شخصية: ميولي وتعلقي بشخصية الإمام محمود شلتوت –رحمه الله-؛ خاصة وأنه لم يول الاهتمام الكافي –حسب علمي- في الدراسات القرآنية التخصصية؛ فَعَلَمٌ كالشيخ شلتوت جدير بالدراسة والتنقيب عن فكره القرآني ؛ بغية أن تستفيد الأمة الإسلامية من تجربة قرآنية جديدة خاصة في مجال الإصـــلاح ؛ ولا أدل على ذلك أن رواد الإصـــلاح المشهورين كمحمد عبده ، وجمال الديـــن الأفغاني ، ومحمد رشيد رضا، وغيرهم قد أولوا بالدراسات العلمية التخصصية حول فكرهم القرآني ، أما الشيخ شلتوت فيبدو لي أنه **جوهرة قرآنية** لم تكشف كل أبعادها العلمية حتى الآن.

ب- موضـــوعية:

ب-1- جدة الموضوع وقلة العناية به.

ب- 2-كون الموضوع لم يتناول في رسائل علمية أكاديمية –الوحدة الموضوعية بالخصوص –إلا ما كان من الأستاذ محمود حجازي "الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم"، والتي نال بها درجة الدكتوراه، وما كتب في التفسير الموضوعي للسورة القرآنية لا يعدو أن يكون سوى دراسات تطبيقية لا تعالج هذه القضية بشكل عميق.

ب-3- رغبتي المتواضعة في خدمة كتاب الله؛ خاصة في هذا المنهج المعاصر؛ منهج التفسير الموضوعي.

ب-4- يعتبر تفسير الشيخ محمود شلتوت من أهم التفاسير المعاصرة التي ركزت على جانب الإصلاح والدعوة إلى الله بكشف الهدايات القرآنية ، وهذا ما يتوافق مع روح التفسير الموضوعي.

4- أهـــداف البـــحث: ويمكن حصرها فيما يلي:

أ - الكشف عن بنية الوحدة الموضوعية، وإسكات المستشرقين وأذنابهم القائلين بأن سور القرآن الكريم تشمل عناصر لا رابط بينها ولا انسجام.

ب- استقطاب الباحثين إلى هذا المنهج، وإلى هذا التخصص في هذا المجال؛ لتدبر القرآن الكريم وفق نظرة كلية للكشف عن هداياته وثمراته الإيمانية.

جـــ- السعي إلى تمتين المرجعية الإسلامية ؛ وذلك بربط المسلمين بعلمائهم ومفسريهم؛ **فبهم يتفيؤ** الناس ظلال الإيمان ، ويتنعمون بهداياته.

د- التأكيد على وجه من وجوه الإعجاز القرآني، وهو تماسك نظمه وتناسق سوره وآياته.

هـ- الاستزادة من العلم والسعي في توسيع المعارف، والمساهمة في واقعيتها.

و- التعريف بهذا التفسير ، والكشف عن حقيقة رجل قد طمر اسمه في ترابه فلم يظهر.

5- الدراسات السابقة في الموضوع.

هذا و لم أعثر – حسب علمي – على دراسة خاصة لهذا الموضوع ، وبنفس هذا العنوان ، وأما عن منهج الشيخ شلتوت في تفسيره ، فقد عثرت في ذلك على رسالة دكتوراه من جامعة الأزهر الشريف للأستاذ عبد العزيز عزت عبد الحكيم محمود ، بعنوان " الشيخ شلتوت ومنهجه في التفسير" ؛ نُوقشت في جامعة الأزهر سنة 1989م ، و إنصافا ، ومن باب الأمانة العلمية أقول : لا شك أنني استفدت استفادة كبيرة من هذه الرسالة ؛ من حيث التطرق إلى منهج الشيخ شلتوت في تفسيره ؛وفي استقصاء بعض جزئيات حياته التي لم أستطع الحصول عليها من خلال الكتب المتوفرة بين يديّ.

ومن باب الإنصاف أقول أيضا : أن الأستاذ الفاضل خص بحثه بالحديث عن منهج الشيخ شلتوت التحليلي فقط ، والاستفاضة في ذكر مميزات تفسيره العامة ، وأما عن المنهج الموضوعي لتفسير الشيخ شلتوت ، فلم يتطرق إليه الأستاذ الفاضل البتة ، كما أنه – ومن خلال المنهج التحليلي- كانت دراسته مستفيضة في ذلك ، لم تقتصر على منهج الشيخ شلتوت في تفسيره فقط ؛ بل شملت كل مؤلفاته العلمية ؛ مما يؤكد أن دراسة الأستاذ هي أقرب لمنهج الشيخ الفكري العام منها إلى منهجه التفسيري ؛ وذلك راجع إلى أن فكر الشيخ شلتوت هو فكر قرآني كما أكد الأستاذ عبد العزيز نفسه ذلك في ثنايا رسالته (ص: 214) ، ولذلك استفاض واستطرد النقولات لما ورد في كتب الشيخ شلتوت في ذلك ، وأشار بذلك إلى مفردات جديدة في منهج الشيخ شلتوت لم توجد في تفسيره ؛كالحديث عن منهج الشيخ شلتوت في مسألة زيادة الحروف في القرآن الكريم،وكان استغراقه في هذا سببا في كبر حجم رسالته ؛حيث تجاوزت التسعمائة صفحة .

وأما موضوع الوحدة الموضوعية في تفسير الشيخ شلتوت ، فلم يدرسه دراسة علمية ؛ وإنما أشار إليه إشارة محتشمة موجزة لم تتعد ست صفحات (من ص:301 إلى ص:306) من رسالته الضخمة الكبيرة (950ص) ؛ فلا شك أن لا تعد هذه الإشارة دراسة علمية أكاديمية ، ثم إنه كان من المعترضين على تحقق الوحدة الموضوعية في تفسير الشيخ شلتوت ، وكان محتشما في ذكر ذلك ،وغير مستفيض الأدلة على ما ذهب إليه من خلال هذه الصفيحات التي تعد على الأصابع ؛ وعلى

كل فقد تبنى هذا البحث خلاف ما ذهب إليه؛ وذلك في المبحث الأول من الفصل الأخير أثناء الحديث عن أنواع الوحدة في تفسير الشيخ شلتوت (ص185 وما بعدها من هذه الرسالة).

و من الدراسات السابقة في ذلك – ولو بنحو ما- رسالة المرحوم محمد حجازي : الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم ، وقد استفدت منها هي الأخرى ، واعتمدتها من مصادر البحث الأساسية المذكورة في فهرس المصادر والمراجع ؛ غير أنه ما تجب الإشارة إليه هنا: أن الأستاذ أشار إلى الوحـــدة الموضوعية ، ولكن ليس إلى كل وجوهها التناسبية ،والتاريخية،والبنيوية ،و لم يتناولها بمفهومها الواضح الآن ، وقد كانت معظم رسالته دراسة تطبيقية لبعض السور القرآنية ، ولبعض الموضوعات القرآنية ؛ توصل – من خلالها – إلى تماسك سور القرآن الكريم.

كما استفدت من بعض الدراسات الأخرى ؛ كرسالة الطالبة جميلة موجاري " نظرية الوحدة القرآنية عند سعيد حوى " ؛ ونظرية الوحدة القرآنية عند سعيد حوى بخلاف الوحدة الموضوعية لكل سورة من سور القرآن الكريم ؛ إنما ترتكز نظريته على أن كل السور القرآنية تابعة ، ومفصلة للوحدة القرآنية العامة التي تضمنتها سورة البقرة ؛ والتي جمعت كل معاني سورة الفاتحة ، وذلك حسب نظريته المعروفة.

6- منهـــج البـــحث وخطته : ويمكن تحديد خطوات المنهج الذي سلكته في البحث وخطته فيما يلي :

أولا: المنهـــج :

أ- المنهج الاستقرائي: من خلال استقراء الآيات والسور القرآنية الخاصة بالموضوع نفسه، وكذلك استقراء آراء المفسرين لنفس الموضوع والطرح.

ب- المنهج الوصفي التحليلي: ويتعلق بتحليل أقوال ورؤى الشيخ التفسيرية ؛ وذلك بشرح ما أصله وما طرحه في تفسيره.

ج- المنهج الاستنباطي: وهذا لا يقل أهمية عن سابقه؛ فيه تستنتج التحليلات لتبين صدق فرضية قيام الوحدة الموضوعية في السورة.

ثانيا : خطة البحث :

نظرا لطبيعة البحث وخصوصياته، فقد قسمته إلى مدخل و مقدمة وبابين كبيرين وخاتمة ،كما يلي :

مقدمة : وقد دونت فيها أسباب اختيار الموضوع ، و إشكاليته ، وأهميته ، وأهدافه ، والصعوبات العلمية التي صادفتها و اعترضتني في إنجاز هذا البحث

أما الباب الأول: فكان للحديث عن أهم معالم حياة الشيخ محمود شلتوت وسيرته العلمية،كما تضمّن الحديث عن الجانب النظري للوحدة الموضوعية في القرآن الكريم ؛ وذلك لأنواع التفسير الموضوعي الثلاثة: المصطلح القرآني ، والموضوع القرآني ، والسورة القرآنية ؛ والتي تناولتها كمدخل عام لهذا البحث ، وكانت الدراسة – من خلاله – منصبة على كشف حقيقية الوحدة الموضوعية وبنيتها في القرآن الكريم ، والتركيز على ما يحققها بصورة واضحة من العوامل المهمة في تحقيق ذلك ، فكان الباب الأول مقسما إلى فصلين كبيرين:

الفصل الأول: سيرة الشيخ محمود شلتوت ، ومكانته و مؤلفاته العلمية .

الفصل الثاني: الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم.

وأما الباب الثاني فكان للحديث عن منهج الشيخ شلتوت العام في تفسيره ؛ التحليلي و الموضوعي ، ثم تخصيص ذلك بالحديث عن منهجه الخاص في تحقيق الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم ، و بيان الملامح العامة لذلك ، وذلك – طبعا – من خلال تفسيره الموسوم ب " تفسير القرآن الكريم " ؛ فكان هذا الباب مقسما هو الأخر إلى فصلين كبيرين :

الفصل الأول : منهج الشيخ محمود شلتوت في تفسيره ، وخصائص هذا التفسير.

الفصل الثاني : الوحدة الموضوعية للسورة القرآنية عند الشيخ محمود شلتوت من خلال تفسيره .

وتحت كل فصل مجموعة من المباحث ، والمطالب ، و الفروع ، هي مذكورة في فهرس الموضوعات.

ثم أنهيت ذلك بخاتمة توصلت فيها إلى أهم النتائج، والمسجلة في مظانها من الرسالة.

هذا ومما تجب الإشارة إليه أن دراسة الوحدة الموضوعية لم تقتصر فقط على الفصل الأخير ؛ بل إن ذلك يعد دراسة تطبيقية للوحدة الموضوعية في تفسيره ، وأما الجانب النظري لها ، فقد تطرقت إليه في الفصل الثاني من الباب الأول (ص:44 وما بعدها من هذه الرسالة).

وفي نهاية المطاف ذكرت المصادر والمراجع التي رجعت إليها ، كما ذيلت الرسالة بفهارس للآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية ، والأعلام ، ومحتوى لموضوعات الرسالة.

7- الطريقة المعتمدة في كتابة الرسالة :

بعد أن قسمت البحث إلى بابين ، وتحت كل باب مجموعة من الفصول والمباحث ، فإنني كننت حريصا – خلال كتابة البحث- على الأمور التالية :

أ- ترقيم جميع الآيات الواردة في البحث ، وذلك بذكر اسم السورة ورقم الآية.

ب- تخريج الأحاديث الواردة فيه ، وذلك بعزوها لمصادرها الأصلية قدر الإمكان.

جـ- رجعت في كل علم أو فن تعرضت له الرسالة إلى كتب ذلك العلم أو الفن ذاتها ، و لم أكتف بما تنقل الكتب الأخرى عنها إلا حين يتعذر عليّ الرجوع إليها.

د- حاولت الالتزام بالتوازن التام في تقسيم أبواب الرسالة ، إلا أن المادة العلمية فرضت التقسيم الذي هو عليه ، مما نتج عنه عدم التطابق في صفحات كل باب ، وكل فصل.

هـ- أنني لا أترّجم لكل الأعلام الواردة أسماؤهم في ثنايا البحث ؛ فلا أترّجم مثلا لمحمد عبده ، ولا لغيره من الأعلام المشهورين ، والمتداولَين على الساحة العلمية ؛ وإنما أخص ذلك للأعلام المطمورين ؛ الذين لم يشتهروا كما اشتهر غيرهم ؛ والذين لهم -أيضا- صلة علمية و معيشية بحياة الشيخ محمود شلتوت ، فليعذرني كل من لم يجد تراجم كل الأعلام الواردة أسماؤهم ضمن البحث ؛ لأن تقصي كل ذلك - في نظري- يزيد من حجم الرسالة ، ويحيلها إلى كتاب تراجم ، وهذا يستحيل مع كثرة الأعلام المضمّنين ضمن ثنايا الرسالة .

و- أنّي اتبعت في وضع فهرس الأعلام الترتيب المنهجي الذي اعتمدته في التهميش لهم في متن الرسالة ؛ من حيث أني أبتدئ بذكر الأسماء أولا ، ثم أُتبعها بذكر المؤلفات ، ثم باقي المعلومات ، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى ؛ فإنّي أسبّق ذكر الأسماء على ذكر الألقاب والكنى ؛ وذلك تناسبا مع الترتيب الداخلي في الرسالة.

8- المصـــادر والمـــراجع .

وأما مصادر هذا البحث ومراجعه ، فكثيرة ومتنوعة ؛حسب مجالاتها المنسوبة إليها ؛ فبالإضافة إلى مؤلفات الشيخ شلتوت ، هناك التفاسير القديمة منها كتفسير الرازي والحديثة كتفسير سيد قطب ، وكتب علوم القرآن كالبرهان للزركشي ،والدراسات القرآنية المتخصصة ككتب عبد الحميد طهماز القرآنية ، والمعاجم اللغوية كاللسان ومعجم مقاييس اللغة، والمعاجم التخصصية كالمعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، إضافة إلى كتب عامة استفدنا منها في تحليل موضوعات السور القرآنية ،وكان للمجلات العلمية ،والدوريات ، و شبـــكة الإنتـــرنت حضورها القوي في ثنايا هذه الرسالة.

9- الرموز المستعملة .

- القوسان المزخرفان للآيات القرآنية ﴿ ﴾ ، و( ) للكلام التوضيحي داخل النصوص المنقولة.
- كلام المؤلف مثلا أضعه بين القوسين «».
- ط : تعني طبعة.
- ن : تعني نشر.
- د.ت : دون تاريخ الطبع.

- د.م : دون مكان النشر.

10- صعـــوبات البـــحث.

و لم تصادفني صعوبات كثيرة تذكر من خلال هذه الرسالة إلا ما كان من جدة الموضوع الذي أبحث فيه ، وعنه ؛ ذلك أنني لم أجد دراســة علمــية أكاديمــية في هــذا الموضوع (الوحدة الموضوعية للسورة القرآنية عند الشيخ محمود شلتوت) ؛ بل إن الــذي وجــدته عكس ما أبغي أصلا ؛ ينفي الوحدة عند الشيخ ، كما كان من الأستاذ عبد العزيز عزت عبد الحكيم محمود ، والأستاذ زياد الدغامين ؛ مما صعّب عليّ الأمر في الرد عليهما ؛ خاصــة وأني تذوقت الوحدة في تفسير الشيخ شلتوت بعقلي ، ووجداني ، وعشت مع تفسيره طويلا ؛ الأمر الذي حثني عــلى الاستمرار قدما في تحقيق رغبتي العلمية؛ التي آمنت بها منذ أن قرأت هذا التفسير القيّم .

ثم إن ذلك قد أعياني الحصول على بعض المصادر والمراجع ، وبعض الدراسات العلمية ؛ لو لا أن أستاذي المشرف الفاضل – بعد فضل الله وحده- نفعني ببعضها ، كما تجشمت وعثاء السفر إلى الأزهر الشريف ، والاستفادة من توجيهات بعض العلماء الأفاضل هناك في الحصول على البعض الأخر ، فلهم كلهم – وممن لم أذكرهم – مني جزيل الشكر والتقدير.

وختاما ، لا يسعني إلا أن أتقدم بجزيل الشكر لأستاذي المشرف الأستاذ الدكتور منصور كافي على ما قدمه من توجيهات و توصيات قيمة ؛ والتي نفعتني كثيرا في إنجاز هذا البحث المتواضع.

كما أشكر كل من ساعدني من قريب أو من بعيد ، من أجل أن يرى هذا البحث النور ، ويخرج للوجود في صورته التي هو عليها الآن.

وفي الختام : إني لأتضرع إلى الله تعالى بالدعاء أن ينفع بهذا الجهد المتواضع ، وأن يجعله باكورة خير لجهود علمية لاحقة ، وأن يغفر لنا ما فيه من هنات ، أو ما قد يشوبه من نقص أو خلل .

والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل ، و به الاستعانة وعليه التكلان ، وصل اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية "قسنطينة"

كلية أصول الدين والشريعة والحضارة الإسلامية — قسم الشريعة والقانون

الرقم التسلسلي: ..... — دراسات عليا —

رقم التسجيل..... تخصص أحوال شخصية

16/5/37

البصمة الوراثية وأثرها في إثبات ونفي النسب

دراسة مقارنة في الفقه الإسلامي والقانون الجزائري

مذكرة مقدمة لنيل درجة الماجستير في الشريعة والقانون

إعداد الطالب:

مصطفى مناصرية

إشراف الدكتور:

عبد القادر جدي

لجنة المناقشة:

أعضاء اللجنة	الرتبة	الجامعة الأصلية	الصفة
د/ كمال لدرع	أستاذ محاضر	جامعة الأمير عبد القادر	رئيسا
د/ عبد القادر جدي	أستاذ محاضر	جامعة الأمير عبد القادر	مشرفا ومقررا
د/ عبد الكريم عثماني	أستاذ محاضر	كلية الطب/ جامعة منتوري	عضوا مناقشا
د/ محمد زعموش	أستاذ محاضر	جامعة منتوري- قسنطينة-	عضوا مناقشا
د/ نوار بن الشلي	أستاذ محاضر	جامعة الأمير عبد القادر	عضوا مناقشا

السنة الجامعية: 1428-1429هـ/2007-2008م

لا شك أن التفسير الموضوعي علم شريف؛ لأن شرف العلـــم من شرف المعلـــوم كما يقال، وهذا النوع من التفسير حديث النشأة، وله علاقة وطيدة بالوحدة الموضوعية؛ لأنها متضمنة فيه، ولذا ارتأيت التعريف بهذا النوع تعريفا موجزا حسب العناصر الآتية:

المطلب الأول:تعريف التفسير الموضوعي:

أولا–تعريف التفسير:

أ–في اللغة: قال ابن فارس:«فسر، الفاء والسين والراء كلمة واحدة تدل على بيان الشيء وإيضاحه»[1].

وقال ابن منظور: «فسر الشيء يفسره بالكسر، ويفسره بالضم فسرا، وفسره: أبانه، والفسر: كشف المغطى، والتفسير كشف المراد عن اللفظ المشكل...» [2].

والتفسير لغة: «مصدر فسّر، بتشديد السين، الذي هو مضعف فَسَرَ بالتخفيف الذي مصدره الفسر، وكلاهما فعل متعد، وهما: بمعنى الاستبانة والكشف»[3].

وقد ذكر السيوطي «بأن التفسير على وزن "تفعيل"، من الفسر، وهو: البيان والكشف، ويقال هو مقلوب السفر، كقول أسفر الصبح إذا أضاء...» [4].

فمن كل هذا وغيره، نستنتج أن التفسير في اللغة هو: الاستبانة ، والكشف، والإبانة، وإزالة اللبس والخفاء.

ب– في الاصطلاح : سنعرض لأقوال العلماء في التعريف الاصطلاحي للتفسير، ثم لخلاصة لها في تعريف جامع.

عرّفه أبوحيان بقوله : «هو علم يبحث عن كيفية النطق بألفاظ القرآن ومدلولاتها، وأحكامها الإفرادية والتركيبية، ومعانيها التي تحمل عليها حالة التركيب، و تتمات لذلك»[5].

وعرّفه الزركشي بقوله : «هو علم يعرف به فهم كتاب الله المنزّل على نبيه محمد ﷺ وبيان معانيه، واستخراج أحكامه وحكمه»[6].

---

[1]– أحمد بن فارس: معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، ط3 ، مصر ، مكتبة الخانجي، 1991م، 504/4.

[2]– ابن منظور: لسان العرب، القاهرة ، دار المعارف، 4/ 3412.

[3]– أبو حيان الأندلسي: البحر المحيط، ط 2 ، القاهرة ، دار الفكر ، 1983م، 9/1، 121.

[4]– جلال السيوطي: إتقان في علوم القرآن ، بيروت ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، 173/2.

[5]– أبو حيان: البحر المحيط، مصدر سابق، 121/1.

[6]– الزركشي: البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط2، دار المعرفة للطباعة والنشر، 1972م، 13/1.

جامعة الأمير سطام بن عبد العزيز

وقد ذكر أبو البقاء تعريفا اصطلاحيا للتفسير أقرب ما يكون لتعريف أبي حيان الأندلسي، ولعله قد أخذ ذلك عنه[7].

وعرفه ابن عاشور بقوله: «هو اسم للعلم الباحث عن بيان معاني ألفاظ القرآن، وما يستفاد منها باختصار أو توسع»[8].

وبجمع هذه الأقوال، نصل إلى أن التفسير: هو علم يبحث عن مراد الله بقدر الطاقة البشرية، بهدف فهم المعنى، وبيان أحكامه وحكمه الإفرادية والتركيبية، سواء كان ذلك باختصار أو توسع.

ثانيا-تعريف الموضوعي:

أ-الموضوعي لغة: قال ابن فارس: «"وضع"، الواو والضاد والعين: أصل واحد يدل على الخفض للشيء وحطه، يقال: وضعته بالأرض وضعا، ووضعت المرأة ولدها، والوضائع: قوم ينقلون من أرض إلى يسكنون بها، والوضيع: الرجل الدني»[9].

وقال الراغب الأصفهاني: «الموضوعي نسبة إلى الموضوع، والموضوع مشتق من الوضع، وأصله من "وَضَعَ"، وهو أعم من الحط، ومنه الموضع، قال تعالى: ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾[10]، ويقال: وضعت الحمل فهو موضوع، قال تعالى: ﴿وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ﴾[11]، وقال: ﴿وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ﴾[12]، فهذا الوضع عبارة عن الإيجاد والخلق...»[13].

وأما السمين الحلبي فقد تحدث عن "وضع"، بعدة معاني منها: «أحططنا وأسقطنا... قال بعضهم: والوضع أعم من الحط، ومنها الموضع، ومنها الإيجاد، ومنها البناء والاتخاذ..»[14].

وبالنظر في التعاريف السابقة ندرك أن مادة "وضع" استعملت بعدة معان منها القريب ومنها البعيد، وبالنظر إلى الاستعمال القرآني لها نجد المعاني الممدوحة كالأكواب الموضوعة في الجنة، كما

---

(7)- أبو البقاء الكفوي: الكليات، مؤسسة الرسالة، 1993م، ص:260.

(8)- محمد الظاهر بن عاشور: التحرير والتنوير، دار سحنون، 1997م، 11/1.

(9)- أحمد بن فارس: معجم مقاييس اللغة، مصدر سابق، 117/6.

(10)- سورة النساء، الآية: 46، وسورة المائدة، الآية: 13.

(11)- سورة الغاشية، الآية: 14.

(12)- سورة الرحمن، الآية: 10.

(13)- الراغب الأصفهاني: المفردات في غريب القرآن، تحقيق محمد خليل عيتاني، ط4، دار المعرفة، بيروت، 2005م، ص:540-541.

(14)- السمين الحلبي: عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، تحقيق: محمد التونجي، ط1 ، عالم الكتب ، 1993م، 367/4.

نجد لها معاني أخرى كالبناء ومنه: وضع الكعبة ؛أي : بناها وغير ذلك.

وأما عن علاقة "الموضوعي" بالتفسير، فقد تحدث عن ذلك عبد الستار فتح الله سعيد وذكر كلاما طيبا؛ حيث قال: «وقد رجعت إلى القرآن الكريم فوجدت من معانيها: إيجاب الشيء وإثباته في المكان، مثل: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ﴾[15]، فيكون وصف التفسير "بالموضوعي" ملحوظا فيه هذا المعنى، لأن المفسر يثبت كل آية في موضعها من المعنى الكلي للقضية التي يبحثها...» [16].

ب–اصطلاحا: لدينا تعاريف عديدة:

قال أبو البقاء: «الموضوع هو عبارة عن المبحوث بالعلم عن أغراضه الذاتية»[17].

و قال عبد الستار سعيد: «الموضوع: القضية التي تعددت أساليبها وأماكنها في القرآن، ولها جهة واحدة تجمعها عن طريق المعنى الواحد، أو الغاية الواحدة»[18].

وقال مصطفى مسلم: «هو قضية أو أمر متعلق بجانب من جوانب الحياة في العقيدة، أو السلوك الاجتماعي، أو مظاهر الكون تعرضت لها آيات القرآن الكريم»[19].

ثالثا–تعريف التفسير الموضوعي: سنقتصر على أهم التعاريف:

عرّفه عبد الحي الفرماوي بقوله: «جمع الآيات القرآنية ذات الهدف الواحد، التي اشتركت في موضوع ما، وترتيبها حسب النزول –ما أمكن ذلك–، مع الوقوف على أسباب نزولها، ثم تناولها بالشرح والبيان والتعليق والاستنباط، وإفرادها بالدرس المنهجي الموضوعي، الذي يجليها من جميع نواحيها وجهاتها، ووزنها بميزان العلم الصحيح، الذي يبين الباحث معه الموضوع على حقيقته، ويجعله يدرك هدفه بيسر وسهولة ويسر، ويحيط به إحاطة تامة...» [20].

وهذا التعريف يغلب عليه الشرح والتوضيح للموضوع القرآني فقط.

وعرّفه عبد الستار سعيد بقوله: «هو علم يبحث في قضايا القرآن الكريم المتحدة معنى أو غاية، عن طريق جمع آياتها المتفرقة، والنظر فيها على هيئة مخصوصة، وبشروط مخصوصة، لبيان

---

[15]– سورة الأنبياء، الآية: 47.

[16]– عبد الستار فتح الله سعيد: المدخل إلى التفسير الموضوعي،ط2، القاهرة، دار التوزيع والنشر الإسلامية، 1991م، ص:22.

[17]– أبو البقاء: الكليات، مصدر سابق،ص:868.

[18]– عبد الستار فتح الله سعيد: المدخل إلى التفسير الموضوعي، مرجع سابق، ص:20.

[19]– مصطفى مسلم: مباحث في التفسير الموضوعي، ط2، دمشق، دار القلم، 1997م، ص:16 .

[20]– عبد الحي الفرماوي: البداية في التفسير الموضوعي، ط7، د.م، 2005م، ص:41.

معناها، واستخراج عناصرها، وربطها برباط جامع»[21].

وواضح أن هذا التعريف أكثر إيجازا، وأبعد عن كونه شرحا، أو توضيحا، لكنه خص الموضوع القرآني، و لم يشمل الألوان الأخرى.

وعرّفه مصطفى مسلم بقوله: «هو علم يتناول القضايا حسب المقاصد القرآنية من خلال سورة أو أكثر»[22].

بالجمع بين هذه التعاريف، نصل إلى أن التفسير الموضوعي هو «العلم و المنهج الذي يتناول جمع الآيات المتعلقة بموضوع واحد من جميع سور القرآن الكريم، ثم دراستها دراسة تستوفي جوانب هذا الموضوع، أو دراسة سورة قرآنية بعينها لهدف إبراز الوحدة الموضوعية بين جوانبها المتعددة»[23].

المطلب الثاني: نشأة التفسير الموضوعي وأهميته:

لم يظهر هذا المصطلح عَلَمًا على علم معين إلا في القرن الرابع عشر الهجري، عندما قررت هذه المادة ضمن مواد قسم التفسير بكلية أصول الدين بالأزهر الشريف، إلا أن لبنات هذا اللون من التفسير كانت موجودة من عهد البنوة وما بعده، ويمكن إجمال مظاهر وجوده في الأمور التالية:

أ-تفسير القرآن بالقرآن: فتجميع الآيات التي تناولت قضية واحدة، والجمع بين دلالاتها والتنسيق بينها كان أبرز ألوان التفسير الموضوعي التي كان النبي ﷺ يربي أصحابه عليها، فقد روى البخاري «أن رسول الله ﷺ فسر مفاتح الغيب في قوله تعالى: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾[24]، فقال: مفاتح الغيب خمسة: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[25]»[26].

ومن هذا القبيل ما كان يلجأ إليه الصحابة -رضوان الله عليهم- من الجمع بين الآيات

---

[21]- عبد الستار سعيد: المدخل إلى التفسير الموضوعي، مرجع سابق، ص:20.

[22]- مصطفى مسلم: مباحث في التفسير الموضوعي، مرجع سابق، ص:16.

[23]- مصطفى رجب: التفسير الموضوعي وحاجة عصرنا إليه، مقال بمجلة المنهل السعودية، عدد صفر 1421هـ، مايو 2000م، ص :22-23.

[24]- سورة الأنعام، الآية: 59.

[25]- سورة لقمان، الآية: 34.

[26]- محمد بن إسماعيل البخاري: الجامع الصحيح، كتاب التفسير، باب ما جاء في سورة لقمان، طبعة مصطفى الحلبي وأولاده بمصر، 1345هـ، 144/6.

القرآنية التي يظن بينها تعارض[27].

ب-آيات الأحكام: قام الفقهاء بجمع آيات كل باب من أبواب الفقه على حدة، وأخذوا في دراستها واستنباط الأحكام منها، والجمع بين ما يظهر التعارض، وذكروا ما نص عليه، ككتاب أحكام القرآن لابن العربي وغيره.

جـ-الأشباه والنظائر: وهو اتجاه نحاه بعض العلماء في تتبع اللفظة القرآنية، ومحاولة معرفة دلالاتها المختلفة، ومن الكتب المؤلفة في ذلك (إصلاح الوجود والنظائر) للدامغاني.

د-الدراسات في علوم القرآن: حيث اهتم العلماء بموضوعات علوم القرآن فأشبعوها، ومن بين هذه الموضوعات ما ينصب على دراسة وجمع الآيات التي لها رابطة واحدة، فألّف في الناسخ والمنسوخ، كما فعل قتادة بن دعامة السدوسي وغيره، وألف أبو عبيدة معمر بن المثنى في مجاز القرآن، وأبو بكر السجستاني في غريب القرآن وغيرهم[28].

هـ-الدراسات القرآنية المعاصرة: حيث أقبل الباحثون على القرآن الكريم، ووقفوا أمام موضوعاته وقفات مطولة.

يقول الخالدي: «وعندما نتكلم عن الدراسات القرآنية المعاصرة القريبة من التفسير الموضوعي الذي نتكلم عنه، فإننا نعني تلك الكتب والدراسات الخاصة بموضوعات وأفكار وحقائق وتوجيهات القرآن...» [29].

وأما أهمية التفسير الموضوعي فنجملها في النقاط الآتية:

1-إبراز وجوه جديدة من إعجاز القرآن الكريم مما يجده من حلول لأفكار مستجدة في أمر الواقع.

2- يحقق دراسات وأبحاث قرآنية متخصصة يسهل الإطلاع عليها.

3- يعالج الشبهات التي يثيرها أعداء الإسلام بين الحين والآخر.

4- تأصيل الدراسات والمناهج في كل المجالات والتخصصات.

5- إظهار الحقائق القرآنية والسنن الإلهية في الكون والحياة والمعارف.

---

[27]- صلاح عبد الفتاح الخالدي: التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق، ط1، دار النفائس، 1997م،ص:33-35.

[28]- المرجع نفسه، ص:36.

[29]- المرجع نفسه، ص:37.

6- التأكيد على أهمية تفسير القرآن، وأنه أعلى أنواع التفسير[30].

المطلب الثالث:الفرق بين التفسير الموضوعي وبين مناهج التفسير الأخرى:

أ-بين التفسير الموضوعي والتفسير التحليلي:

1-يلتزم المفسر في التفسير التحليلي بالترتيب التوقيفي للآيات والسور في المصحف، أما في التفسير الموضوعي فيلتزم الترتيب النزولي.

2-يتعرض المفسر في التفسير التحليلي لعدة موضوعات بحسب ما يرد في الآيات أو السور التي يتناولها بالتفسير، أما في التفسير الموضوعي، فلا يتعرض المفسر فيه لغير موضوعه.

3-في التفسير التحليلي يتعرض المفسر للألفاظ والآيات القرآنية بالشرح والتحليل، ولا يتعرض في التفسير الموضوعي لذلك.

4-يمكن أن تنظم الموضوعات في التفسير الموضوعي في أبحاث مستقلة، أما في التفسير التحليلي فيصعب ذلك[31].

ب-بين التفسير الموضوعي والتفسير الإجمالي:

1-يلتزم المفسر في التفسير الإجمالي ترتيب المصحف، ولا يلتزمه في التفسير الموضوعي.

2-يلتزم المفسر في التفسير الموضوعي موضوعا واحدا، أو سورة واحدة، ولا يلتزمه في التفسير الإجمالي[32].

جـ-بين التفسير الموضوعي والتفسير المقارن:

1-يهدف التفسير المقارن إلى بيان الآيات القرآنية على وفق ما كتبه جمع من المفسرين، بخلاف

---

[30]- ينظر في: مصطفى مسلم: مباحث التفسير الموضوعي، ص:30-33،عبد الجليل عبد الرحيم: التفسير الموضوعي للقرآن في كفتي الميزان، ط1، عمان، د.ن، 1992م،1/41-42.

[31]- عبد الحي الفرماوي: البداية في التفسير الموضوعي، مرجع سابق،ص:50-51، صلاح عبد الفتاح الخالدي: التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق، مرجع سابق، ص:27-42.

[32]- عبد الحي الفرماوي: البداية في التفسير الموضوعي، ص:52.

و صلاح الخالدي: التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق،ص:27.

التفسير الموضوعي الذي يهدف إلى دراسة موضوعي قرآني محدد[33].

2-لابد من جمع الآيات التي تتصل بنفس موضوع البحث، بينما لا تشمل المقارنة تفسير القرآن كله، بل تكون خاصة بسورة قصيرة، أو موضوع معين.

3-يلتزم التفسير المقارن بالترتيب المصحفي، بخلاف التفسير الموضوعي[34].

المطلب الرابع: ألوان التفسير الموضوعي وخطوات البحث فيها:

أ-التفسير الموضوعي للمصطلح القرآني:

وهذا اللون يختص بالمصطلحات والمفردات القرآنية، بحيث يختار الباحث لفظا من ألفاظ القرآن، ويتتبعها من خلال الآيات والسور جامعا لكل اشتقاقاتها وتصاريفها المختلفة، ثم يحيط بتفسيرها مستنبطا الدلالات والحقائق من خلال استعمال القرآن الكريم لها[35].

ويتم البحث فيه عن طريق الخطوات التالية:

1- اختيار المصطلح القرآني المختار، بعد تحديد أسباب هذا الاختيار.

2- تحديد الجذر الثلاثي للكلمة؛ بإعادتها إلى أصلها الثلاثي.

3- أخذ معنى الجذر الثلاثي من أمهات كتب اللغة ومعاجمها الأساسية، كمعجم مقاييس اللغة لابن فارس، ومفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني، وعمدة الحفاظ للسمين الحلبي وغيرها.

4- متابعة ورود الجذر الثلاثي واشتقاقاته وتصريفاته في القرآن الكريم، وأخذ هذا من المعاجم التي عنيت بفهرسة ألفاظ القرآن [36].

و من أهم المعاجم في ذلك: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، لمحمد فؤاد عبد الباقي، ومعجم ألفاظ القرآن الكريم لمجمع اللغة العربية وغيرهما.

---

[33]- عبد الحي الفرماوي: البداية في التفسير الموضوعي، ص:52.

[34]- المرجع نفسه، ص:53.

[35]- عطية طه عطية الزلمة: المنح الربانية في التفسير الموضوعي،د.م، د.ن،2003م، ص:79.

[36]- صلاح الخالدي: التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق، ص:63-64.

5-ربط المعنى اللغوي للمصطلح القرآني مع الاستعمال القرآني، وملاحظة توفر المعنى اللغوي له في كل مفردات واشتقاقات المصطلح.

6-ربط المصطلح القرآني مع السياق الذي ورد فيه، وبيان تناسب هذا المصطلح مع الآية التي ورد فيها، ومع الدرس الذي وردت فيه الآية، وذلك لبيان الوحدة الموضوعية للدرس.

7-ترتيب الآيات التي أوردت المصطلح على حسب النزول، وملاحظة تطور معنى المصطلح، والإضافات عليه في الآيات المتأخرة، وملاحظة النسخ، والوقوف على أسباب النزول، والقراءات الصحيحة له.

8-الإطلاع على تفسير الآيات التي أوردت المصطلح في أمهات كتب التفسير، كتفسير الطبري و الزمخشري وابن عاشور وغيرهم.

9-ملاحظة البعد الواقعي للمصطلح القرآني، وذلك بالنظر في الآيات التي أوردته على ذلك، وإدراك مدى علاجها لمشكلات مجتمعه التربوية.

10-الوقفة المتأنية الفاحصة أمام الآيات التي أوردت المصطلح و استخلاص دلالاتها، واستنباط دروسها وعبرها، وتسجيل حقائقها[37].

ب-التفسير الموضوعي للموضوع القرآني:

وهو قضية يلحظها الباحث من خلال عرض الآيات القرآنية لها بأساليب متعددة، فيقوم بجمع هذه الآيات التي اشتركت في هذا الموضوع، ويرتبها حسب النزول، ثم يقف على أسباب نزولها، ويتناولها بالشرح والبيان، مستنبطا عناصر الموضوع من خلال الآيات نفسها، ويربط ذلك كله بواقع الناس ومشاكلهم مع محاولة حلها[38].

ويتم البحث فيه عن طريق الخطوات الآتية:

1- اختيار موضوع البحث من مادة القرآن الكريم وآياته.

---

[37]- المرجع نفسه، ص:64-66 باختصار.

[38]- ينظر: عبد الحي الفرماوي: البداية في التفسير الموضوعي، ص:71.

مصطفى مسلم: مباحث في التفسير الموضوعي، ص:27.

عبد الجليل عبد الرحيم: التفسير الموضوعي للقرآن في كفتي الميزان، 30/1.

2- تسجيل الأسباب التي دفعته لاختيار الموضوع والأهداف المبتغاة.

3- جمع الآيات التي تتحدث عن الموضوع، إما بألفاظ صريحة مباشرة، أو بألفاظ قريبة منها، أو بألفاظ لها اتصال بها[39].

4- استخراج معاني الألفاظ السابقة المختارة من أمهات كتب اللغة، كمقاييس اللغة لابن فارس، ومفردات ألفاظ القرآن للراغب، وعمدة الحفاظ للسمين الحلبي، ولسان العرب لابن منظور مع الربط بينها.

5- حصر آيات المصطلحات الأساسية للموضوع، والألفاظ المقاربة لها، وملاحظة الصيغ والاشتقاقات المختلفة للألفاظ التي لها صلة بالموضوع، واستخراج بعض دلالاتها، بالاستعانة بالمعاجم المتخصصة.

6- تسجيل ما يتعلق بالآيات من أسباب نزول، ونسخ، وقراءات وترتيبها حسب زمان النزول، وملاحظة ما يتعلق بها من تشريع أو غيره.

7- قراءة تفسير الآيات المحصورة من أمهات كتب التفسير، وتسجيل ما ورد فيها من أقوال مأثورة في ذلك الموضوع.

8- بيان الأبعاد الواقعية للآيات، وعلاج مشكلاتها بهدي القرآن.

9- استخلاص الدلالات والعبر، خاصة ذات البعد الاجتماعي المعاصر.

10- الإطلاع على الدراسات الخاصة بالموضوع، والاستفادة منها قدر الحاجة[40].

جـ-التفسير الموضوعي للسورة القرآنية:

و يتناول السورة ككل مع بيان أغراضها العامة، والخاصة، جاعلا منها وحدة موضوعية متكاملة مهما تعددت قضاياها، ثم ربط الموضوعات بعضها ببعض، حتى تبدو السورة وهي في منتهى

---

(39)- صلاح الخالدي: التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق، ص:70.

(40)- المرجع نفسه، ص:71-72.

وينظر في بعضها: عبد الجليل عبد الرحيم: التفسير الموضوعي للقرآن في كفتي الميزان، 1/72-73، مصطفى مسلم: مباحث في التفسير الموضوعي، ص:37-38.

الدقة والإحكام، كل ذلك بعيدا عن طبيعة التفسير التحليلي[41].

ويتم منهج البحث فيها عن طريق الخطوات الآتية:

1- ذكر اسم السورة التوقيفي، وإن كان لها أكثر من اسم توقيفي يذكره، مع بيان الصلة بينهما مستعينا بكتاب "نظم الدرر في تناسب الآي والسور" للإمام برهان الدين البقاعي.

2- معرفة اسم أو أسماء السورة الاجتهادية، وربطها بموضوعها العام.

3- تحديد زمان ومكان النزول، وهل هي مكية أو مدنية؟[42].

4- معرفة جو نزول السورة، أو ما يسميها زياد الدغامين بـــ"البيئة المعنوية التي نزلت فيها السورة"[43]، وطبيعة الأحكام فيها.

5- النظر إلى السورة القرآنية نظرة شمولية من أول آية وحتى نهاية السورة، وتجنب النظر الجزئي لأي عنصر وارد فيها[44].

6- تحديد أهداف السورة الأساسية، ومقاصدها العامة.

7- التعرف على "شخصية" السورة، ثم التعرف على محاورها الرئيسية، بإدراك المناسبات التي تربط بينها.

8- ربط السورة بما قبلها وما بعدها من السور في الترتيب المصحفي.

9- تقسيم السورة إلى عدة أقسام، وبيان مقدمتها وأقسامها وخاتمتها، لأن كثيرا من السور تؤدي موضوعها الشامل في عدة مراحل.

10- تقسيم الوحدة إلى دروس موضوعية، و استخلاص حقائقها ودلالاتها.

11- الإطلاع على أمهات كتب التفسير لمعرفة تفسيرها التحليلي [45].

---

[41]- زياد خليل محمد الدغامين: منهجية البحث في التفسير الموضوعي، ص:93.
وعبد الحي الفرماوي: البداية في التفسير الموضوعي، ص :40.

[42]- صلاح الخالدي: التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق، ص:73.

[43]- زياد الدغامين: منهجية البحث في التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ص:134.

[44]- المرجع نفسه، ص:134-135.

[45]- صلاح الخالدي: التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق، ص:74-75.

الباب الأول : الشيخ محمود شلتوت والوحدة الموضوعية في القرآن الكريم.

وفيه فصلان:

الفصل الأول : سيرة الشيخ محمود شلتوت .

الفصل الثاني: الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الأول : سيرة الشيخ محمود شلتوت .

وفيه مبحثان :

المبحث الأول: حياته وعصره .

المبحث الثاني: مكانته ومؤلفاته العلمية .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الشيخ محمود شلتوت إمام عالم، ملأ عصره بعلمه وبحثه وفكره، ودوى صوته بالحق في شجاعة العالم المحقق، وأسلوب الباحث المتجدد .

نهض بأعباء مشيخة الأزهر في زمنه « فكانت رسالته أوفى رسالة في تقدير مواضع الخلاف بين طوائف المسلمين ومذاهبهم بقدرها الصحيح الذي يتتره مع العلم والإخلاص، وشجاعة الرأي عن جمود التقليد ... لا يمنعه عرفان الحق لإمام المذهب أن يعرف للمخالفين بعده حقهم في التعقيب عليه والموازنة بين صوابه وما ليس بصواب...». [1]

إن في الناس- كما قال أحمد حسن الزيات[2]- «رجلين يربكان الكاتب إذا حاول أن يكتب عنهما : رجلا لا يستطيع أن يجد ما يقوله فيه، ورجلا لا يستطيع أن يختصر ما يعرفه عنه»[3]، ومن هذا النوع كان الشيخ محمود شلتوت –رحمه الله- ؛ لأنه كان ذا شخصية ثرية الجوانب العلمية والفكرية، ولكن المنهج العلمي يفرض الحصر والتحديد.

---

[1]- من كلمات الأستاذ: عباس محمود العقاد في تأبين الشيخ شلتوت، نشر بمجلة الأزهر، الجزء السادس، السنة الخامسة والثلاثون عدد شعبان 1383هـ-يناير 1964م.

[2]- الأستاذ أحمد حسن الزيات مفكر وأديب مصري معاصر، كانت له جهود معتبرة في نهضة الإصلاح الأزهري التعليمي، وكان يتابع بالأخص جهود الشيخ شلتوت بالتزكية، ويمهّد لمقالاته الأولى بمجلة الرسالة تمهيد الصديق المؤيد، وقد كان يكتب –بالإضافة إلى هذا –في مجالات أخرى، كالأزهر، ولواء الإسلام وغيرها، يعتبر بحق فقيد البيان العربي والأدب التوجيهي.

ينظر في ترجمته :محمد رجب البيومي، النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين،ط، المكتبة العصرية : 2/170-200.

[3]- أحمد حسن الزيات : الإمام الأكبر محمود شلتوت، مجلة الأزهر، السنة 35 عدد شعبان 1383هـ-يناير 1964م، ص:642.

المبحث الأول: حياته وعصره.

المطلب الأول: حياته وسيرته.

كانت حياة الشيخ محمود شلتوت وسيرته العطرة ممتلئة بالعطاء الفكري والتعليمي والإصلاحي وغيره، وكل ذلك في الفروع التالية:

الفرع الأول: نشأته الأسرية وحياته العلمية.

هو الإمام العلامة الداعية المفسر الفقيه الأصولي الأديب: محمود بن محمد بن عبد الهادي شلتوت[4] ،ولد الإمام الأكبر في الخامس من شهر شوال سنة 1310 هـ، الموافق للثاني والعشرين[5]من شهر إبريل سنة 1893م[6] في قرية منية بني منصور التابعة لمركز إيتاي البارود أحد مراكز مديرية البحيرة[7] بمصر، في بيت عرف بالعلم والأدب، ربّاه والده المرحوم الشيخ محمد شلتوت إلى أن بلغ السابعة من عمره، ثم لحق بربه، فتولى تربيته الشيخ محمد عبد القوي شلتوت، الذي ألحقه بكتاب القرية ليحفظ القرآن الكريم، فحفظه في مدة يسيرة، ثم التحق بمعهد الإسكندرية الديني سنة 1906م، 1324هـ؛ أي في العام التالي لوفاة الإمام محمد عبده[8] ، وتلقى العلم بهذا المعهد العتيق على أيدي نخبة من العلماء، منهم الشيخ الجيزاوي[9] ، والشيخ عبد المجيد سليم[10]وغيرهما، وكان –رحمه الله– أول فرقته في جميع مراحل الدراسة، حتى حصل على شهادة

---

[4]– ينظر في ترجمته: خير الدين الزركلي، الأعلام : 173/7؛ محمد عبد المنعم خفاجي:الأزهر في ألف عام: 339/1، 443/3، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة: 155/19،147،عادل نويهض: معجم المفسرين: 663/2 وغيرها.

[5]– وقد ذكر في مراجع أخرى أنه ولد في 23 من أبريل، ينظر : خفاجي ، الأزهر في ألف عام ، مصدر سابق ،1/ 345 .

[6]– خير الدين الزركلي: الأعلام : 173/7.

[7]– قد اشتهرت محافظة البحيرة بإنجاب العلماء الأعلام، كالشيخ الخرشي، والشيخ سليم البشري، والمجاهد الكبير الإمام حسن البنا، والشيخ الغزالي وغيرهم كثير، عبد المنعم خفاجي : الأزهر في ألف عام، مرجع سابق،340/1.

[8]– عادل نويهض، معجم المفسرين، مرجع سابق،663/2.

[9]– هو الشيخ محمد أبو الفضل الجيزاوي، من العلماء الأثبات، ولد برواق الحضر من أعمال مركز إمبابة محافظة الجيزة سنة 1264هـ، تلقى علوم الدين واللغة على يد الشيخ عليش، والشيخ العدوي، والشيخ السقا، والشيخ الأنبابي، تولى مشيخة الأزهر سنة 1335هـ، ومشيخة السادة المالكية سنة 1336هـ، توفي سنة 1346هـ، من مؤلفاته : الطراز الحديث في فن مصطلح الحديث وغيره، ينظر : خفاجي: الأزهر في ألف عام، مرجع سابق:373/2،372.

[10]– هو الأستاذ الإمام عبد المجيد سليم، من العلماء القلائل الذين قل أن شهد لهم الأزهر مثيلا: في سعة الأفق، وجلال الخلق، وقوة النزوع إلى المثل العليا، تتلمذ على يد الإمام محمد عبده، وتدرج في المناصب الدينية، حتى تولى مشيخة الأزهر مرتين، **أقيل في أولهما** سنة 1951، من المؤسسين الأوائل لدار التقريب بين المذاهب الإسلامية،ولدفي 13 أكتوبر 1882م،وتوفي في7 أكتوبر1954م، ينظر : الأزهر في ألف عام، مرجع سابق:306/1-307.

العالمية النظامية في سنة 1918م، 1336هـ، و لم يتجاوز عمره الخامسة والعشرين، وعيّن مدرسا بمعهد الإسكندرية في 3 فبراير1919م،1337ه،بعد امتحان مسابقة كان أول الناجحين فيها [11].

وفي هذا العام قامت الثورة الشعبية المصرية بزعامة سعد زغلول، وامتدت الثورة حتى شملت جميع القرى والمدن، وقام الشيخ شلتوت فيها بواجبه، وشارك بقلمه ولسانه؛ حيث نادى بوجوب إصلاح الأزهر واستقلاله عن الجهات التي يخضع لها [11].

و مع أن الشيخ لم يتتلمذ مباشرة على يد الأستاذ الإمام محمد عبده إلا أنه –منذ فجر حياته العلمية والتعليمية– كان واحد من نبهاء مدرسة الإمام–مدرسة الإحياء والتجديد–كما سنبين لاحقا[12].

وقد ربطته الوشائج الفكرية، وكذلك العلاقات والصداقات بأبرز تلاميذ الأستاذ الإمام محمد عبده، وفي مقدمتهم الشيخ محمد مصطفى المراغي والشيخ مصطفى عبد الرزاق[13]، والشيخ عبد المجيد سليم، الذين قادوا تيار الإصلاح لمناهج الأزهر الشريف.

ولذلك عندما عيّن الإمام الشيخ محمد مصطفى المراغي شيخا للأزهر في 2 ذي الحجة 1346هـ، 22 مايو 1928م، استدعى الشيخ شلتوت ونقله إلى القاهرة مدرسا بالقسم العالي، لما رآه من علم وحب للإصلاح والتجديد[14] فبلّغه شيخ معهد الإسكندرية الشيخ محمد عبد اللطيف الفحام[15] هذا الخبر قائلا : «نحن إذ نبلغكم هذا القرار ننتهز هذه الفرصة لإعلان ثنائنا عليكم لما قمتم به من خدمات جليلة للمعهد، فقد كنتم موضع ثقتنا لما رأينا فيكم من الغيرة على مصلحة التعليم والجد والنشاط... والسلام عليكم »[16]، وظل يدرس بالقسم العالي إلى أن اختارته

---

[11]– علي عبد العظيم : مشيخة الأزهر،180/2 وما بعدها،نقلا عن: عبد العزيز عزت عبد الحكيم ، الشيخ شلتوت ومنهجه في التفسير، ص:19.

[12]– في أثناء التعرض لمدرسته الفكرية التي ينتمي إليها ، ينظر ص:36 من هذه الرسالة.

[13]– من العلماء العاملين ولد سنة 1885م، في مديرية المنيا، تولى مشيخة الأزهر سنة 1945م إلى أن توفي سنة 1947م، من مؤلفاته : الدين والوحي في الإسلام، ينظر:خفاجي:الأزهر في ألف عام، مرجع سابق: 280/1-295.

[14]– إذ تجاوبت فكرته الإصلاحية مع فكرة الشيخ المراغي في إصلاح الأزهر، أيد ذلك بمقالات نشرت في صحيفة السياسة اليومية وغيرها من الصحف،ينظر مثلا : مجلة الأزهر، عدد4، ربيع الآخر، جمادى الأولى 1378هـ، أكتوبر 1958م .

[15]– ولد محمد الفحام بالإسكندرية في 1894/09/18م، نال شهادة العالمية سنة 1922م، تحصل على الدكتوراه في الآداب من جامعة باريس في بعثة الأزهر سنة 1936م تولى مشيخة الأزهر سنة 1969 بعد استقالة الشيخ حسن مأمون، له كتاب عن سيبويه، ورسالة في المنطق وغيرهما، ينظر : خفاجي: الأزهر في ألف عام ، مرجع سابق: 350/1-353.

[16]– محمد عبد المنعم خفاجي: الأزهر في ألف عام، المرجع نفسه: 443/3.

مشيخة الأزهر للتدريس بقسم التخصص سنة 1931م. ليدرس لحملة الشهادة العالمية، وأصبح زميلا لأساتذته السابقين.

وقد ظهرت منه آنذاك ميزات العقل الراجح، وبرز اجتهاده في ترجيح كثير من الآراء والمسائل واستنباطها[17].

ولّما تقدم المراغي بمذكرته الإصلاحية للأزهر، كان الشيخ شلتوت أول المؤيدين له من الأزهريين، وكتب في ذلك عدة مقالات في جريدة السياسة اليومية يطالب فيها بتأييد هذه المذكرة والعمل على تنفيذها، ولم يستجب القصر الملكي في ذاك الوقت إلى هذه المطالب، مما دعا الشيخ المراغي إلى الاستقالة من منصبه في جمادى الأولى سنة 1348هـ، أكتوبر 1929م، وعيّن الشيخ محمد الأحمدي الظواهري[18] شيخا للأزهر خلفا له، ومع أنه من رجال الإصلاح ؛ إلا أنه كان يرى علاج الأمور بالرفق ، ومطالبة أولياء الأمور بالتفاهم معهم في تنفيذ برامج الإصلاح، فقام في وجهه الكثير من العلماء والطلاب مطالبين بعودة المراغي إلى مشيخته وتنفيذ مشروعه الإصلاحي فتصاعد بذلك قمع الدولة للعلماء، وخاصة إبان وزارة إسماعيل صدقي باشا، وهي الوزارة التي ألغت دستور 1923م، وفصل الشيخ الظاهري نيفا وسبعين عالما من مناصبهم من بينهم الشيخ شلتوت، والذي فصل خمس سنين، احتمل فيها مكاره العيش، ومصاعب الرزق بعزة الكريم، وأنفة الأبي، فلم يهن لما أصابه في سبيل الله وما استكن، وكان ذلك في 4 جمادى الأولى 1350هـ، 17 سبتمبر 1931م[19].

وقد التقى الشيخ شلتوت بالشيخ الظواهري، وبيّن له شرف غايته من الإصلاح قائلا: «إن محيي الإصلاح في الأزهر ليهيبون بفضيلة الشيخ أن يصدر قانون الإصلاح، وأن أحدا لا يحسب أن

---

[17]- يقول عنه الأستاذ الزيات: "... ومما ساعده على ذلك ملكة فقهية تنفذ إلى العلة الباعثة والحكمة المستورة... فاستغنى عن الاجتهاد في اختيار الرأي المناسب، وترجيح الحكم الموّفق دون أن يتقيد بمذهب من المذاهب..." ، أحمد حسن الزيات: الإمام الأكبر محمود شلتوت، مجلة الأزهر ، السنة 35، عدد شعبان 1383هـ، ص:643.

[18]- هو الشيخ محمد الأحمدي الظواهري، تولى مشيخة الأزهر خمس سنوات 1930-1935م، بعد أن استقال منها أيضا، توفي في 13 مايو 1944م، له مؤلفات عدة أغلبها مخطوط ك" مقادير الأخلاق" وغيرها، ينظر: الأزهر في ألف عام، مرجع سابق: 1/259-263.

[19]- أحمد حسن الزيات: الإمام الأكبر محمود شلتوت، مجلة الأزهر، الجزء6، السنة 35، عدد شعبان 1383هـ، يناير 1964، مرجع سابق، ص:644.

الشيخ الأكبر، لا يريد الإصلاح للأزهر»[20]، فسُرّ الشيخ الظواهري وقال :«قاتل الله الحسّاد الذين وشوا ببيننا»[20].

ثم فصل الشيخ من العمل و لم يتجاوز بعد سن الثامنة والعشرين ، وتلقى خطاب الإحالة بصدر رحب، وصبر جميل،وتوجه بعد ذلك إلى المحاماة، فانضم إلى العاملين في سلك المحاماة لدى المحاكم الشرعية العليا في مارس 1934م، بزمالة الشيخ علي عبد الرزاق وتمكن بثقافته الواسعة في الإسهام بدور فعال في تثبيت دعائم الحق وإقرار العدل، ولقد أفاد كثيرا من قيامه بعمل المحاماة، وما يتطلب ذلك من الدراسة القانونية، ثم فتح واجهة أخرى للدعوة الإسلامية، فكان يلقي خطبة الجمعة في مسجد بناه الأمير محمد علي توفيق رئيس مجلس الوصاية في ذلك الوقت، وبلغ عدد الخطب التي ألقاها ثلاثمائة[21] ، وعندما دخل الإرسال الإذاعي إلى مصر كان صوته الجهوري وخطبته المؤثرة المعبرة أول خطبة ينقلها الأثير إلى العالم الإسلامي في مصر وغيرها[22]

وظل الشيخ شلتوت مفصولا من التدريس بالأزهر، وبعيدا عن جامعته أربع سنوات، فلما اضطر الملك فؤاد إلى الرضوخ لإصرار علماء الأزهر أعيد الشيخ شلتوت إلى عمله بالأزهر مع إخوانه المفصولين في ذي القعدة سنة 1353هـ، فبراير 1935م، فعيّن مدرسا بكلية الشريعة، وبعد أقل من شهرين عاد الشيخ المراغي إلى مشيخة الأزهر في محرم سنة 1354هـ،27 أبريل1935م، فعيّن الشيخ شلتوت وكيلا لكلية الشريعة في شهر فبراير 1937م[23] .

وتحت قيادة المراغي للأزهر الشريف-وفي ظل مشروعه الإصلاحي له-بدأ الأزهر يتواصل مع المحافل والمؤتمرات العلمية العالمية مبلغا دعوة الإسلام وهديه في حل مشكلات الإنسانية، فشارك في مؤتمر تاريخ الأديان الدولي السادس المنعقد بمدينة بروكسل البلجيكية في جمادى الآخرة سنة 1354هـ، 16-20 سبتمبر 1935م، ومثّله في المؤتمر الشيخان مصطفى عبد الرزاق وأمين الخولي .

---

[20]- مذكرات بخط ابنه الأكبر اللواء الهادي محمود شلتوت نقلا عن : عبد العزيز عزت عبد الحكيم : الشيخ شلتوت ومنهجه في التفسير ، مخطوط ، رسالة دكتوراه ، ص:20 – 21 .

[21]- المرجع نفسه.

[22]- محمد عبد المنعم خفاجي: الأزهر في ألف عام، مرجع سابق: 388/2.

[23]- مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، 19/ 149 ، 156- 157، و عادل نويهض: معجم المفسرين، مصدر سابق، 2/ 663

وفي شهر أغسطس سنة 1937م اختاره المجلس الأعلى للأزهر عضوا في الوفد الذي ترأسه الفقيه والقانوني عبد الرزاق السنهوري[24]؛ والذي —الوفد–مثّل الأزهر في مؤتمر القانون الدولي المقارن بمدينة لاهاي في هولندا، وتقدم الشيخ شلتوت إلى المؤتمر ببحثه القيم" المسؤولية المدنية والجنـــائية في الشريعة الإسلامية "[25]، وقد نال هذا البحث استحـــسان وإعـــجاب أعضاء المؤتمر.[26]

في سبتمبر 1938م عيّن الشيخ مفتشا عاما بالمعاهد الأزهرية، فأفاد منه الجميع، ثم رأى الإمام المراغي أن يعود الشيخ شلتوت مرة أخرى إلى كلية الشريعة، فعينه وكيلا لها ليمكنه من تحقيق برامجه الإصلاحية.[27]

و في أكتوبر 1938م اختير عضوا شرعيا بلجنة تعديل القانون المدني، وفي سنة 1939م عيّن عضو بلجنة الفتوى بالأزهر لأول تأليفها، وعمل فيها مع الشيخ عبد اللطيف الفحام[28].

وفي يوليو سنة 1939 اختير عضوا في لجنة إذاعة التفسير بمحطة الإذاعة المصرية، وتقدم باقتراح حديث الصباح قبل أو بعد التلاوة، وأذاع بعض المحاضرات في التفسير.[29]

وفي عام 1941 تقدم الشيخ شلتوت برسالة " المسؤولية المدنية والجنائية في الشريعة الإسلامية " إلى جماعة كبار العلماء لنيل عضويتها، فأجمع الأعضاء على قبوله عضوا في هذه الجماعة وكان أصغرهم سنا[30].

وفي سنة 1946م اختير الشيخ عضوا بمجمع اللغة العربية، وذلك ضمن عشرة أعضاء، مثّلوا قمم العلم والفكر في ذلك التاريخ، حتى سماهم أحمد أمين في حفل استقبال المجمع لهم بـــ"

---

[24]–هو كبير علماء القانون المدني في عصره، من الإسكندرية بمصر، ولد بها سنة 1895م وتوفي سنة 1971م، تولى مناصب عديدة أهمها وزارة المعارف بمصر عدة مرات، ورئيسا لمجلس الدولة (1949–1954)، وضع قوانين مدنية لمصر والعراق وسورية وغيرها، من مؤلفاته : مصادر الحق في الفقه الإسلامي في ستة أجزاء ، الزركلي: الأعلام،بيروت، دار العلم للملايين،1986م: 350/3.

[25]– أنظرها في كتابه: الإسلام عقيدة وشريعة، ص:392–429.

[26]– محمد خفاجي: الأزهر في ألف عام، مرجع سابق،388/2.

[27]– علي عبد العظيم : مشيخة الأزهر: 190/2، نقلا عن :عبد العزيز عزت محمود :الشيخ شلتوت ومنهجه في التفسير،ص:22.

[28]– المرجع نفسه،ص:22.

[29]– محمد عبد المنعم خفاجي: الأزهر في ألف عام: 113/3.

[30]– المرجع نفسه :114/3.

العشرة الطيبة"، ثم انتدبت جامعة القاهرة الشيخ لتدريس مادة " فقه القرآن والسنة" لطلاب دبلوم الشريعة الإسلامية بكلية الحقوق [31].

وفي سنة 1950م وأثناء تولي الشيخ عبد المجيد سليم مشيخة الأزهر، عيّن شلتوت مراقبا عاما لمراقبة البحوث والثقافة الإسلامية[32].

وفي سنة 1957م وفي ظل انفتاح الثورة المصرية على الدائرة الإسلامية من خلال منظمة المؤتمر الإسلامي، اختار السادات الشيخ شلتوت مستشارا لمنظمة المؤتمر الإسلامي لما لفكره [33] وعلاقاته من أهمية التواصل مع شعوب ومذاهب الأمة الإسلامية[34].

كما أخذت كثير من الهيئات والمنظمات والمؤسسات تسعى إلى الاستفادة من علمه وتوجيهاته، فأصبح عضوا في اللجنة العليا للعلاقات الثقافية الخارجية، وعضوا في مجلس الإذاعة الأعلى، ورئيسا للجنة العادات والتقاليد بوزارة الشؤون الاجتماعية، وعضوا في اللجنة العليا لمعونة الشتاء، كما كان من كبار المؤسسين لدار التقريب بين المذاهب الإسلامية رفقة زميله العلامة محمد تقي القمي [35]، والتي قامت-دار التقريب- لتحقيق الإخوة الدينية والوحدة الإسلامية بين الشيعة وبين أهل السنة، كما كان واحدا من أبرز كتّاب مجلتها —رسالة الإسلام-[36].

ثم عيّن في نفس السنة وكيلا للجامع الأزهر، وظل في منصبه هذا، حتى صدر القرار الجمهوري رقم 1357 لسنة 1958م، بتعيينه شيخا للأزهر في 29 ربيع الأول 1378هـ، 13 أكتوبر 1958[37].

---

[31]- من رواد التقريب، الإمام محمود شلتوت، موقع www . Google . com.، ص:12.

[32]- عادل نويهض : معجم المفسرين، مرجع سابق : 663/2.

[33]- إذ كان من دعاة التقريب بين المذاهب الإسلامية كما سنبين لاحقا ، ص:36 من هذه الرسالة.

[34]- محمد خفاجي: الأزهر في ألف عام، مصدر سابق، 389/2.

[35]- عالم شيعي إيراني ، عرف بنشاطات علمية وفكرية كثيرة ؛ أهمها تأسيسه لجماعة التقريب رفقة الشيخ شلتوت سنة 1947 م، وله مقالات عديدة خاصة في مجلة رسالة الإسلام ،توفي سنة 1990 م، إثر حادث في باريس ، ودفن في طهران – مسقط رأسه- ، ينظر : محمد إبراهيم الفيومي، في مناهج تجديد الفكر الإسلامي : التقريب بين المذاهب ، ط1، القاهرة ، دار الفكر العربي ، 2001م ، ص:125.

[36]- ينظر : مجلة رسالة الإسلام، العدد الأول، وقانون جماعة التقريب فيها.

[37]- ينظر: عادل نويهض: معجم المفسرين، 663/2، والزركلي: الأعلام ، 173/7 وغيرها.

وقد كان ذكره " لرياسة العلم وإمامة المسلمين قد سار في الآفاق، فكان بريده لا ينقطع بالرسائل، ومكتبه أو بيته لا يخلو من الزوار، فكان مقره من المزارات التي يحرص على زيارتها كل قادم إلى القاهرة من رجالات العلم والعالم، وتلك عالمية لشيخ الأزهر لم تتح لأحد ما قبله "[38].

الفرع الثاني: وفـــاته.

عندما عيّن الشيخ شلتوت شيخا للأزهر، كان المرض قد أصابه ،فلم يؤثر ذلك على علمه وإصلاحاته، وكان أن صدر منه في أيام مرضه موقف يعبر عن طبيعته الإنسانية التي تضعف أحيانا، وتقوى أحيانا أخرى، يروي لنا ذلك الأستاذ الزيات بقوله: «أدركته يوما ما مسة من ضعف الإنسان، فقال لي في لهجة تنم على القنوط والضجر: (لقد طال الابتلاء يا زيات!)، فقلت له: هوّن عليك!، إنك مادمت تؤدي رسالتك بالعقل الراجح واللسان المبين ، فلا يهمنا بعد ذلك ألا تلعب الكرة!، فضحك واسترفه وحمد الله».[39]

لما اشتد عليه مرض الفالج، أدخل مستشفى العجوزة في 25 نوفمبر 1963م، وظل تحت العلاج إلى أن قرر إجراء عملية جراحية له في المسالك البولية بعد مشاورته، وتمت العملية بنجاح، وبعد ثلاث عشرة ساعة أصيب الشيخ بنوبة قلبية مفاجئة، توقف فيها قلبه النابض خلال دقائق خمس، أسلم في نهايتها روحه إلى بارئها، في ليلة الإسراء والمعراج، في ليلة الجمعة، في شهر رجب سنة 1383هـــ، الموافق لـــ13 ديسمبر 1963م.[40]

وقد نقل جثمانه إلى منزله في الليلة نفسها -وفي صباح الجمعة- إلى مسجد الجامع الأزهر، وبعد الصلاة عليه، خرج عشرات الألوف من الشعب المصري يشيعون الجنازة، يتقدمهم نواب رئيس الجمهورية، وأعضاء مجلس الرياسة، ولفيف من العلماء والوزراء، إلى أن دفن في مثواه الأخير في مقابر الإمام الشافعي بالقاهرة [41]، وقد كان لوفـــاته رنة أسى تردد صـــداها في كـــل نفس، ومس وقعها كل قلب، وأحس الفراغ العظيم لفقده كل مجلس علم، ورثاه في ذلك الكثيرون، وشهدوا له بأداء الواجب والأمانة، مفسرا لكتاب الله، ومبصرا لدينه، ومبلغا لرسالته.[42]

---

[38]- أحمد حسن الزيات : الإمام الأكبر محمود شلتوت، مجلة الأزهر، مرجع سابق، ص:644.

[39]- المرجع نفسه، ص:645.

[40]- محمد عبد المنعم خفاجي: الأزهر في ألف عام، مصدر سابق، 345/1.

[41]- المرجع نفسه.

[42]- ينظر: تعازي العلم الإسلامي بوفاة الإمام الأكبر، مجلة الأزهر، مرجع سابق، ص:754-763.

الفرع الثالث: شيوخه وتلاميذه وأصدقاؤه.

شيوخه : تعلم الشيخ شلتوت على يد نخبة من العلماء الأجلاء كالشيخ محمد الجيزاوي، والشيخ عبد المجيد سليم، والشيخ محمد شاكر[43] ، الذي كان شيخا لمعهد الإسكندرية، والشيخ محمد بخيت المطيعي [44] وغيرهم .

تلاميذه: أما تلاميذه فكثيرون، من أبرزهم محمد البهي، والإمام عبد الحليم محمود، والشيخ محمد محي الدين عبد الحميد ، والشيخ محمود الشرقاوي[45] الذي قال عنه: «تعلمنا من شيخنا شلتوت القول والإصرار على الرأي الذي نعتقد أنه الحق، عرفنا منه ذلك وهو ينصر الشيخ المراغي في إصلاحه، وفي إباحته ترجمة القرآن الكريم...». [46]

أصدقاؤه وزملاؤه: للشيخ أصدقاء كثر، كعباس محمود العقاد، وأحمد حسن الزيات الذي قال عنه :«صحبت الفقيد الكريم ثلاثين سنة، تمكنت فيها الألفة بينه وبيني، عرفته في مجلة الرسالة، وزاملته في مجمع اللغة، وعاونته في مجلة الأزهر، وبلوته في حالات أخرى مختلفة، فلم أعرف عنه إلا العقل النيّر بالعلم، والقلب العامر بالتقوى، والنفس الراضية بقضاء الله فيما تحب وفيما تكره...» [47]، وغيرهم كثير

الفرع الرابع : مواقف وآراء.

كانت للشيخ مواقف شجاعة، وآراء قوية مدوية، آمن بها، وأسمعها غيره، وكان بفضلها مثال العالم المجاهد المعتز بالله، أهمها:

-الاستغناء عن الخلق والعزة بالحق.

ومن مواقفه الأبية في سبيل ما يعتقد ويجاهد، ما سجله التاريخ عندما تولى الإمام عبد المجيد سليم

---

[43]- ولد بمدينة "جرجا" في مارس 1866م، تخرج من الأزهر، وعيّن أمينا للفتوى سنة 1890م، ثم قاضي قضاة بالسودان سنة 1900م، ثم شيخا لمعهد الإسكندرية سنة 1904م، وفي أواخر سنة 1324هـ، ندب للقيام بأعباء مشيخة الأزهر نيابة عن الشيخ الشربيني، ثم عين عضوا في هيئة كبار العلماء، أصيب بالفالج، ولزم بيته حتى توفي سنة 1939م، ينظر : خفاجي: الأزهر في ألف عام: 2/42-43 .

[44]- ولد الشيخ سنة 1856م في أسيوط، وتوفي في 18 أكتوبر 1953م، تولى عدة مناصب، وتدرج فيها، كان أهمها تعيينه مفتيا للديار المصرية سنة 1914م، من آثاره: حواشي الخريدة وغيرها، ينظر: خفاجي: الأزهر في ألف عام، م.ن،2/46-48.

[45]- أديب مصري ، تولى إدارة المكتبة الأزهرية مدة ، وساعد في وضع بعض فهارسها ، له مؤلفات مطبوعة ، منها (المجتمع العربي) ، و(رحلة ابن بطوطة) ، توفي سنة 1971م ، خير الدين الزركلي : الأعلام ، 7/ 172 .

[46]- الشرقاوي : شيخي محمود شلتوت، مجلة الأزهر، الجزء 6، السنة 35، عدد شعبان 1383هـ، مرجع سابق، ص:680.

[47]- أحمد حسن الزيات : الإمام الأكبر محمود شلتوت، مجلة الأزهر، المرجع نفسه، ص:745.

مشيخة الأزهر-والشيخ شلتوت من أعوانه وإخوانه-، فرغب الشيخ سليم إلى فاروق أن يعينه وكيلا له، فأبى إلا إذا تخلى الشيخ شلتوت عن الخطابة والتدريس في مسجد الأمير محمد علي الصغير، فلّما كلّمه أحمد الزيات في ذلك-بتكليف من الشيخ سليم-، قال مقولته الشهيرة-التي تعبر عن قوة إيمانه بربه وتمسكه بالحق وعزته فيه-في لهجة تنبض بالغضب: «لئن أفصل مرة أخرى من الأزهر، وأعيش مرة أخرى أنا وأولادي في صراع الفقر، خير لي من أن أساوم على كرامتي، وأصالح على هواني؛ إن مسجد الأمير الذي أعمل فيه لله وأنا مدرس، أحب إليّ من قصر المليك الذي أعمل فيه للشيطان وأنا وكيل» [48].

-فتوى تاريخية:

ولقد كان من جرأته في إعلان ما يعتقده، تلك الفتوى التاريخية التي أصدرها-في عهد مشيخته للأزهر-بجواز التعبد لمذهب الشيعة الإمامية،كما يتعبد بغيره من المذاهب الأخرى الصحيحة الأصول.

يقول الشيخ شلتوت في هذا الصدد: «.... وقرت الفتوى عيون المؤمنين المخلصين، الذين لا هدف لهم إلا الحق، والألفة، ومصلحة الأمة، وظلت تتوارد الأسئلة والمشاورات والمجادلات في شأنها، وأنا مؤمن بصحتها، ثابت على فكرتها، أؤيدها في الحين بعد الحين... حتى أصبحت-والحمد لله-حقيقة مقررة تجري بين المسلمين مجرى القضايا المسلمة...» [49].

المطلب الثاني: عصره (الأوضاع السياسية والاجتماعية والحالة الفكرية والثقافية).

إن دراسة العصر الذي عاش فيه الشيخ شلتوت مهمة جدا، إذ هو-العصر-ينعكس على فكره العلمي وخاصة على تفسيره، وهذا ما أردت أن أبينه من خلال الفروع التالية:

الفرع الأول: الأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية.

ولد الشيخ شلتوت وسط الاحتلال، ولد ومصر كغيرها من البلدان العربية الأخرى تعاني من ويلات الاحتلال البريطاني، و لم يكن هذا الجو الذي نشأ فيه خاضعا للاستعمار وخانعا له؛ بل كان مقاوما له، مقيما بذلك عدة ثورات شعبية متفرقة في البلاد، إلا أنها كانت متباعدة في الزمان، غير متماسكة ولا منتظمة.

---

[48]-أحمد حسن الزيات : الإمام الأكبر محمود شلتوت، مجلة الأزهر، مرجع سابق، ص:644.

[49]- محمود شلتوت: مقدمة قصة التقريب، مجلة رسالة الإسلام، المجموعة 2 ، عدد 55 ،ص:197.

كانت الثورة العرابية المشهورة سنة 1881م، بقيادة أحمد عرابي الأزهري، وقد كان الفكر الإصلاحي مشاركا في هذه الثورة متمثلا في ذلك الوقت في شخصية الإمام محمد عبده الذي كان مستشارا للثورة والذي كان يعين الثورة بما ينشره من مقالات في الجريدة الرسمية، وما يبثه من خطب في جمعية " المقاصد الخيرية" [50] ، ثم لما قامت ثورة 1919م، استطاع الإنجليز من خلالها أن يغيّروا شكل الحياة المصرية، وأصبح الاحتلال-بعد ذلك-يمثل الشريان الرئيسي الذي يمد الامتيازات الأجنبية، والأوضاع الطبقية، والإقطاع الإداري والزراعي بالقوة، في الوقت الذي كان يشيع فيه أن مهمته في مصر مهمة حضارية، وأن وجوده مرهون بإتمامها [51].

أقبل المصريون على ثورة 1919م، التي جاء توقيت قيامها مرتبطا بشدة معاناة المصريين خلال الحرب العالمية الأولى ، فأقبلوا على النضال السياسي الذي ترسخ في أذهان ساستهم وعلمائهم ومثقفيهم نتيجة عاملين اثنين:

العامل الأول: وهو الشعور بأصالة مصر الحضارية، وهو شعور عاش في وجدان المصريين آنذاك.

أما **العامل الثاني**: فهو أن النضال لم يكن بالأمر الجديد على المصريين، فقد اعتادوا منذ عهود المماليك والعثمانيين والفرنسيين، ومن ثورة عرابي إلى المد الثوري سنة 1906م، في أعقاب حادث دنشواي المشهور [52].

وقد كان الشيخ شلتوت –وثلة من العلماء والساسة–من المساهمين في هذه الثورة، بما كان يكتبه من مقالات في ذلك، نشرت في الجرائد المصرية، يعبّر فيها عن حق الشعب المصري في تقرير حريته، وتعالت بذلك الصيحات ضد الاحتلال ومشروعاته المفسدة، خاصة المشروع الذي جاء به سير ويليام بروقيت، والذي يقضي بتحويل المحاكم المصرية إلى محاكم إنجليزية، ثم إنشاء مجلس من الأعيان والوزراء، لا يتعدى عددهم الثلاثين، ومعهم خمسة عشر من المستشارين الإنجليز و الأعضاء الأجانب، ثم مجلس آخر للنواب على أن يكون رأيه استشاريا [53].

---

[50]– محمد صبري: تاريخ مصر من محمد علي إلى العصر الحديث، القاهرة ، مكتبة مدبولي، 1990م: 206/13.

[51]– محمد عبد المنعم خفاجي: الأزهر في ألف عام: 212/3.

[52]– عبد العزيز عزت عبد الحكيم محمود: الشيخ شلتوت ومنهجه في التفسير، مخطوط،ص:43.

[53]– محمد عبد المنعم خفاجي: الأزهر في ألف عام: 200/1-201.

فوجدت صيحة الزعيم سعد زغلول وقعتها في أذهان المصريين، وبثت فيهم الوعي لما يراد بهم من إنزال الظلم بهم، فكانت صيحة الشعب-بعد ذلك-بقيادة سعد زغلول صرخة دوت مسامع الإنجليز فأحسنوا التراجع في الوقت المناسب، وهذا ما حدث أيضا سنة 1935م، حينما تأججت الثورة في البلاد تطالب بسقوط الوزير البريطاني الذي صرّح بأن مصر غير جديرة بأن تحكم بالدستور، فكانت نتيجة ذلك أن سقطت وزارة توفيق نسيم وتراجع الإنجليز وعاد الدستور[54].

وكان للأزهر وعلمائه في كل ذلك دور بارز من خلال التعبئة العامة ونشر الوعي بين المصريين، وتحريضهم على المطالبة بحقهم الشرعي والوطني في تقرير حريتهم، وإقرار دستورهم الذي يرونه مناسبا مع حياتهم القومية في بناء دولة ذات سيادة مستقلة سياسيا وعسكريا واجتماعيا عن الوصاية الأجنبية.

وكانت لتطور الأحوال السياسية العالمية أثر على حركة التاريخ المصري، ففي أعقاب الحرب العالمية الثانية كان طبيعيا أن تتابع مصر نضالها السياسي، وتعدل عن النهوض بأوضاعها الاقتصادية والاجتماعية لتستعيد كيانها الدولي والإقليمي، فكان الشيخ المراغي يحث الشعب على ذلك، وأخذ الوعي السياسي يشغل أذهان المصريين ويحرّك همهم إلى حكم بلادهم بأنفسهم، ونزع اليد الأجنبية عنه[55].

فتشكلت بلك أحزاب سياسية مصرية وفق الدستور، ولكنها تطاحنت في الانتخابات النيابية، وتسابقت في إرضاء الملك، دون اعتماد برامج إصلاحية حقيقية تنقذ البلاد من الفساد الاجتماعي والضعف الاقتصادي الذي وصلت إليه، فكثرت بذلك الحركات الوطنية المطالبة بالاستقلال، وقامت ثورة 1952م، والتي كان لها آثار سلبية، وأخرى إيجابية على حركة المد الإسلامي والمتمثل في الأزهر الشريف وعلمائه خاصة، فمن آثارها السلبية فصل الدين عن الدولة، وكان شعارهم آنذاك "الدين لله والوطن للجميع"[56]، ومنها إلغاء المحاكم الشرعية واستبدالها بمحاكم مدنية،وكان منها ما عرف بقضية الإخوان المسلمين ومحنتهم مع نظام الضباط الأحرار، إلا أن المصلحين الاجتماعيين لم ييئسوا من هذا الوضع المزري،بل كانت لهم بعض الإسهامات؛والتي تركت أثر إيجابيا على اتجاه الثورة؛كغلق البيوت السرية للبغاء الذي نادى به الإمام حسن البنا-رحمه الله-

---

(54)- محمد كامل الفقي : الأزهر وأثره في النهضة الأدبية الحديثة، بيروت،المكتبة العصرية1982م، ص:210.

(55) - ينظر: يوسف القرضاوي: رسالة الأزهر بين الأمس واليوم والغد، ط1، مؤسسة الرسالة،بيروت،2001م،ص: 42- 43.

(56) - عبد العزيز عزت عبد الحكيم محمود : الشيخ شلتوت ومنهجه في التفسير ، مخطوط ، مرجع سابق، ص: 46.

،وكإنشاء محطة خاصة لإذاعة القرآن الكريم،وتخصيص ما يقرب من عشر ساعات يوميا في البرامج المختلفة في جميع الإذاعات في مصر على ما سعى إلى تحقيقه الشيخ محمود شلتوت [57].

- أما من **الناحية الاجتماعية**:

فقد كان لوجود الطبقة والملكيات الزراعية الكبيرة الأثر الواضح في توجيه العلاقات الاجتماعية، وقد كان للامتيازات الأجنبية وما تزله بالمصريين من مظالم ومخاوف وضغوط دور في هذا[58]، ثم إن تجزئة المجتمع المصري إلى ثنائيات تجعل منه مجتمعا مهلهلا، جعل للناس عقليات مختلفة، مما أدى إلى نوع من تفكك عقلية الأمة الواحدة، ومارس الإنجليز وسط هذه الثنائيات هوايتهم المعهودة بشعارها المعروف" فرق تسد "، فبينما أذاعوا أنهم أصدقاء أصحاب الجلاليب الزرقاء في الريف، كانوا يشجعون كبار الملاك الزراعيين على التوسع في ملكياتهم وخاصة الأجانب منهم[59]،مما حذا بعلماء الأزهر أن ينتبهوا إلى خبث هذه السياسة الشيطانية وإلى خطرها على وحدة الشعب المصري خاصة، فرفعوا شعارات مضادة لشعار الإنجليز، تدعو الشعب المصري خاصة، والأمة الإسلامية عامة إلى التوحد وتوطيد علاقات الأخوة، وفق ما يمليه الشرع والقانون والوطنية،؛ لأن الاستجابة لمخططات الإنجليز سيحدث شرخا واضحا في بناء الأمة، وتماسك وحدتها الاجتماعية[60]، وكان للشيخ شلتوت في هذا دور بيّن، بما كان يبثه من شعارات تدعو الأمة إلى التوحد وبما كان ينتهجه علميا وعمليا بإنشاء دار التقريب بين المذاهب الإسلامية.

- أما عن **الحياة الاقتصادية**:

فقد أنشأ المصريون بنك مصر، وأخذوا في تطوير اقتصادهم تدريجيا حتى تحقق لهم جانب كبير من تحريره من تسلط رأس المال الأجنبي، ولعل من أهم ثمار هذا الجانب النضالي ظهور طبقة العمال، والدعوة إلى الفكر الاقتصادي السليم، والمناداة بتحطيم الرأسمالية، وفي الثلاثينيات تم رفع الضرائب الجمركية على المصنوعات المستوردة ضمانا لتوزيع المنوعات المصرية[61]، التي لم تلبث أن تطورت ونمت، وخاصة خلال الحرب العالمية الثانية، وأجبرت مصر على اتباع خطة الاكتفاء الذاتي،

---

[57] - المرجع نفسه ، ص: 46.

[58]- فوبليكوف: أكاديمية العلوم في الاتحاد السوفيتي: تاريخ الأقطار العربية المعاصر،ص:68-69.

[59]- المرجع نفسه، ص:40 وما بعده.

[60]- محمد البهي : المجتمعات الإسلامية المعاصرة وصلتها بالاستعمار، نقلا عن : عبد العزيز عزت عبد الحكيم: الشيخ شلتوت ومنهجه في التفسير، ص:47.

[61]- فوبليكوف: تاريخ الأقطار العربية المعاصر ، ص:19-20.

فكانت هذه الحاجة واسعة تطوير التصنيع، بل بداية الاهتمام بالعمل على رفع مستوى التعليم الفني[62]، وكذلك على وحدة النضال بين العمال والطلاب، مما ظهرت ثماره في فبراير سنة 1946م، حين عقد المؤتمر التاريخي الذي ضم الفريقين، وبعد ذلك كانت رؤوس الأموال، والإقطاعيات الزراعية العريضة في أيدي قلة من الشعب تمثل 4% من مجموع السكان هم بقايا أسرة محمد علي[63] ، أما بقية أفراد الشعب فظلوا يعانون من سوء الحالة الاقتصادية؛ لأن حكومة الأحزاب –مع الاحتلال الإنجليزي–لا يهتمون بالصناعة ولا بالزراعة إلا بقدر ما ينفعهم، دون الشعب المصري الذي لم يهتم أحد باستقلاله الاقتصادي والعمل على رفع مستواه، إلا بنوه و مفكروه ، حتى قامت ثورة 1952م، وكان من أهم أهدافها القضاء على الإقطاع، وتحقيق العدالة الاجتماعية، وعنيت–بعد ذلك–حكومة الثورة بتحويل الفلاحين الكادحين إلى ملاك، فحددت الملكية الزراعية بمائتي فدان، ثم مائة كحد أقصى للأسرة المالكة الإقطاعية سابقا[64]، كذلك حددت إيجارات الأراضي الزراعية بما لا يزيد عن سبعة أمثال الضريبة، وعملت على زيادة الأراضي الزراعية المستصلحة، وكذلك اهتمت بالعمال، فأنشأت الصناعات المحلية، والشركات الكبرى كمصنع الحديد والصلب، وغيره، وأممت الشركات الأجنبية الصناعية وعادت بذلك مقدرات الشعب الاقتصادية والزراعية لأصحابها الأصليين مما رفع من المستوى الاقتصادي للشعب المصري، وصدرت في ذلك قرارات هادفة كان أهمها قرار يوليو سنة 1961م، والذي صدر أثناء مشيخة الشيخ شلتوت للأزهر، فكان الأزهر بذلك ذا صلة قوية بالحياة الاجتماعية والاقتصادية المصرية[65].

الفرع الثاني: الحالة العلمية والفكرية في عصره.

مر التعليم بالجامع الأزهر بتطورات مختلفة –إذ كان الممثل للحياة العلمية والثقافية في مصر–، بدأ أثرها يظهر منذ قانون يوليو 1896م، والذي كان للإمام محمد عبده الفضل الكبير في إصداره، وقد اهتم هذا القانون بتطوير الدراسة بالأزهر، وأدخل في برامجه المواد الحديثة إلى جانب العلوم الدينية[66].

---

[62]– المرجع نفسه ، ص:31–34.

[63]– المرجع نفسه : ص51

[64]– عبد العزيز عزت محمود : الشيخ شلتوت ومنهجه في التفسير ، مخطوط، ص:48.

[65]– المرجع نفسه، ص:49.

[66]– محمد خفاجي:الأزهر في ألف عام ، مرجع سابق: 1/194–198 بتصرف.

ثم صدر قانون 1911م، والذي وضعه الشيخ محمد شاكر؛ حيث تضمن أزيد من مائة مادة موزعة بين الجامع الأزهر، وكيفية تعيين شيخه، وإدارته، ونظم التدريس فيه، والميزانية المخصصة له، ثم أنشئ بعد ذلك قسم للتخصص في العلوم الأزهرية، بعد الحصول على شهادة العالمية، لإعداد خريجها لتولي وظائف القضاء الشرعي [67].

وظل الأزهر يخطو نحو غايته المسرعة؛ إذ وضع الشيخ المراغي مذكرته في إصلاح الأزهر، ثم إن الأزهر انتقل من حال الاضطراب الثقافي إلى حال الاستقرار النهائي وذلك بفضل قانوني 1930، و1936؛ فقد شمل قانون المراغي نواحٍ إصلاحية علمية ومالية :

فأما من الناحية العلمية فتقسيم الدراسات العالية-لأول مرة-إلى ثلاثة أقسام، يعد خريجيها إلى ما يسمى بـــ" أقسام التخصص في المهنة " وأنشئ لها ثلاث كليات :كلية الشريعة،كلية اللغة العربية، وكلية أصول الدين.

وأما من الناحية المالية : فتوظيف خريجي هذه الكليات الثلاث، فوظائف القضاء الشرعي أصبحت خالصة لخريجي كلية الشريعة، ولخريجي كلية اللغة العربية التدريس في مدارس الحكومة، ولخريجي أصول الدين وظائف الوعظ والإرشاد [68].

وبعد عام 1952م استقر الرأي على إزالة الحواجز بين التعليم العالي بالجامعات والمعاهد العليا والأزهر الشريف، ولذلك قامت كليات أخرى جديدة بالأزهر فقامت كليات للهندسة، والتجارة، والطب، والزراعة، إلى جانب الكليات القديمة التي تركز اهتمامها على الدراسات الإسلامية واللغوية.

-التعليم بالجامع الأزهر في عهد مشيخة الشيخ شلتوت .

كان الإمام محمود شلتوت يرى أن الأزهر هو معقل الإسلام الحصين، وقبلة المسلمين الأخرى، فإذا أصلح على الوجه الذي يريد فقد وضع الطباب على أصل العلة؛ ولذلك لما عقد مؤتمر الملحقين الثقافيين ألقى الشيخ شلتوت كلمة الأزهر فيه قائلا : «إن الذي نريده للأزهر هو في واقعه انقلاب؛ ولكنه انقلاب محبب إلى النفوس الغيورة على ماضيها المتطلعة إلى مستقبلها؛ انقلاب يصل بالعقلية الأزهرية إلى الفكر الأصيل يوم أن كان خالصا صافيا في موقفه من القرآن، وفي تعبيره عن

---

[67]- المرجع نفسه: 202/1.

[68]- المرجع نفسه: 202/1-205 باختصار، 239/2، 224/3.

تعاليم القرآن، وهو في الوقت نفسه يربط العقلية الأزهرية أو الفكرة الإسلامية الصحيحة بالحياة الواقعية التي يعيش فيها العالم اليوم» [69].

وظل الشيخ يكافح بقلمه ولسانه إلى أن صدر في عهد مشيخته قانون تطوير الأزهر رقم 103 لسنة 1961م[70]، وهو القـــانون الذي أصـــدرته حكومة ثورة مصر التي قامت في 22 يوليو سنة 1952 [71].

وكان القصد من إصداره ما يلي :

1- أن يبقى الأزهر وأن يدعم، ليظل أكبر جامعة إسلامية، وأقدم جامعة في الشرق وفي الغرب.

2- تخريج دعاة مختصين في فروع المعرفة المختلفة تلبي احتياجات الدعوة الإسلامية في الشرق والغرب.

3- تحطيم الحواجز والعزلة بين الأزهر والمعاهد الأخرى والجامعات المدنية.

4- حل مشاكل الأزهريين، بتحقيق المساواة بينهم وبين غيرهم من المتخرجين في الجامعات المدنية في الوظيفة وفي الدرجة المالية.

5- توحيد الشهادات الدراسية والجامعية في كل الجامعات ومعاهد التعليم [72].

هذا وقد نص قانون تطوير الأزهر على إنشاء مجمع البحوث الإسلامية والذي هو عبارة عن هيئة علمية ضمن هيئات الأزهر، قد خلفت هيئة كبار العلماء والتي كان الشيخ شلتوت عضوا فيها منذ سنة 1941م [69].

وأنشئت طبقا لهذا القانون (جامعة الأزهر) لتتولى شؤون التعليم العالي في الأزهر، وأضيفت إليه كليات أخرى كالهندسة والطب والتجارة والزراعة والعلوم، هذا بالإضافة إلى إنشاء كلية إسلامية للبنات وما دخلت المرأة الأزهر قبل هذا القانون [73].

---

[69]-محمود شلتوت، رسالة الأزهر، ص:24-25، مطبعة الأزهر، 1959م.

[70]- ينظر نص القانون الجديد كاملا في كتاب: محمد خفاجي: الأزهر في ألف عام، 2/198-227.

[71]- الجديد في قانون 1961م أنه طبّق هذه الإصلاحات، أما ثورة م1952م فتبنتها فقط.

[72]- محمد عبد المنعم خفاجي : الأزهر في ألف عام، المرجع نفسه: 2/192-193. وينظر : محمود شلتوت : رسالة الأزهر في ضوء قانونه الجديد، مجلة الأزهر، الجزء7، المجلد33، عدد رجب1381 هـــ، ديسمبر1961 م، ص:781.

[73]-عبد المنعم خفاجي ، الأزهر في ألف عام، مرجع سابق: 3/227.

يقول الشيخ شلتوت -عن قانون تطوير الأزهر- : «إن القانون الجديد قد كفل تخريج عالم عامل ذي خبرة وكفاية يقوى به الإسلام، ويشتد ساعده، وتنتشر به رسالته... وتطمئن إليه قلوب الذين لم يبشروا به، وما كانت القوانين لتصنع رجالا أو تعد دعاة إذا لم يكن في الأزهريين غيرة على دينهم ولغتهم وأزهرهم، بل ليس في مقدور القانون أن ينهض بتبعات رسالة، أو يحافظ على قداسة عقيدة، إذا لم تتملك هذه الرسالة وتلك العقيـــدة قلوب الداعين إليها والعاملين في سبيلها» [74].

وقد لاقى الشيخ-فيما بعد-تعويقا عن بلوغ غايته، ونزعت منه السلطات الإدارية للأزهر حتى دفعته لتقديم الاستقالة .

هذا ولم يكن صدور هذا القانون عن فراغ، بل كان خاتمة جهود مضنية في الإصلاح التعليمي، كان الشيخ شلتوت من خلالها رائد الإصلاح والتجديد، فقد قدّم محاضرة في الأزهر الشريف تضمنت سياسة التعليم في الأزهر، بعنوان " السياسة التوجيهية العلمية في الأزهر "[75] ، كما قدّم محاضرة أخرى بعنوان" ندوة العلم والتعليم في خدمة المجتمع"[76]، قدّم من خلالها ما آمن به وعمل من أجله كسبيل لإصلاح التعليم في الأزهر، فضلا عن تأييده مذكرة المراغي الإصلاحية [77].

المبحث الثاني: مكانته ومؤلفاته العلمية.

الإمام محمود شلتوت عالم محقق، ومجتهد مدقق، ومفكر مخصب ترك لنا مؤلفات وكتب علمية، ومقالات عدة، في علوم متنوعة، تدل على رسوخه في العلم، وتمكنه منه، نعلم ذلك من خلال المطلبين الآتيين:

المطلب الأول: مكانته العلمية.

كان الشيخ محمود شلتوت عَلَمًا فريدا من أعلام الفكر الإسلامي المعاصر، ورجلا شجاعا من رجال الإصلاح، وداعية حكيما من دعاة الوحدة والتقريب وتقوية أواصر الأخوة الإسلامية بين كل المسلمين، وهذه الصفات الثلاث: العلم الراسخ وتوابعه، والإصلاح الحكيم، والدعوة إلى الوحدة

---

[74]- محمود شلتوت: رسالة الأزهر في ضوء قانونه الجديد، مجلة الأزهر، مرجع سابق ،ص:783 .

[75]- أنظرها كاملة في : محمد خفاجي: الأزهر في ألف عام: 3/13-22، وسنثبتها في عنصر مكانته العلمية، لبنيّن شخصيته العلمية كمصلح أزهري ، ص:33 من هذه الرسالة.

[76]-أنظرها كاملة في كتابه : من هدي القرآن، ص286-289. وسنثبت بعضها أثناء تعرضنا لمكانته العلمية ، ص:35.

[77]-سنتعرض لها لا حقا في مكانته العلمية لنبين جهوده كمصلح اجتماعي، ص:33.

والتآلف، قلّما توفرت مجتمعة في العلماء والدعاة، -إلا ما رحم ربي-، ولذلك سنركز حديثنا على هذه الصفات الثلاث.

الفرع الأول: صفاته الخلقية والعلمية وأقوال العلماء فيه:

-غزارة العلم، وسعة الأخلاق، وروح الاجتهاد:

كان الشيخ محمود شلتوت عالما غزير المعرفة، واسع الإطلاع لعلوم الشريعة في التفسير والحديث والفقه والأصول وغيرها، كما كان خطيبا مفوها، ومجادلا غزير البحر، قوي الحجة، مجتهدا في اختيار ما يراه مناسبا للدليل وملائما لروح الشريعة ومقاصدها العامة، وهو بين هذا وذاك الرجل الصامت الفاضل، الوقور، تميز بجمة الأخلاق، وسعة الأفق، ورحابة الصدر والعقل، دل على كل ذلك سيرته العطرة التي عرفناها سابقا، كما دل عليه أقوال العلماء والدعاة في الثناء عليه والإشادة به، وإليكم بعض أقوالهم وآرائهم في ذلك.

-يصفه زميله الشيخ محمد الخالصي[78] شيخ الشيعة في العراق في رسالة بعثها إليه يهنئه فيها بتوليه منصب مشيخة الأزهر، بصفات حميدة تدل على صدق منبعه، وصفاء معدنه، يقول: «سماحة العلامة المفسر المحدث الفقيه المتبحر الأستاذ الشيخ محمود شلتوت... وكنت أجد في نفسي شعورا بأنكم من الذين وفقهم الله لهداية عباده وقد ظهرت آثار ذلك...» [79].

وأبنّه صديقه الحميم محمد القمي بقوله: «...إلا أن هذا لا يعفينا من الحزن الشديد لفقد زميل عزيز، وعالم جليل، ومجاهد من الطراز الأول»[80].

ويقول عنه العقاد: «ومن عرف الإمام الفقيد عرف أنه تزود لهذه الرسالة بزاد غير علمه الغزير، وشجاعته الصادقة، وهو زاد القلب الطيب، والسجية الكريمة، تجمع الخصوم على الألفة

---

[78]- هو محمد بن محمد مهدي الخالصي، من شيوخ الكاظمية بالعراق، ولد بها سنة1307 هـ، 1890 م، وتوفي سنة 1383 هـ ، 1963 م، له آثار كثيرة منها : أجيبوا داعي الله ، الاحتراز عن مفتريات حسن الإيجاز في إثبات إعجاز القرآن ، إحياء الشريعة وغيرها ، ينظر في ترجمته : محمد رضا كحالة: معجم المؤلفين ، ط1 ، بيروت-لبنان، مؤسسة الرسالة ، 1993 م ، 3 / 693 – 694 .

[79]- محمد الخالصي: مقال بعنوان: رسالة وجوابها بين إمام الشيعة وإمام أهل السنة، مجلة الأزهر، المجلد 30، عدد9، رمضان 1378هـ مارس 1959، ص:761-762.

[80]- محمد تقي القمي:رجال صدقوا، مجلة رسالة الإسلام، عدد55 ، المجموعة الثانية، ص:192.

والثقة، كما تجمع الأصحاب والأنصار»[81].

وصفه زميله أحمد الزيات بأوصاف عديدة، يقول عنه: «كانت عدة الجهاد والاجتهاد مجتمعة لديه... تعمق جذور الأصول في الفقه، وتقصى أطراف الفروع في التشريع، ووجد في أقوال الفقهاء على اختلاف مذاهبهم جوابا شافيا عن كل سؤال يخطر على الذهن... فاستغنى عن الاجتهاد المبتدع باجتهاد آخر، هو اختيار الرأي المناسب...»[82].

وقد مرّ بنا من قبل بعض شهادات أصدقائه وتلاميذه، فلا حاجة لإعادتها[83].

-اعتداله وإنصافه وعدم تعصبه:

ومن ذلك موقفه المنصف من فضيلة الشيخ محمد الخضر حسين، حين نقده في مقالته "الهجرة وشخصيات الرسول ﷺ"؛ إذ ذهب فيها الشيخ شلتوت إلى أن للرسول ﷺ شخصيات متعددة؛ شخصية الرسول، وشخصية الإمام العام، وشخصية المفتي، وشخصية القاضي، وأن لكل شخصية حكمها في منطق التشريع؛ «إذ تقبل الأستاذ شلتوت نقد صاحبه ببشر وارتياح، وظن الصغار من الضعفاء أنه يحمل له حزازة حارة في صدره، وتوقعوا أن يقف في وجهه حين تقدم لجماعة كبار العلماء، ولكن الشيخ شلتوت أبدى ترحيبه السار، وقال قولته الشهيرة: «من أسقط الخضر، فقد أسقط نفسه»، وياله من مثال رائع في النزاهة والإنصاف...»[84].

بل إن الشيخ شلتوت يقول: «كل ما نطلبه ممن تجرد للبحث والتأليف وعرض آراء المذاهب... أن يكون منصفا، مهذب اللفظ، أمينا على التراث الإسلامي، حريصا على أخوة الإيمان والعلم، فإذا جادل ففي ظل تلك لقاعدة المذهبية... "مذهبي صواب يحتمل الخطأ، ومذهب غيري خطأ يحتمل الصواب"»[85].

---

(81)- العقاد: الموفق الموفق الإمام المصلح محمود شلتوت، مجلة الأزهر، الجزء6، عدد شعبان 1383هـ، ص: 649-650.

(82)- أحمد حسن الزيات: الإمام الأكبر محمود شلتوت، مجلة الأزهر، مرجع سابق، ص:642-645.

(83)- في فرع: شيوخه وتلاميذه وأصدقاؤه، ص:22 من هذه الرسالة.

(84)- محمد رجب البيومي: صداقة الفكرة بين شلتوت والرسالة، مجلة الأزهر، السنة 35، عدد شعبان 1383هـ، ص:154.

(85)- محمود شلتوت:مقدمة على تفسير مجمع البيان للطبرسي، مجلة رسالة الإسلام، السنة 10، العدد 3، يوليو 1958م،ص:233.

الفرع الثاني: الشيخ شلتوت رجل الإصلاح الديني والتجديد الشمولي.

كان الإمام محمد شلتوت لسانا صادقا من ألسنة الإصلاح الديني، وقد كان ينشر مقالاته الإصلاحية في مجلة الرسالة الأدبية، التي كان يترأسها أحمد الزيات، يقول البهي –في خطاب بعثه إلى الزيات–: «إن مدرسة الرسالة لتمثل في تاريخنا المعاصر تجديدا أدبيا فكريا، وروحيا قوميا تمتد جذوره وأصوله في مدرسة الإمام محمد عبده»[86].

وهذه العبارة تحدد لنا سر الصداقة العميقة التي نشأت بين الرسالة وبين زعماء الإصلاح الديني في مصر ومنهم الشيخ محمود شلتوت، حتى أن أحمد الزيات ليعلن ذلك صراحة حين يقول: «تعتقد الرسالة أن الأستاذ شلتوت لسان صادق من ألسنة الإصلاح الديني في هذا العصر، فإذا أيّد الرسالة في دعوتها الإصلاحية بقلمه ولسانه كسبت منه ما كسبته الدعوة الكبرى من عمره»[87].

ومن السهل الميسور لمن يريد أن يؤرخ لكفاح الشيخ شلتوت الإصلاحي في نهضة الأزهر، أن يرجع إلى أعداد الرسالة والمجلات الأخرى، فسيرى من خلالها أن الشيخ كان يرى أن الإصلاح إنما يهتم أولا بالإصلاح الديني التعليمي في جامعته العريقة؛ لأن في ذلك صلاحا للمجتمع كله، وذلك لأن الأزهر الشريف هو «الوارث الوحيد للثقافة الإسلامية، منه نبتت وعلى أيدي شيوخه وتلاميذه ترعرعت، وهو الذي أواها حين تنكر لها الناس... وفي أروقته... شهدت الحرية الفكرية في أزهى عصورها... والعالم الآن يرقبه، فإن هو قام بحق الدين والعلم والإصلاح، فقد أثبت أبناؤه أنهم ورّاث هذا المجد التليد عن جدارة»[88].

يقول الشيخ شلتوت: «ومن هنا أرى أن الثورة الإصلاحية[89] لابد أن تعالج الأزهر بما يحقق لها أهدافها النبيلة –لا في مصر وحدها– بل في العالم الإسلامي كله»[90].

ولذلك انصرف الشيخ إلى خدمة الإسلام بالتعليم والتأليف والإصلاح، وكان قد سبقه في

---

(86)– محمد رجب البيومي: صداقة الفكرة بين شلتوت والرسالة، مجلة الأزهر، الجزء6، عدد شعبان 1383هـ، ص:149.

(87)– المرجع نفسه، ص:150.

(88)– محمد عبد اللطيف دراز : الإسلام، الأزهر، التقريب، مجلة رسالة الإسلام، السنة الأولى، العدد الثالث، رمضان 1368هـ، يوليو 1949م، ص:237.

(89)– يحدد الشيخ مفهوما واضحا للصلاح بقوله: «هو تنشئة صالحة في بيئة طيبة تحت قيادة رشيدة مؤمنة»، مجلة الأزهر، م30، عدد9، رمضان 1378هـ، ص:791.

(90)– محمود شلتوت: ندوة العلم والتعليم في خدمة العلم من كتاب: من هدي القرآن، ص:288.

محاولة هذا الإصلاح ثلاثة من أبناء الأزهر النابغين ولكنهم منوا جميعا بالعجز عنه لاستبداد القصر يومئذ بسياسة الأزهر، «فقضى محمد عبده بحسرة من بغي عباس، ومضى المراغي بخيبة من هوى فؤاد، وخرج عبد المجيد سليم بتروة من نزق فاروق، ...فاتبع الأول وكان يتحرق أسفا على تعويقه عن مقصده، وأيد الثاني وكان يضيق ذرعا بطول تردده، وعاون الثالث وكان يرتمض أسى على كف يده، وانفرد هو بدعوة الإصلاح الأزهري بعد فشل دعاته من قبل»[91].

ومن الجهود الإصلاحية التي قام بها، والتي تدل على أنه مصلح اجتماعي ما يلي:

1- تأييده لمذكرة المراغي الإصلاحية للأزهر في عهد مشيخته الأولى للأزهر، وذلك بما كان ينشره من مقالات في الصحف والجرائد اليومية.

2-تقدمه باقتراح إلى هيئة كبار العلماء يدعو إلى إنشاء مكتب علمي دائم للجماعة تكون مهمته ما يأتي:

«أ-معرفة ما تهاجم به الأديان عامة والدين الإسلامي بخاصة في عصرنا الحاضر مع الرد عليه.

ب-بحث ما يحصل فيه الاختلاف بين علماء العصر من جهة أنه بدعة يجب تركها، أو ليس كذلك، ووضع الأصول الكفيلة بتمييز ما هو بدعة مما ليس ببدعة.

ج- العمل على وضع مؤلف يحتوي على بيان ما في كتب التفسير المتداولة من الإسرائيليات التي دست على التفسير وأخذها الناس على أنها من معاني القرآن...

د- بحث المعاملات التي جدت، وتوجد في العصر الحاضر من جهة حكم الشريعة فيها...

هـ-تنظيم طرق الوعظ والإرشاد، والاتصال بالهيئات المعدة لذلك.

و-إحياء الكتب النافعة في مختلف العلوم والإشراف على مجلة الأزهر وإصدار الفتاوى في ما يطلب من الاستفتاءات»[92].

3-ألقى محاضرته العلمية الشهيرة في إصلاح الأزهر سنة 1312هـ فبراير 1943م. وكان

---

[91]- أحمد حسن الزيات: الإمام الأكبر محمود شلتوت، مجلة الأزهر، مرجع سابق، عدد شعبان 1383هـ، ص:643.

[92]- محمد محمد المدني: صفحة بيضاء من جهاد شلتوت في سبيل الإصلاح الديني والتقريب بين المسلمين، مجلة الأزهر، المرجع نفسه، ص:652-653.

عنوانها "السياسة التوجيهية العلمية في الأزهر"[93]، أما عناصر المحاضرة فأهمها قوله: «لم تزل كتبنا هي الكتب المعقدة التي لها طريقة خاصة في التأليف، لا يفهمها كل من يعرف اللغة العربية» «لم نحاول أن نقرب للناس ولا لأنفسنا هذه الكتب و لم نحاول أن نأخذ النافع منها لنعرضه عرضا يروج عند أهل العصر» «لم نزل ننفق أوقاتنا في المناقشة اللفظية، وفي خدمة نصوص المتون وعبارات المؤلفين، ونحن لا نقرأ من المقررات إلا نسبا ضئيلة تافهة لا تكوّن ملكة... وإن العامل الذي وقف بالأزهر يرجع إلى أن الإصلاح لم ينفذ بالروح التي وضع بها... وإلى أن تحدث هذه الخطوة الجريئة سيبقى الأزهر في عزلته عن الأمة لا يسعفها بحاجتها... ولو سن له ألف قانون»[94].

4-وكانت محاضرة أخرى له بعنوان: "ندوة العلم والتعليم في خدمة المجتمع"[95]، يقول فيها: «وإذا كنا والحمد لله صرنا إلى عهد الإنقاذ الجاد، فإني أرى علاجا لهذا الشأن، إن أهم ما يجب أن يتجه إليه، ويبادر بوضع أسس التوجيه فيه خدمة للمجتمع هو الأزهر، الذي وحده يستطيع أن يعمل على غرس الروح الديني السليم في النفوس..»[96].

و يتابع ذلك بأن الهدف إنما يكمن في غرضين أساسيين: «أولهما: تخريج علماء مبرزين أرباب بحث واجتهاد سليم في جميع نواحي الفكر الإسلامي... وقد وضع قديما في قانون الأزهر ما عرف باسم (تخصص المادة)، لكن طويت صفحته.

و ثاني المهمتين: تخريج دعاة ومرشدين أقوياء في العلم والإدراك والتدين، لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن الدعوة إلى الله... وتهذيب النفوس ... وإصلاح البشرية وتوجيهها إلى ما يسعدها أقصى ما يبتغون»[97].

هذا هو الإصلاح في نظر الشيخ شلتوت، وهذه هي قيمة ذلك الرجل المصلح، ووزنه بين رجال الإصلاح الديني في العالم الإسلامي.

---

[93]- محمد البيومي: صداقة الفكرة بين الرسالة وشلتوت، مجلة الأزهر، عدد شعبان، 1383هـ، فيفري 1984م، ص:152.

[94]- تنظر كاملة في كتاب: محمد خفاجي: الأزهر في ألف عام، 13/3- 22.

[95]- محمود شلتوت: من هدي القرآن، طبعة دار الكتاب العربي، ص:280-289.

[96]- المصدر نفسه، ص:286.

[97]-المصدر نفسه، ص:288، وينظر : يوسف القرضاوي : رسالة الأزهر بين الأمس واليوم والغد ، مرجع سابق ،ص:38 .

الفرع الثالث: الشيخ شلتوت ومدرسة الإمام محمد عبده.

نشأ الشيخ شلتوت في مدرسة الإمام محمد عبده، وتشبع من أفكارها وتوجيهاتها، وقد أفاد الشيخ من كتابات الإمام محمد عبده، والشيخ رشيد رضا، كما أفاد أيضا من كتابات الإمامين ابن تيمية وابن القيم، وورث عنهم صفات عديدة، أيقظت فيه شعور الإسلام الشامل، الداعي إلى وحدة المسلمين وإلى نهضتهم، إذ امتلأت مسامعه –وهو يطلب العلم– بالصوت المجلجل عن جمال الدين وعن محمد عبده، أن أفيقوا أيها المسلمون وعودوا إلى مجد أسلافكم، كما كان لذكاء المراغي الحاد، وإلمام عبد المجيد سليم الواسع للعلوم أثر واضح في بلورة شخصية الشيخ شلتوت العلمية.

يقول الشيخ شلتوت عن ابن تيمية: «لقد سمعنا في أوقات كثيرة أن ابن تيمية ضال مضل، ونفر المرجفون الناس من مذهبه، ولكنه تكشف لهم الأمر فعرفوا أنه هاد ومهدى»[98]، كما تحدث عن ثورة الشيخ محمد عبده وثورة المراغي الإصلاحيتين للأزهر الشريف، واعتبرها أولى خطوات الإصلاح الجاد، والوعي المستنير[99]، ورسم لنا أيضا نظام المدرسة التي نشأ فيها في تأبين صديقة الشيخ عبد الوهاب خلاف بقوله: «نبت في أول القرن الحاضر (القرن العشرين) في بيئة العلوم الشرعية والعربية إذاك صورتان: صورة قديمة غالبة وطابعها التمسك بقديم الرأي، وحرمة الاشتغال بالعلوم العقلية والرياضية.. وصورة حديثة فتية هيأها القدر على يد الأستاذ الشيخ محمد عبده في أواخر القرن الماضي وطالبها العمل الجاد في تحطيم تلك القيود... ثم توجيهها إلى سبيل النمو الفكري، والإنتاج العلمي الذي تقضي به طبيعة الحياة...»[100].

كان إذن الشيخ شتلوت من نجباء مدرسة الإمام محمد عبده والتي حملت لواء النهضة الدينية والأدبية والاجتماعية في العصر الحديث بإبراز محاسن الشريعة الإسلامية وصلاحيتها لكل زمان ومكان، والعناية بتفسير كتاب الله تعالى، تفسير ترتسم من خلاله هداية الله إلى الناس أجمعين، تفسيرا مجردا من الخرافات والروايات الضعيفة خالصا من الإسرائيليات، بعيدا عن الاصطلاحات الفنية والاستطرادات في العلوم المختلفة التي تشغل القارئ عن فهم هداية الله في الأنفس والآفاق والعقائد

---

[98]– حديث الإمام شلتوت شيخ الأزهر مع الدكتور طه حسين أثناء زيارة الأخير لشيخ الأزهر في مكتبة بإدارة الأزهر نشر بمجلة الأزهر، المجلد1، ص:495.

[99]– ينظر: محمود شلتوت: ندوة العلم والتعليم في خدمة المجتمع من كتابة "من هدي القرآن"، ص:286-287.

[100]– كلمة الشيخ شلتوت في تأبين الشيخ عبد الوهاب خلاف، مجلة مجمع اللغة العربية، ع12 ،1956، ص :227 .

والأخلاق[101]، وتميزت بصوغ التفسير بأسلوب أدبي عصري يلبي حاجته ويشبع رغبة المطلعين عليه والقارئين له في التماس هداية الله سبحانه وتعالى.

ونتيجة لذلك جرى الشيخ شلتوت –وفق أصول هذه المدرسة– على عدم الأخذ بأخبار الآحاد في العقائد[102] ،وعلى إنكار التقليد، وتقديس الآراء والكتب القديمة دون غربلتها[103]، بل ويصرح أن منهجه في العقائد هو نفس منهج الإمام محمد عبده[104]، وعلى تحكيم العقل وتقديمه على الوحي عند التعارض[105] وغير ذلك مما يعرف بأصول المدرسة العقلية الاجتماعية الحديثة[106].

غير أن الشيخ شلتوت لم يكن متأثرا بهذه المدرسة إلى درجة يجعله فيها مقلدا لغيره، وإنما كان مسايرا لمنهاجها، ومتبنيا لبعض أفكارها إتباعا للحجة واقتناعا بالدليل، وتمثلا بروح الاجتهاد؛ والذي ينأى –من خلاله– من توفرت فيه أوصافه أن يقلد مذهبا بعينه، كيف لا؟ والشيخ شلتوت قد ارتفع صوته بالتحذير من إتباع مذهب بعينه، كما أنه قد خالف هذه المدرسة في كثير من أفكارها، كرأيه في السحر والملائكة، والقصص القرآني، والحروف المقطعة في أوائل السور وغير ذلك مما سنعرفه عن منهجه العام في تفسيره "تفسير القرآن الكريم".

الفرع الرابع: الشيخ شلتوت داعية الوحدة وإمام التقريب.

قد عمل الشيخ شلتوت جاهدا على إعادة الوحدة الإسلامية، وجمع كلمة المسلمين ومن أجل ذلك عمل على تقريب شقة الخلاف بينهم في الجنسية أو المذهبية، للتخلص من العداوة المتبادلة بين أهل المذاهب الإسلامية.

والتقريب –كما يعرفه أهله– «فكرة إصلاحية إسلامية مستقلة قائمة على البحث الصحيح والعلم»[107]، تهدف إلى جمع كلمة المسلمين وتوحيد كلمتهم ونبذ الخلاف بينهم، فهو بهذا «اتجاه

---

[101]– عبد العزيز عزت عبد الحكيم محمود: الشيخ شلتوت ومنهجه في التفسير، مخطوط، رسالة دكتوراه، ص:70.

[102]– ينظر كتابه: الإسلام عقيدة وشريعة، ص:56-61. ط.دارالشروق.

[103]– محمود شلتوت:من توجيهات الإسلام، ص:117-119، ط. دارالشروق.

[104]– محمود شلتوت:كتاب الفتاوى، ص:166. ط.دار الشروق، 2004م.

[105]– أحمد محمد جاد عبد الرزاق: فلسفة المشروع الحضاري بين الإحياء الإسلامية والتحديث الغربي، 2/874-879.

[106]–ينظر: فهد الرومي: اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر الهجري، 2/705-859.

[107]–محمد تقي القمي: رجال صدقوا، مجلة رسالة الإسلام، مرجع سابق،ص:192.

جاد داخل الإسلام لصيانة وحدة المسلمين»[108]، وذلك بأن يجتمعوا على أصول واحدة يتفقون عليها هي جوهر الإسلام وحقيقته، وأن يعذر بعضهم بعضا فيما يختلفون فيه الذي هو من فروع الدين التي يجوز الاجتهاد فيها أصلا[109]، وهذا بخلاف التوحيد" الذي يعني الإدماج، ونفي قاعدة التمايز والاختلاف»[110].

يقول الشيخ شلتوت: «لقد دعا الإسلام إلى الوحدة وجعل المحور الذي يتمسك به المسلمون ويلتفون حوله هو الاعتصام بحبل الله»[111].

ويقول أيضا: «ولم يبرز خلاف بين أرباب المذاهب الإسلامية إلا حينما نظروا إلى طرق الاجتهاد الخاصة، وتأثروا بالرغبات... فوجدت ثقوب نفذ منها العدو المستعمر، فأخذ يعمل على توسيع تلك الثقوب حتى استطاع أن يلج منها إلى وحدة المسلمين يمزقها...» [112].

وينفي الإدماج بقوله: «...وإذن فنحن لا نريد ولا ندعو بين الناس على مذهب واحد، لا نريد أن يندمج مذهب الشيعة في مذهب السنة أو العكس، ولكن نريد أن يصل المسلمون إلى لون واضح من ألوان التعاون[113] القائم على المحبة، وترك العصبية، والبعد عن سوء الظن...» [114].

ولذا كان الشيخ شلتوت من المؤسسين الأوائل لدار التقريب بين المذاهب الإسلامية، ومن المنافحين عن فكرتها، يقول في ذلك : «لقد آمنت بفكرة التقريب كمنهج قويم، وأسهمت منذ أول يوم في جماعتها...» [115].

---

[108]-محمد عبد الله المحامي: معالم التقريب، مجلة رسالة الإسلام،عدد 55، المجموعة الثانية ،ص:203.

وأما مدرسة أو دار التقريب فهي «مدرسة فكرية علمية، لها قواعدها وأسسها، جاءت لعلاج التفكك والاضطراب اللذين سببهما سوء فهم الخلاف المذهبي على حقيقته»، محمد تقي القمي: للعقول لا للعواطف، مجلة رسالة الإسلام، ع51، 1962، ص:244.

[109]- وذلك وفق القاعدة الأصولية التي حددها علماء الإسلام: «لا إنكار في المسائل الاجتهادية»، ابن تيمية : مجموع الفتاوى ، طدار المعارف:106/1، 60/6، وغيرهما.

[110]- محمد عمارة: التقريب بين المذاهب الإسلامية: WWW. Google. Com، ص:1.

[111]- مجلة رسالة الإسلام، أبناء وآراء ، العدد1 ، السنة11 ، يناير 1959م ،ص:107.

[112]- مجلة رسالة الإسلام، المرجع نفسه، أنباء وآراء، ص:108.

[113]- يقول الشيخ شلتوت عن ذلك : " ... إن أعز أمانينا أن يتعارف المسلمون؛ لأنهم إذا تعارفوا تكاشفوا ، وإذا تكاشفوا تواصفوا الداء وبحثوا عن الدواء" ، مجلة الأزهر، م30، عدد9، رمضان 1378هـ، ص:764.

[114]- مجلة رسالة الإسلام، العدد 2 السنة 11، شوال 1378هـ، ص:218.

[115]- محمود شلتوت: مقدمة قصة التقريب، مجلة رسالة الإسلام، المرجع نفسه، عدد55، المجموعة الثانية، ص:196.

وقد ساهم فيها بأنشطة كثيرة، كان أهمها المشروع العلمي في جمع الأحاديث المتفق عليها معنى بين السنة والشيعة في مختلف أبواب الفقه، في مصنف منسق، ليجد المسلمون فيه مظهرا واضحا من مظاهر التقريب[116]، كما أنشأ رفقة زميله الأستاذ محمد تقي القمي دار التقريب في القاهرة وكان له-أيضا- الفضل الكبير في إدراج وتدريس المذهب الإمامي في الأزهر الشريف إضافة إلى المذاهب الإسلامية الأخرى المعتمدة [117].

وقد بذل جهدا ملحوظا في هذا الاتجاه حتى اشتهر بأنه " إمام التوفيق والتقريب" رغم أن هناك أئمة كبارا سبقوه أو شاركوه في هذا الجهد القيم؛ ولكنه بذل فكره وحياته من أجل جمع كلمة المسلمين، وتوحيد صفوفهم، وكان يعلم من نفسه أن هذه الفكرة لن تلقى قبولا عاما لدى كل المسلمين ؛ بل وجد فيهم من وصفهم بقوله : «حارب هذه الفكرة ضيقوا الأفق، كما حاربها صنف آخر من ذوي الأغراض الخاصة السيئة، ولا تخلو أية أمة من هذا الصنف من الناس»[118]، ولكنه استطاع بعلمه وفكره الإصلاحي، أن يرسخ هذه الفكرة على أنها حقيقة ثابتة وكانت بذلك كما قال –رحمه الله-:«نقطة تحول في تاريخ الفكر الإسلامي قديمه وحديثه» [119].

المطلب الثاني: مؤلفاته- العلمية.

قد ترك لنا الشيخ شلتوت تراثا علميا، ذا قيمة عظيمة اشتملت على بحوث ودراسات صدرت في كتيبات ثم جمعت في كتب كبيرة جامعة لها هي : 1-كتاب الإسلام عقيدة وشريعة.

2-كتاب الفتاوى.

3-كتاب من توجيهات الإسلام.

4-كتاب تفسير القرآن الكريم، الأجزاء العشرة الأولى.

لذا فإننا سنعرف بهذه الكتب من خلال الفروع الآتية:

الفرع الأول: كتاب " الإسلام عقيدة وشريعة ".

قدم له محمد البهي بمقدمة مسهبة جاءت بمثابة تركيز لفكرة اتجاه الثقافة العلمية إلى نشر البحوث الإسلامية القوية، كي تؤدي رسالتها في إيقاظ الوعي الإسلامي.

---

[116]- نشرته رسالة الإسلام في العدد50، في الأنباء والآراء.

[117]- محمود شلتوت: مقدمة قصة التقريب، ص:198.

[118]- المرجع نفسه، ص:201.

[119]- المرجع نفسه،ص:202

اعتمد هذا الكتاب على أصول ثلاثة: «منهج، ودراسة، وتفكير حر نزيه وهذه الأصول الثلاثة إذا تجرد كتاب منها أو من بعضها أصبح شبحا لا روح فيه» [120].

وقد عودنا الشيخ شلتوت في كل بحوثه، أن يرسم لها تخطيطا أولا، وأن يضع أداءه في إطار من الدراسة الواعية العميقة ثانيا، وهو في مرحلتي التخطيط والدراسة، المفكر الحر، والعقلية الأصيلة التي لا تهتز لرغاء العقليات المتجمدة، ولا لصرير الأقلام التي تميزت بالتزمت في دنيا التفكير[121].

مهّد الأستاذ الأكبر لمؤلفه هذا، ببحث مركز عن الإسلام، وعن القرآن، وعن الفهم الإنساني-الاجتهاد-، وبيّن من خلال العلاقات بينها سماحة الإسلام على أنه دين يتسع للحرية الفكرية، فيما وراء العقائد وأصول الشريعة التي لا تقبل ولا تحتمل اجتهادا ولا أفهاما. [122].

وتحدث-رحمه الله-في نهاية هذا التمهيد عن المساواة بين بني الإنسان بالنسبة للإسلام، وعن مساواة المرأة للرجل في المسؤولية الدينية والمدنية معا. [123].

والكتاب كما هو واضح من عنوانه شطران : عقيدة وشريعة.

في الشطر الأول شرح الشيخ أصول العقيدة الإسلامية،و بيّن أن طريق الإسلام إلى الإيمان ليس فيه إكراه؛ لأن طبيعة الإسلام والإيمان بالله الدائرة بين النـــظر العقلي وبين الوجـــود الفطـــري تأبى ذلك. [124]

وفي الفصل الثاني من الشطر الأول : ناقش الأستاذ الأكبر موضوعا دقيقا، وهو " طريق ثبوت العقيدة " وقرر —وفق رأيه- أن العلماء متفقون على أن الدليل العقلي الذي سلمت مقدماته، وأشهدت في أحكامها إلى الحس أو الضرورة يفيد ذلك اليقين، أما الأدلة النقلية فمشروط في يقينيتها قطعية ورودها ودلالتها. [125]

وعلى هذا الأساس، فإن الشيخ يعتبر أن القرآن الكريم، هو الطريق الوحيد بثبوت العقائد فيها ما كان من آياته قطعي الدلالة لا يحتمل معنيين فأكثر، وأما السنة فيشترط الشيخ تواترها لذلك-

---

[120]- عبد الله السمان، الكتاب الإسلام عقيدة وشريعة، مجلة الأزهر، الجزء6، المجلد31، جمادى الآخرة، 1379 هـ، ديسمبر 1959م، ص:628.

[121]- المرجع نفسه.

[122]- ينظر كتاب: محمود شلتوت: الإسلام عقيدة وشريعة، ص:6-13، ط دار الشروق2001م.

[123]- المصدر نفسه، ص:13.

[124]- المصدر نفسه، ص:17-51.

[125]- المصدر نفسه، ص:52-69.

وقليل هي-؛ وذلك إذ أخرجته جميع كتب الحديث المشهورة المتداولة، وتعددت طرق إخراجه تعددا تنفي العادة معه التواطؤ على الكذب، وثبت هذا التعدد في جميع طبقاته، أوله وآخره ووسطه[126]، وهذا من صنيع المتكلمين.

وأما الشطر الثاني من الكتاب، فقد كان بحثا مطولا عن الشريعة والتي هي " اسم للنظم والأحكام التي شرعها الله وكلف المسلمين إياها "، وهي ترجع إلى ناحيتين:

أ-العبادات: وهي ناحية العمل الذي يتقرب به المسلم إلى ربه، ويستحضر به عظمته، ويكون عنوانا على صدق في الإيمان به، ومراقبته، والتوجه إليه.

ب-المعاملات: وهي ناحية العمل الذي يتخذه المسلم سبيلا لحفظ مصالحه ودفع المضار فيما بينه وبين أخيه المسلم، وفيما بينه وبين غيره.

وبعد أن شرح الأستاذ الأكبر العبادات تفصيلا وأبرز من خلاله فلسفة التشريع، طرق جانب المعاملات، فتحدث عن نظام الأسرة؛ تكوينها، تعدد الزوجات، وضع المرأة في نظر الإسلام، والمواريث، ثم عن الأموال والمبادلات، ثم عن العقوبات ومسلك الشريعة، وهدفها في تقريرها، ثم عن وضع الأمة في الإسلام.[127]

وقد ألحق الشيخ بالشطرين السالفين، قسما ثالثا تحت عنوان " مصادر الشريعة"، وقرر من خلالها أنها أوسع نطاقا من مصادر العقيدة، وقد حصرها في : القرآن نصه ومحتمله، والسنة بشرط صحة نقلها، والرأي عن طريق النظر في محتمل القرآن والسنة، وبيّن تفاصيل الأخذ بها، وبيّن أهمية الاجتهاد في دوام الشريعة وصلاحيتها لكل زمان ومكان.[128]

وقد تميز كتابه بالسهولة في العرض، وإبراز حكمة التشريع، وبالجمع بين القلب والعقل، وبالواقعية في طرح بما يلبيّ حاجة المسلم في عصره، وبالإحاطة والتركيز والشمول دون التقيد بمذهب معين من المذاهب الإسلامية.

---

[126]- المصدر نفسه، ص:61-62.

[127]- المصدر نفسه، ص:73-465.

[128]- المصدر نفسه، ص:468-550.

يقول عنه عبد الله السمان: «إن كتاب الإمام الأكبر سيسد فراغا في المكتبة الإسلامية، فلأول مرة على وجه التقريب، يخرج إلى عالم الوجود كتاب مستقل يجمع بين نصيه الإسلام، في عرض مركز ودراسة عميقة، وبعقلية متحررة».[129]

الفرع الثاني: كتاب الفتاوى.

هذا الكتاب من الكتب الهامة التي ألفها الشيخ محمود شلتوت مستوعبا فيه أحداث عصره، وهو بذلك خلاصة وتطبيق؛ خلاصة لما سبق من فتاوى كانت حلا للمشكلات في مجتمعاتها وأزمنتها، وتطبيق يناسب روح العصر وأسلوبه.

يقول الشيخ في مقدمته: «وهذه مجموعة من الفتاوى والأحكام أجبت بها على أسئلة السائلين في موضوعات مختلفة، لم ألتزم فيها مذهبا خاصا و لم أتقيد برأي فقيه معين إلا بالكتاب العزيز

والسنة الصحيحة وقواعد الإسلام العامة الخالدة ...».[130]

جمعت الفتاوى حسب الموضوعات، وقسمت إلى :

القسم الأول: عقائد وغيبيات تحدث فيها عن الروح والجن والإنس واستطلاع الغيب والتشاؤم وما إلى ذلك.

القسم الثاني: العبادات في الطهارة والصلاة والزكاة والصوم والحج.

القسم الثالث: عادات ومبتدعات تحدث فيها عن الابتداع المذموم في الإسلام، وعن موالد المشايخ، وعادات المآتم وغير ذلك.

القسم الرابع: في الإيمان والنذور والكفارات.

القسم الخامس: في الأسرة والأحوال الشخصية.

القسم السادس: في المعاملات المالية.

القسم السابع: في الأطعمة والأشربة والزينة.

القسم الثامن: في الاجتماعيات.

القسم التاسع: متفرقات حول آيات من القرآن الكريم.

ويتميز هذا الكتاب بما يلي:

---

[129]- عبد الله السمان: كتاب الإسلام عقيدة وشريعة، مرجع سابق، ص:634.

[130]- محمود شلتوت: كتاب الفتاوى، ص:12-13،ط دار الشروق 2004م.

1- طابع التيسير في حل المسائل اليومية، وهو طابع عام للفتوى، والطابع الخاص لفتاوى الشيخ هو الإحساس القوي بالحياة اليومية، وأحداثها، والعمق في فهم الإسلام وتطبيق مبادئه.

2- عدم التقيد بمذهب معين، بل الأخذ بالقرآن الكريم وبالسنة الصحيحة وبقواعد الإسلام ومقاصده الخالدة.

3- استيعاب أحداث العصر، واتصال مباشر بها، وتطبيق حكم الإسلام عليها.

4- العمق في الدراسة والبحث، والرجوع إلى روح الإسلام، والفهم المستقيم لطبيعة الإنسان، والاستيعاب الواسع لعناصر المشاكل المعايشة.

5- تقديم الحلول للمسائل العملية التي تقع في حياة المسلم المعاصر.

6- إبداء الرأي في الأحداث التي جدت، والتي لم يعرفها السابقون.

7- استخدام الأصول الفقهية والقواعد الشرعية في المسائل المستجدة.

8- وأخيرا تميزه بفهمه الدقيق لأهداف الإسلام، ومقاصد الشريعة الإسلامية.[131]

الفرع الثالث: كتاب " من توجيهات الإسلام ".

يتمحور هذا الكتاب حول أربعة جوانب أساسية:

أولا: تصحيح بعض المفاهيم الدينية: مثل: الدين-الإسلام-الدنيا-اللهو واللعب-الطيبات-الفقر..الخ، مما يصحح للناس تصوراتهم حول الإسلام، وإصلاح حياتهم الدينية والاجتماعية.

ثانيا: توضيح موقف الإسلام: من بعض القضايا المتعلقة بعلاقة المسلمين بغيرهم: كالحرب والسلام-الجهاد في سبيل الله-الشخصية الإسلامية -الإعداد ...الخ، وتصحيح الفهم لكل هذه القضايا.

ثالثا: الأخلاق الإسلامية: ركز فيه الشيخ على الأخلاق التي تتعلق بالرباط والتعاون مع المسلمين، بعضهم مع بعض، كالمعاملة، والرحمة، وإغاثة الملهوف...الخ، وربط ذلك بواقع الناس، وطبع سلوكاتهم بها.

رابعا: خاصة العبادات: مبرزا أهداف في تحقيق الترابط و التكاتل، والوحدة الإسلامية العامة على حساب الأنانية الفردي، متناولا بعض العبادات فقط كالصيام والحج وأثرها في بناء شخصية المسلم.

---

[131]- مقدمة محمد البهي لكتاب" الفتاوى"، نشرت بمجلة الأزهر، الجزء السابع، السنة 31، المجلد31، رجب 1379هـ، يناير 1960م، ص:756-759 بتصرف.

الفصل الثاني: الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم.

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: الوحدة الموضوعية للمصطلح والموضوع القرآني.

المبحث الثاني: الوحدة الموضوعية للسورة القرآنية.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الأول: الوحدة الموضوعية للمصطلح والموضوع القرآني.

إن التفسير الموضوعي تنبثق فكرته من مفهوم الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم، أو في السورة القرآنية، لأنه يلتمس من خلال ذلك موقفا قرآنيا أو حقيقة قرآنية لموضوع ما من موضوعات الحياة الدينية واللغوية[1]،وقبل أن ندرسها من خلال المصطلح والموضوع القرآني نمهد لها بحسب المطالب الآتية:

المطلب الأول: مفهوم الوحدة الموضوعية، تاريخها ومسمياتها.

لنا أن نتساءل قبل كل شيء: ما هي الوحدة الموضوعية؟ وهل لها مفهوما واضحا لدى الباحثين والدارسين؟ وهل كانت معالمها واضحة لدى المتقدمين؟ وهل تعرف بهذا الاسم فقط؟ أم لها مسميات أخرى؟ تطابقها وتماثلها، أم أنها تختلف عنها؟.

الفرع الأول: مفهوم الوحدة الموضوعية.

أولا: التعريف اللغوي:

1-الوحدة:

يقول ابن فارس: « (وحد)، الواو والحاء والدال: أصل واحد يدل على الانفراد، من ذلك الوحدة، وهو واحد قبيلته إذا لم يكن فيهم مثيله...» [2].

ويقال: «واحد وحدان بمعنى الأحد، وَوَحَدَ وُحُودًا وَوَحْدًا وَوَحْدَةً بقي مفردا»[3]، ويقال: «نسيج وحده أنه لا ثاني له، وأصله الثوب الذي لا يُسدى على سداه لرقته غيرُه من الثياب»[4].

وجاء في "مفردات" الراغب: «الواحد في الحقيقة هو الشيء الذي لا جزء له البتة، ثم يطلق على كل موجود حتى أنه ما من عدد إلا ويصح أن يوصف به فيقال: عشرة واحدة، ومائة واحدة، وألف واحد...» [5]،فالوحدة هي التفرد بالشيء واستقلاله به، وعدم وجود نظير له، ولا يمكن

---

[1]- ينظر: زياد الدغامين: منهجية البحث في التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ط1، دار البشير، ص:15-16.

[2]- أحمد بن فارس: معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون، باب الواو والحاء وما يثلثهما،6/ 90-91.

[3]- الفيروز آبادي: القاموس المحيط، باب الدال، فصل الواو: 1/ 340.

[4]- الزبيدي: تاج العروس، تحقيق أحمد فراج عبد الستار، باب الدال مع الحاء: 9/ 272.

[5]- الراغب الأصفهاني: مفردات غريب القرآن، دار المعرفة،ط4 ، 2004م، ص:530.

تجزئته، وهناك معنى ثان أضافه الراغب: وهو تماسك أجزاء الماهية الواحدة، فهو يدل على القوة والتماسك والتفرد.

أما استعمالها في القرآن، فلا يكاد يغاير المعنى اللغوي الذي أقررناه[6].

2-الموضوع: قد تعرضنا له من قبل في التمهيد[7].

ثانيا: التعريف الاصطلاحي.

1-تعريف الوحدة الموضوعية كمركب وصفي:

هي «اتحاد الموضوع الذي ذكر متناثرا، وأنه لا تباين فيه ولا اختلاف؛ بل يؤلف وحدة موضوعية كاملة»[8].

2-التعريف العلمي والأدبي للوحدة الموضوعية:

هو «أن يكون النص الذي سيق لمعالجة قضية أو مسألة من المسائل، مترابطا في جزئياته متناسقا في أفكاره، لا يخرج عن فحوى هذه القضية، أو الموضوع الذي يتناوله بما لا صلة له به من أفكار وآراء لا تخدم هذا البحث ولا تفيده»[9].

وعدم الموضوعية تعني «مجموعة من الأفكار المتناثرة التي لا يوجد بينها ارتباط حقيقي يجعل الكلام منسجما فيما بينه»[10].

3-تعريف الوحدة الموضوعية كمركب علمي.

هناك تعاريف عديدة، تناولنا بعضها في عنصر التعريف بالتفسير الموضوعي، والغالب عليها أنها لم تدقق في ذلك، و لم تعط تعريفا مستقلا للوحدة الموضوعية من ناحية، و لم تبرزه تعريفا جامعا مانعا من ناحية أخرى، وإنما تعرضت للوحدة الموضوعية أثناء تعريفها للتفسير الموضوعي، وجعلتها غاية مرجوة له، وهدفا من خلاله.

---

[6]- ينظر: معجم ألفاظ القرآن الكريم لمجمع اللغة العربية بالقاهرة: 2/ 829-830.

[7]- في تعريفه اللغوي من الفصل الأول لهذا البحث، ص: 3-4.

[8]- محمد حجازي: الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم، ط2، الزقازيق، مكتبة دار التفسير ، 2004م، ص:29.

[9]- عبد الجليل عبد الرحيم: التفسير الموضوعي للقرآن في كفتي الميزان، الطبعة الأولى 1992م، ص:35.

[10]- المرجع نفسه.

وليس معنى هذا أنه لم يوجد من تناولها بالدرس والشرح،كلا ؛ بل لقد تعرض لها الكثيرون، لكن الذي حدد تعريفا علميا جامعا لها هم القلة منهم، ثم إن التفريق بين الوحدة الموضوعية للمصطلح والموضوع القرآنيين من جهة، وبين الوحدة الموضوعية للسورة القرآنية من جهة أخرى، هو الأسلم في بيان هذا التعريف.

فالوحدة الموضوعية للمصطلح أو الموضوع تعني: «أن القرآن الكريم اشتمل على مصطلحات وموضوعات التي تفرقت أجزاؤها في القرآن الكريم»[11]، ولعل أول من أشار إلى ذلك السيد محمد باقر الصدر بقوله: «الاتجاه التوحيدي أو الموضوعي... يحاول القيام بالدراسة القرآنية لموضوع من موضوعات الحياة العقلية أو الاجتماعية أو الكونية... يستهدف (من خلال ذلك) تحديد موقف نظري للقرآن الكريم، وبالتالي للرسالة الإسلامية...» [12].

وأما التعريف المختار فهو تعريف المرحوم محمد حجازي قوله في ذلك: «هي البحث عن القضايا الخاصة التي عرض لها القرآن الكريم في سوره المختلفة، ليظهر ما فيها من معان خاصة تتعلق بالموضوع العام الذي نبحثه، لنحقق الهدف منه»[13].

وهو تعريف دقيق، غير أنه لم يذكر المصطلح القرآني ؛ فإذا أضفناه إلى تعريفه صار كالآتي: «هي البحث عن القضايا الخاصة التي عرض لها القرآن الكريم في سوره المختلفة، ليظهر ما فيها من معان خاصة تتعلق بالمصطلح والموضوع العام المتناول بالبحث، من خلال التوفيق والجمع بين عناصره المنسجمة للخروج بموقف قرآني، أو نظرية قرآنية لذلك».

أما الوحدة الموضوعية للسورة القرآنية فهي تعني بأنها «التفسير الذي يتوجه فيه المفسر إلى الكشف عن الموضوع الذي تعالجه السورة في ضوء معطيات آياتها المحكمة النسج والارتباط بأسلوبها المتميز وخصائصها المعجزة بلوغا إلى مقاصدها الهدائية»[14].

فقد تبين أن الوحدة الموضوعية هي التي تتعلق بدراسة موضوع معين من خلال القرآن الكريم، أو سورة معينة، أو دراسة معاني مفردة قرآنية، وأن ذلك يكون من خلال الربط المحكم بين

---

[11]-زياد الدغامين: منهج البحث في التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ص: 16.

[12]- محمد باقر الصدر: المدرسة القرآنية، مصدر سابق بيرون، دار التعارف،د.ت، ص: 12-13.

[13]- محمد حجازي:الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم، ص: 29.

[14]- عبد الجليل عبد الرحيم : التفسير الموضوعي للقرآن في كفتي الميزان ، ص:35- 36.

عناصرها المنسجمة، ثم قاصدا بلوغ الهداية القرآنية من خلال ذلك.

4-الوحدة الموضوعية عند الشيخ شلتوت.

تعرض الشيخ شلتوت للوحدة الموضوعية في نوعيها الرئيسيين، الموضوع القرآني، والسورة القرآنية[15]، ولكنه عرض تطبيقي أكثر منه نظري تأصيلي، و لم يخلُ فيما كتبه من إشارات لمفهوم الوحدة الموضوعية، من غير أن تكون جامعة ومانعة.

ففي الوحدة الموضوعية للموضوع القرآني، يلمح إليها بتعريفه: «أن يعمد المفسر أولا إلى جميع الآيات التي وردت في موضوع واحد، ثم يضعها أمامه كمواد يحللها ويفقه معانيها، ويعرف النسبة بين بعضها وبعض، فيتجلى له الحكم، ويتبين المرمى الذي ترمي إليه الآيات الواردة في الموضوع»[16].

ثم يشرح هذا المرمى بقوله: «بقصد إرشادهم (الناس) إلى ما تضمنه القرآن من أنواع الهداية، وإلى أن موضوعات القرآن ليست نظريات بحتة يشتغل بها الناس من غير أن تكون لها مثل واقعية فيما يحدث للأفراد والجماعات من أقضية...»[1].

وأما الوحدة الموضوعية للسورة القرآنية فيشير إليها بقوله عنها: «وبذلك يؤكد آخرها أولها، ويؤسس أولها لآخرها، وتصير السورة كتلة واحدة»[17].

ويتحدث عن المعاني التي اشتملت عليها السورة والتي تشكل فيما بينها «سلكا واحدا يجمع بين حبات كل جانب، ويعطي للناظر إليه صورة كاملة لجميع ما احتوت عليه تلك السورة»[18].

الفرع الثاني: تاريخ الوحدة الموضوعية.

تحدثنا من قبل عن تاريخ نشأة التفسير الموضوعي، ولمسنا من خلاله الحديث عن الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم، وأنها لم تكن واضحة عند المتقدمين في كتاباتهم، وإن لم تخلُ في ذلك من إشارات إليها-، والسر في ذلك كما يقول بعض الباحثين يرجع إلى سببين: «الأول هو: أن

---

[15]- محمود شلتوت : من هدي القرآن ، دار الكتاب العربي، ص: 333.

[16]- المصدر نفسه ، ص 333- 334.

[17]- محمود شلتوت : تفسير القرآن الكريم، ص: 46 .

[18]- المصدر نفسه ، ص:66 .

التفسير الموضوعي اتجه اتجاها متخصصا، ومبدأ التخصيص لم يكن قديما متجها إليه.

وثانيا: إن حاجتهم لم تكن ماسة لدراسة موضوعات القرآن على هذا النحو»[19].

ثم إن ما كتبوه من موضوعات خاصة كالناسخ والمنسوخ، ومجاز القرآن، وغيرها، «لم يقصد بها حقيقة التفسير، ولا التعرف على موقف القرآن من كل موضوع بعينه»[20].

ويرى مصطفى الصاوي الجويني أن الجاحظ (ت 255هـ) أول من أشار إلى الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم؛ لأنه كان يحيط القرآن بالنظرة الشاملة، وبالتقصي الجزئي لآيات القرآن وموضوعاته.

يقول في ذلك: «ولعل الجاحظ حين سلك مسلك مدرسته في هذا السبيل، ووسع نظرته الشاملة إلى القرآن، متنبها إلى ما ننادي به اليوم من تفسير موضوعي للقرآن، يتناول موضوعا موضوعا في وحدة متكاملة، وفي نسقها التاريخي»[21]، ويمثل لذلك بدرس الجاحظ لموضوع النار في القرآن وموضوعات أخرى، ثم يقول: «حقا لم يطبق الجاحظ منهج التفسير الموضوعي بتفصيلاته كما نفهمه اليوم، ولكن على كل حال هو مدرك لأصل الفكرة؛ وهو أن يكون الموضوع القرآني –محور التفسير– في نسق تاريخي متكامل»[22].

وقد كان للعلماء إشارات إلى الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم ؛ إذ يقول أبو بكر ابن العربي: «ارتباط آي القرآن بعضها ببعض حتى تكون كالكلمة الواحدة، متسقة المعاني، منتظمة المباني، علم عظيم...» [23].

ويقول ابن القيم: «وأما السبك فهو أن تتعلق كلمات البيت أو الرسالة أو الخطبة بعضها ببعض من أوله إلى آخره، ولهذا قيل: خير الكلام المسبوك المحبوك، الذي يأخذ بعضه برقاب بعض، والقرآن العظيم آياته كلها كذلك فاعرفه»[24].

---

[19]– عبد الحي الفرماوي : البداية في التفسير الموضوعي ، ص:44– 45.

[20]– زياد الدغامين : منهجية البحث في التفسير الموضوعي للقرآن الكريم ، ص:19.

[21]– مصطفى الصاوي : مناهج في التفسير ، منشأة المعارف بالإسكندرية ،ص:158.

[22]– المرجع نفسه ، ص:160.

[23]– برهان الدين الزركشي: البرهان في علوم القرآن، 1/ 36.

[24]– شمس الدين بن القيم الجوزية: كتاب الفوائد، ص: 224.

وأما المعاصرون فقد تطرقوا لها بشكل أوضح –وإن لم يكن مكتملا في كل جوانبه–، إذ يؤكد أمين الخولي «أن ترتيب القرآن في المصحف قد ترك وحدة الموضوع... وذلك كله يقضي في وضوح بأن يفسر القرآن موضوعا موضوعا...» [25].

وقد قسم عبد الستار سعيد التفسير الموضوعي إلى عام وخاص؛ فالأول يقوم على وحدة في الغاية فقط، ومثل لذلك بكتب أحكام القرآن وغيرها، والثاني يقوم على وحدة المعنى والغاية بين أطرافه وأفراده، ومثل لذلك بكتب: اليهود في القرآن، الصبر في القرآن...» [26].

ويرى محمد باقر الصدر أن المقصود بالموضوعية «أن يبدأ من الموضوع وينتهي إلى القرآن، هذا أولا، وأما ثانيا؛ فهو أن يختار مجموعة من الآيات تشترك في موضوع واحد يقوم بعملية توحيد بين مدلولاتها من أجل أن يستخرج نظرية قرآنية شاملة بالنسبة إلى ذلك الموضوع»[27].

ثم توالت بعد ذلك الدراسات التخصصية حول هذا القسم ، أما بالنسبة للقسم الثاني وهو الوحدة الموضوعية للسورة القرآنية فلم يتطرق إليها إلا متأخرا، بل و لم يشر معظم الباحثين إلى بيان جذور هذه الفكرة وأبعادها «لقناعة أكثرهم بان المتأخرين هم أهل السبق والفضل إلى تقرير وحدة الموضوع في السورة ، مع أن المتأخرين ما كانوا ليدركوا ذلك لولا تلك البذور التي نثرها علماؤنا في حقل الدراسات القرآنية»[28].

ولعل الإمام الباقلاني أول المصرحين بذلك التناسق العجيب الذي يحكم أسلوب القرآن، «وليس ذلك في آية دون آية، وسورة دون سورة، وقصة دون قصة، ومعنى دون معنى»[29].

يقول الباقلاني في ذلك: «أنظر بعين عقلك، وارجع جلية بصيرتك، إذا تفكرت فيه كلمة كلمة... ثم فيما ينتظم من الكلمات، ثم إلى أن يتكامل فصلا وقصة، أو يتم حديثا وسورة؛ لا بل فكر في جميع القرآن على هذا الترتيب، فلم ندَّعِ ما ادعيناه لبعضه، و لم نصف ما وصفناه إلا في

---

[25]– أمين الخولي: التفسير: نشأته، تدرجه، تطوره، ط1، بيروت ، دار الكتاب اللبناني،1982م، ص:83.

[26]– عبد الستار فتح الله سعيد: المدخل إلى التفسير الموضوعي،، ص:25-26.

[27]– محمد باقر الصدر: المدرسة القرآنية، دار التعارف، بيروت، ص:29.

[28]– زياد الدغامين: منهج البحث في التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ص: 96.

[29]– أبو بكر الباقلاني: إعجاز القرآن، شرح وتعليق خفاجي ، ط محمد صبيح ، مصر ،1951م، ص:226.

كله»[30].

وقد تبعه الإمام الزمخشري، وأكد على الوحدة الفنية، في السورة –كما سنبين لاحقا- فعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَإِنْ كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ﴾[31]، يقول: «...ما فائدة تفصيل القرآن وتقطيعه سورا ؟...ومنها إن التفصيل سبب تلاحق الأشكال والنظائر، وملاءمة بعضها لبعض...» [32]، ولعل الإمام الرازي هو أول المتقدمين الذين نطقوا بالوحدة الموضوعية في سور القرآن الكريم؛ إذ يقول في سورة فصلت: «وكل من أنصف و لم يتعسف علم أنا إذا فسرنا هذه الآية[33] على الوجه الذي ذكرناه صارت هذه السورة من أولها إلى آخرها كلاما واحدا منتظما مسوقا نحو غرض واحد»[34].

ثم تبعه الإمام الشاطبي بقوله: «فاعتبار جهة النظم مثلا في السورة لا يتم به فائدة إلا بعد استيفاء جميعها بالنظر... فسورة البقرة –مثلا- كلام واحد باعتبار النظم،واحتوت على أنواع من الكلام بحسب ما بث فيها، منها ما هو كالمقدمات والتمهيدات...، ومنها ما هو كالمؤكد والمتمم، ومنها ما هو المقصود في الإنزال... ومنها الخواتم...، وسورة المؤمنون نازلة في قضية واحدة وإن اشتملت على معان كثيرة»[35].

وقال أيضا: «إن السورة الواحدة مهما تعددت قضاياها فهي تكون قضية واحدة ؛ أي: تهدف إلى غرض واحد، وإن اشتملت على عديد من المعاني»[36].

ثم جاء الإمام البقاعي الذي أبدع في ذلك، والذين أوضح وحدة موضوع السورة من خلال ربطه بعلم المناسبات بين السور والآي؛ إذ يقول –مبينا موضوع علم المناسبات-: «... وموضوعه أجزاء الشيء المطلوب علم مناسبته من حيث الترتيب، وثمرته؛ الاطلاع على الرتبة التي

---

[30]- المصدر نفسه: ص228.

[31]- سورة البقرة: الآية23.

[32]- الزمخشري: تفسير الكشاف، دار الكتاب العربي ، 1986م ، 1/97-98 .

[33]- في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ﴾، سورة فصلت: الآية 44.

[34]- الفخر الرازي: التفسير الكبير، دار إحياء التراث العربي، بيروت: 27/ 133.

[35]- أبو إسحاق الشاطبي: الموافقات في أصول الشريعة، تحقيق وتعليق محمد عبد الله دراز، طبعة المكتبة التوفيقية، المسألة 13: 3/ 351-353 بتصرف.

[36]- المصدر نفسه: 3/ 353.

يستحقها الجزء... وتتوقف الإجادة فيه علة معرفة مقصود السورة المطلوب ذلك فيها...» [37].

وقد تأثر في ذلك بصنيع الإمام أبي جعفر بن الزبير الغرناطي في كتابه "البرهان في مناسبة ترتيب سور القرآن"، والذي أشار إلى الوحدة الموضوعية من خلال إبرازه أوجه التناسب بين السور القرآنية، و لم يتعرض لتناسب الآيات[38].

ولا ننسى جهود السيوطي في هذا المجال؛ حيث عرض لأقوال العلماء في علم المناسبات في القرآن، وبين آيات السورة، في أكثر من كتاب، ككتاب تناسق الدرر في تناسب السور، وكتاب مراصد المطالع في تناسب المطالع والمقاطع، وكتابه الإتقان وغيرها.

والحقيقة أنه لم تظهر الوحدة الموضوعية في جهوده التفسيرية، وإن كانت له إشارات في ذلك؛ إذ يقول: «الوجه الرابع من وجوه إعجازه: مناسبة آياته وسوره وارتباط بعضها ببعض، حتى تكون كالكلمة الواحدة، متسقة المعاني، منتظمة المباني»[39].

وأما عن المعاصرين فقد كانت لهم جهود كثيرة حاولت أن تعمق هذه الفكرة وتمثل لها، ولا تعدو بعض هذه الجهود أكثر من كونها اهتمامات جزئية، يعوزها التطبيق العلمي في أكثر أحيانها.

ولعل مدرسة المنار تعد من السباقين في هذا المجال؛وإن لم تفسر القرآن على ضوء موضوعها بوجه شمولي، مراعية في ذلك المنهجية الشمولية في البحث عن الوحدة الموضوعية للسورة القرآنية[40].

يقول الشيخ محمد رشيد رضا –في ذكر حكمة الجمع بين سورتي يونس والتوبة–: «واعلم أن التناسب الذي يوجد بين السور ليس سببا في هذا الترتيب الذي بينها، فرب سورتين بينهما أقوى التناسب في موضوع الآيات ومسائلها، يفصل بينهما تارة ويجمع بينهما أخرى»[41].

---

[37]– برهان الدين البقاعي: نظم الدرر في تناسب الآي والسور، تحقيق عبد الرزاق مهدي ، دار الكتب العلمية، 5/1.

[38]– أبو جعفر بن الزبير: البرهان في تناسب سور القرآن، تحقيق محمد شعباني ، المملكة المغربية ، 1990م ، ص:102 .
وينظر: محمد يوسف القاسم: الإعجاز البياني في ترتيب آيات القرآن الكريم وسوره، ص:84-85.

[39]– جلال الدين السيوطي: معترك الأقران في إعجاز القرآن، تحقيق: محمد علي البجاوي، دار الفكر العربي، 54/1.

[40]– زياد الدغامين: منهجية البحث في التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ص:105.

[41]–محمد رشيد رضا: تفسير المنار: 142/11.

وكذلك تعرض لذلك مصطفى صادق الرافعي[42]، وعبد الله بن الصديق الغماري[43]، والمعلم عبد الحميد الفراهي في تفسيره "نظام القرآن"، حيث جعل له مقدمة سماها "دلائل النظام" وعرف النظام بقوله: «معرفة روابط الكلام وتركيب أجزائه، وتناسب بعضه، أو هو عمود الكلام، وحسن ترتيبه، سواء كان الكلام جملة واحدة، أم عدة جمل، فلا بد من الوحدة في نظمة وإلا كان -كلام- منتشرا»[44].

كما فرق بين المناسبة والنظام؛ ورأى أن المناسبة جزء من النظام؛ وبيّن سر عدم إدراك المفسرين للنظام الذي تكون السورة من خلاله كلاما واحدا و لم يجعلوا المتناسب «جزءا من مفهوم القرآن»[45].

كما نبه محمد عبد الله دراز لذلك بقوله: «أجل، إنك لتقرأ السورة الطويلة المنجمة، يحسبها الجاهل أضغاثا من المعاني حشيت حشوا... فإذا هي لو تدبرت بنية متماسكة قد بنيت من المقاصد الكلية على أسس وأصول... بل إنها (المعاني) لتلتحم فيها كما تلتحم الأعضاء في جسم الإنسان...»[46].

وربما كان المرحوم لم ينص صراحة على الوحدة الموضوعية في كتابه "النبأ العظيم" ولكنه صرح بها في كتابه "المدخل إلى القرآن الكريم" بقوله: «...ولقد وضح لنا بما أثار دهشتنا أن هناك تخطيطا حقيقيا ومحددا، يتكون من ديباجة وموضوع وخاتمة..»[47]، ثم طبق هذا عمليا في عرضه لسورة البقرة[48].

وكان سيد قطب -رحمه الله- أكثر المفسرين عناية بالوحدة الموضوعية في سور القرآن

---

[42]- في كتابه "إعجاز القرآن"، حيث يسميها بالروح، ص:245.

[43]- في كتابه "جواهر البيان في تناسب سور القرآن"، وينظر في ذلك: أحمد القاسم: الإعجاز البياني، مرجع سابق، ص:169-177.

[44]- عبد الحميد الفراهي: دلائل النظام، ص:16 نقلا عن: الدغامين: منهجية البحث في التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ص:106.

[45]- المرجع نفسه.

[46]- عبد الله دراز: النبأ العظيم، ط7، دار القلم، الكويت، 1993م، ص: 155.

[47]- عبد الله دراز: المدخل إلى القرآن الكريم، دار القلم، ص:119.

[48]- عبد الله دراز: كتاب النبأ العظيم، مصدر سابق، ص: 163-211.

الكريم؛ من حيث شمولية التطبيق لما يسميها بالشخصية لكل سورة[49]، كما سنتطرق إليه في المباحث القادمة[50].

ثم توالت بعد ذلك الدراسات التخصصية؛ كان منها كتاب محمد حجازي « الوحدة الموضوعية» ؛والذي أوضح أن لكل سورة هدفا وغرضا تسعى لتحقيقه، وفصل القول في ذلك، كما نسجت تفاسير لتحقيق ذلك كتفسير سعيد حوى، و تفسير الشيخ محمود شلتوت وغيرهما.

الفرع الثالث: مسمياتها، والفرق بينها وبين التسميات الأخرى.

عرفت الوحدة الموضوعية تسميات عديدة، حسب منهج كل مفسر في ذلك، وطريقته في معالجة السورة القرآنية، وكانت في أغلبها تخضع للمعايير الشخصية، كما عرفت تسميات أخرى للوحدة السورية[51]، أخذت سمة الاصطلاحية العلمية، وسنتطرق لكلا التسميتين فيما يلي:

أولا: مسميات الوحدة الموضوعية.

مرت بنا تسمية ابن العربي للوحدة بقوله: «كالكلمة الواحدة»[52]. وتسمية الإمام الرازي لها «كلاما واحدا منتظما مسوقا نحو غرض واحد»[53]، وتسمية الشاطبي لها بقوله: «قضية واحدة»[54]، وكلها مسميات ذات معايير شخصية، لم تشر إلى المنهجية العلمية المتبعة في استنباطها، ما عدا التركيز على أوجه التناسب.

ومن التسميات الحديثة "الروح": وهي من وضع الأديب مصطفى صادق الرافعي، وهي تسمية فنية أدبية؛ فبعد ما تحدث عن الترابط القوي بين عناصر النظم القرآني، وسماه بـــ"روح التركيب" قال –مؤكدا على أهمية الوحدة في فهم هذه العناصر–: «ولولا تلك الروح لخرج أجزاء متفاوتة على مقدار ما بين هذه المعاني ومواقعها في النفوس، وعلى مقدار ما بين الألفاظ والأساليب

---

[49]– سيد قطب: في ظلال القرآن، ط11، بيروت، دار الشروق، 1985م، 4/111-112.

[50]– في المبحث الثاني، ومطلب: الوحدة الموضوعية للسورة القرآنية، ص:67.

[51]– نسبة إلى لفظ السورة، وليس إلى البلد العربي المعروف كما قد يفهم.

[52]– بدر الدين الزركشي: البرهان في علوم القرآن: 1/36.

[53]– الفخر الرازي: التفسير الكبير: 27/133.

[54]– أبو إسحاق الشاطبي: الموافقات في أصول الشريعة: 3/351.

التي تؤديها...»[55].

وقد سماها الإمام سيد قطب "بالشخصية"؛ إذ يقول في ذلك: «ولقد لاحظنا –كما أثبتنا ذلك مرارا في التعريف بالسور– أن هناك شخصية خاصة لكل سورة، وسمات معينة تحدد ملامح هذه الشخصية، كما أن هناك جوا معينا وظلالا معينة، ثم تعبيرات بعينها في السورة الواحدة، تؤكد هذه الملامح وتبرز هذه الشخصية»[56].

وما يلاحظ على هذه التسمية أنها تسمية فنية أدبية حركية، ناتجة عن منهج سيد قطب العام، وهو المنهج الحركي الجمالي[57].

ومن التسميات في ذلك: تسمية الإمام الفراهي لها "النظام"[58]، بحيث أن هذا النظام هو "عمود الكلام" في السورة أو في القرآن.

لكن ما يلاحظ عليه عدم التمييز بين الوحدة في آيات محدودة، وبين الوحدة في السورة القرآنية؛ بل جعل النظام يشملهما معا، وذلك في قوله: «سواء كان الكلام جملة واحدة، أم عدة جمل، فلا بد من الوحدة في نظمه»[59].

وكانت نفس الملاحظة على تسمية المفكر الجزائري مالك بن نبي –رحمه الله–؛ حيث سماها ب "الوحدة الكمية"، وهي وحدة شكلية، أو كمية على حسب تعبيره[60]، أو ما يسميها "بوحدة التنزيل"، حيث يعرفها بقوله: «هي مجموع الآيات المتتابعة التي تسهم في اكتمال فكرة واحدة، وهذا العدد يمكن أن يهبط إلى الحد الأدنى، في آية واحدة، ويمكن أن يرتفع إلى الحد الأقصى في سورة كاملة»[61]، أي هي «وحدة الفكر»[62].

---

[55]– مصطفى صادق الرافعي: إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ص:245.

[56]– سيد قطب: في ظلال القرآن، مصدر سابق: 4/ 111-112.

[57] –ينظر: صلاح عبد الفتاح الخالدي: المنهج الحركي في ظلال القرآن ،دار الشهاب ،ص :203- 214.

[58]– عبد الحميد الفراهي: فاتحة تفسير نظام القرآن، ص: 3-4 نقلا عن: محمد عناية الله سبحاني: إمعان النظر في نظام الآي والسور، دار عمار،ص :33-34.

[59]– المرجع نفسه، ص:50، نقلا عن: الدغامين: منهجية البحث في التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ص: 106.

[60]– مالك بن نبي: الظاهرة القرآنية، ترجمة عبد الصبور شاهين، ص: 233.

[61]– المرجع نفسه ، ص:225.

[62]– المرجع نفسه، ص: 225.

وقد انفرد أحمد رحماني بما سماه "الوحدة التجميعية"[63]، التي تتعلق بالموضوع القرآني، والتي «تؤدي إلى توحيد الآيات حول موضوع محدد»[64]، أما وحدة السورة فيسميها بما هو متعارف عليه ب"الوحدة الموضوعية"[65].

والظاهر هنا أن أحمد رحماني سمى الوحدة الموضوعية للموضـــوع القرآني نظرا إلى منهجها؛ وهو: تجميع آيات الموضوع الواحد، وإلا فإن هذه التسمية غير دقيقة،وغير شاملة في التعبير عن تماسك أجزاء الموضوع القرآني الواحد، وهي تسمية تصلح للمنهج وليس لمفهوم الوحدة الموضوعية.

ويبقى اسم "الوحدة الموضوعية" هو الاسم العلمي الأكاديمي المتعارف عليه، كما عبر عنه عبد الله دراز[66]، ومحمد حجازي[67]، وعبد الرحمان حسن حبنكة الميداني[68]، ونور الدين عتر[69]، ورفعت فوزي عبد المطلب[70]، وغيرهم.

غير أنه يجب التفريق بين نوعين من الوحدة في السورة؛ «الوحدة الفنية،أو ما يطلق عليها وحدة النظم، ثم الوحدة الموضوعية أو وحدة المعنى»[71]؛ حيث أن الأولى سابقة على الثانية، وأن الأولى لا تعنى بالموضوع أكثر من عنايتها بدراسة الأسلوب القرآني ونظمه.

ولهذا فإن تعريف محمد حسن باجودة للوحدة الموضوعية ليس كذلك ؛ وإنما هو تعريف للوحدة الفنية؛ إذ يعرفها بقوله: «نعني بالوحدة الموضوعية التماسك العضوي، والترابط الفني الدقيق، وهو أن يكون العمل الفني متماسكا إلى أبعد درجات التماسك، بحيث أن كل جزئية تفضي إلى التي تليها، ولا يمكن حذف جزئية واحدة، لأن العمل الفني لا يستغني عنها...» [72].

---

[63]- أحمد رحماني: التفسير الموضوعي نظرية وتطبيقا، ص: 32-39.

[64]- المرجع نفسه

[65]- المرجع نفسه، ص: 33.

[66]- عبد الله دراز: المدخل إلى القرآن الكريم، مرجع سابق، ص:127.

[67]- محمد حجازي: الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم، مكتبة دار التفسير بالزقازيق، ص:29.

[68]- عبد الرحمان الميداني: قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عز وجل، ص: 27.

[69]- نور الدين عتر: أثر المناســبة في إعجــاز القرآن، مقال بمجلة كلــية الدراسات الإسلامية والعربية، العــدد 13، 1996م، ص: 59.

[70]- رفعت فوزي عبد المطلب: الوحدة الموضوعية للسورة القرآنية، ص: 30.

[71]- زياد الدغامين: منهجية البحث في التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ص: 96.

[72]- محمد حسن باجودة: الوحدة الموضوعية في سورة يوسف، ص: 15

ولهذا ظهرت تسميات عديدة تراعي الفرق بين الوحدتين؛ كما كان ذلك من الأستاذ مالك ابن نبي؛ والذي راعى الجانب المعنوي، أو الموضوعي في تحليله لظاهرة الوحي، فظهرت عنده ما يسمى ب «الوحدة التشريعية»[73]، والتي تركز فيه السورة القرآنية على موضوع تشريعي، وهناك ما يسمى ب «الوحدة التاريخية»[74]، والتي تتحدث من خلالها السورة عن حدث وواقع تاريخي.

ثانيا: الفرق بين الوحدة الموضوعية والوحدة العضوية.

ومن التسميات التي أطلقت "الوحدة العضوية"، ولقد عرض أحمد رحماني للفرق بينهما، فقال: «والفرق بينهما هو أن الوحدة العضوية لا ترجع إلى التركيب العقلي أو المنطقي أو الفكري وإنما يعود إلى انصهار جميع العناصر المكونة للنص تماما كما تنصهر قطعة السكر في الماء لتكون صورة واحدة، بينما تكتفي الوحدة الموضوعية بعنصر واحد»[75].

والظاهر على هذا التفريق أنه يغلب عليه الوصف الفني الأدبي، والذي لا يفرق بين النصوص الأدبية، والنصوص القرآنية.

وقد نقل عن البعض أنه حدد الوحدة العضوية بأنها وحدة الموضوع ووحدة المشاعر التي يثيرها الموضوع[76]، وهو تحديد يصلح للقصيدة العربية دون النص القرآني؛ إذ شتان بين وحدة القصيدة العربية وبين وحدة السورة القرآنية، ولا يصلح إخضاع وحدة السورة لمعايير وحدة القصيدة، فلكل خصائصها ومنهجها ومصطلحاتها[77].

وقد وفق عبد الله دراز في تحديد الفرق بين الوحدة العضوية والوحدة الموضوعية —وإن لم يصرح بذلك—؛ إذ يرى أن الوحدة العضوية تتعلق بوحدة الآيات وتناسقها فيما بينها، والتي تدل على معنى جزئي للموضوع؛ بمعنى: أن الوحدة العضوية جزء من الوحدة الموضوعية، أو بعبارة

= وينظر: محمد الدالي: الوحدة الفنية في القصة القرآنية، ص: 5-6.

[73]- مالك بن نبي:الظاهرة القرآنية، ترجمة: عبد الصبور شاهين، ص: 225.

[74]- المرجع نفسه، ص:227.

[75]- أحمد رحماني: التفسير الموضوعي نظرية وتطبيقا، ص: 38.

[76]- حيث نقل ذلك عن: غنيمي هلال وكتابه النقد الأدبي الحديث، بيروت، دار العودة، 1986م، ص: 394.
ومحمد زكي العشماوي وكتابه قضايا النقد الأدبي، بيروت ، دار النهضة العربية ، 1979م، ص: 121.
وينظر: أحمد رحماني: التفسير الموضوعي نظرية وتطبيقا، ص: 39.

[77]- هذا ما أفادني به الدكتور عبد الحي الفرماوي في لقاء لي معه في القاهرة ، بتاريخ : 20- 06- 2006م.

أخرى: أن الوحدة الموضوعية هي مجموع الوحدات العضوية داخل السورة الواحدة.

يؤكد هذا بقوله: «...بل إنها -المعاني الجزئية- لتلتحم فيها (السورة) كما تلتحم الأعضاء في جسم الإنسان؛ فبين كل قطعة وجارتها رباط موضعي من أنفسهما... كما يشتبك العضوان بالشرايين والعروق والأعصاب، ومن وراء ذلك كله يسري في جملة السورة اتجاه معين، وتؤدي بمجموعها غرضا خاصا، كما يأخذ الجسم قواما واحدا، ويتعاون بجملته على أداء غرض واحد مع اختلاف وظائفه العضوية»[78].

المطلب الثاني: الوحدة الموضوعية بين النفي والإثبات.

تنوعت الآراء واحتدمت حول ثبوت الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم، وكان ممن نفاها على ثلاثة أقسام:

-قسم نفى ذلك بحسن نية، وهم بعض العلماء المسلمين المخلصين.

-وقسم ثان كان مقصده سيئا وماكرا في نفي الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم وهم المستشرقون.

-وهناك قسم آخر من الباحثين من لم يرها في السورة القرآنية.

وسنتناول كل قسم وحججه، مبتدئين في ذلك بالمستشرقين لخطرهم.

الفرع الأول: المستشرقون والوحدة الموضوعية.

لا يستغرب من المستشرقين طعنهم في القرآن الكريم خصوصا،والرسالة الإسلامية عموما، فهم ينطلقون في ذلك من دوافع تبشيرية واستعمارية حاقدة على هذا الدين، لبث الشكوك فيه وتنفير الناس منه[79]، ولذلك اتجهوا إلى القرآن الكريم، وأرادوا طعنه في كل جوانبه: في تدوينه، ولغته، ومصدره، وقراءاته وغير ذلك[80].

ولذا فإنا لا نستغرب إذا زعموا أن القرآن «كتاب لم يأت على نسق الكتب الموضوعية؛ إذ

---

[78]- عبد الله دراز :النبأ العظيم ، ص:155.

[79]- محمد حسين الصغير: المستشرقون والدراسات القرآنية، ط2، بيروت ، المؤسسة الجامعية ،1986م، ص:15، 18.

[80]- ينظر: عبد الرزاق هرماس: مطاعن المستشرقين في ربانية القرآن، مقال بمجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، السنة 14، ع38، 1999م، ص:61-152.

ليست له مقدمة، وليست فيه مباحث موضوعية مرتبة لها مقاصد وأغراض في فصول وأبواب ... وإنما اشتملت آيات سوره على غرض معين؛ فهذه للوعظ، وتلك للزجر، وهذه قصة، وأخرى للأحكام، ولا تجد رابطا يربط بين الآيات، ولا تجد غرضا جامعا يجمع الشتات»[81].

يقول المستشرق الفرنسي بلاشير: «إن أشد الشواهد وضوحا على ذلك نجده في سورة النور حيث تعالج بالتتابع أربعة موضوعات تتعلق إما بالزنا، وإما بروابط اللياقة بين الجنسين، ثم يأتي بيانان: عن النور المنبث عن الله، وعن قدرة الله الخالقة، لا صلة لهما بما سبق»[82].

وهذا ما أكده المستشرق الألماني نولدكه من أن «القرآن ينتقل سريعا من موضوع إلى آخر فجأة، لم يتركه بدوره ليرجع إلى الموضوع الأول وهكذا...»[83]، وهذا ما دفعه إلى أن يقول: «إن القرآن غير كامل الأجزاء»[84].

وهذه الشبهات لا تقف أمام النقد العلمي الموضوعي ، وذلك فيما يلي:

1- أقوال مباشرة:

فقد أشار الإمام الشاطبي إلى تعدد القضايا في السورة الواحدة، وأكد أن هذا التعدد لا يمنع من وجود الترابط والتناسب بين الآيات، وضرب مثلا بسورة المؤمنون[85].

وقد قال الشيخ ولي الدين الملوي: «وقد وهم من قال: لا يطلب للآي الكريمة مناسبة؛ لأنها على حسب الوقائع متفرقة، وفصل الخطاب أنها على حسب الوقائع تنزيلا، وعلى حسب الحكمة ترتيبا»[86].

2-موقف بلغاء العرب من القرآن وعجزهم عن معارضته:

من المؤكد أن العرب البلغاء لما عجزوا عن معارضة تحدي القرآن لهم، لم يقولوا بأنه «مفكك

---

[81]- محمد حجازي: الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم، ص:13.

[82]- بلاشير: القرآن نزوله وتدوينه، ترجمة: رضا سعادة، ط1، دار الكتاب اللبناني، ص:69.

[83]- نولدكه: ملاحظات نقدية حول الأسلوب والتركيب في القرآن، ص:13.

نقلا عن: عبد الرزاق هرماس: مطاعن المستشرقين في ربانية القرآن، مرجع سابق، ص:70.

[84]- المرجع نفسه، ص:74.

[85]- أبو إسحاق الشاطبي: الموافقات في أصول الشريعة، مصدر سابق، 356/3.

[86]- جلال الدين السيوطي: الإتقان في علوم القرآن، دار الفكر، بيروت، 108/2.

التركيب مهلهل البناء، مختلف القضايا والأغراض، لا رابطة تربطها، ولا سياق يجمعها»[87].

بل إن الذي وصمه بالسحر هو الذي قال عنه: «والله إن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن أعلاه لمثمر، وإن أسفله لمغدق، وإنه ليعلو ولا يعلى عليه، وما يقول هذا بشر»[88].

3-مأساة المنهج العلمي في كتابات المستشرقين:

فبالإضافة إلى التعصب الديني الذي يطمس الحقيقة الموضوعية أيا كانت، و«سلوك طريق جمع الآراء والظنون والأوهام والأقوال الشاذة»[89]، هناك أيضا الجهل بحقيقة الوحي واعتباره ظاهرة تاريخية قابلة للتشكيك والطعن، والجهل باللسان العربي، وعدم إدراك وتذوق أسلوب القرآن المعجز، وكذلك افتقاد المصادر القرآنية، واهتمام المستشرقين بتحقيقها، وتزويرها، كل ذلك أدى بهم إلى التهجم على القرآن الكريم، وهم بذلك لا يختلفون عن السفهاء الجاهليين الذين طعنوا في القرآن وردّ عليهم شبهاتهم[90].

4-علم المناسبات:

فلا شك أن القرآن الكريم لم يخل في ترتيب آياته وسوره من أسرار وحكم، وإن خفيت على البعض[91]؛ بل« إن المتأمل في نظامه ليجد تناسقا وانسجاما بين أصوات كلماته، وتماسكا بين ترتيب كلماته وجمله، بالإضافة إلى نقاء التعبير، وإيجاز الألفاظ، وقوة التأثير، وسموا فريدا فوق كلام البشر، حتى أحاديث الرسول ﷺ في ذلك»[92].

«فإذا جئت إلى السورة، فستجد نظاما عجيبا لها، وتخطيطا منطقيا وأسلوبيا يتخللها، وتوافقا عجيبا بين أجزاء تراكيبها»[93].

يقول عبد الله دراز في ذلك: «فقد كنا نبحث عما إذا كان هناك نوعا من الترابط في الأفكار

---

[87]- مصطفى الباجقني: علم المناسبات بين السور والآيات، مقال بجملة المعارج اللبنانية، المجلد1، العدد2، 1991م، ص:36.

[88]- أخرجه ابن هشام في السيرة النبوية، ت. مصطفى السقا وآخران، بيروت ، دارإحياء التراث العربي،1/ 289.

[89]- عبد الصبور شاهين: تاريخ القرآن، ط1، 2005م، ص:124 وما بعدها.

[90]- ينظر: عبد الرزاق هرماس: مطاعن المستشرقين في ربانية القرآن ، مرجع سابق، ص:133-150.

[91]- محمد حجازي: الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم، ص:15.

[92]- ينظر: محمد عبد الله دراز: مدخل إلى القرآن الكريم، دار القلم، 2003م، ص:123-132.

[93]- ينظر: محمد عناية الله سبحاني: إمعان النظر في تناسب لآي والسور، ص:75-77.

التي تتناولها السورة الواحدة، ولقد وضح لنا بما أثار دهشتنا أن هناك تخطيطا حقيقيا واضحا ومحددا يتكون من ديباجة وموضوع وخاتمة»[94].

فقد تبيّن بهذا أن شبهات المستشرقين ضد وحدة القرآن الكريم ما هي إلا نار في رماد ، يراد به-الرماد- ذره في عيون الخلق ؛ حتى لا يروا ببصائرهم أنوار المعجزة الإلهية الخالدة.

الفرع الثاني: بعض النافين لها من العلماء المسلمين.

وهناك من العلماء المسلمين المخلصين الذين ردوا هذه الوحدة، و لم يروها في القرآن الكريم على حسن نية قديما وحديثا.

يمثلهم قديما الإمام الشوكاني[95] ، والإمام الغرنوي[96]، والإمام العز بن عبد السلام الذي قال: «المناسبة علم حسن، ولكن يشترط في حسن ارتباط الكلام أن يقع في أمر متحد مرتبط أوله بآخره؛ فإن وقع على أسباب مختلفة، لم يشترط فيه ارتباط أحدهما بالآخر... فإن القرآن نزل في نيف وعشرين سنة في أحكام مختلفة، ولأسباب مختلفة، وما كان كذلك لا يتأتى ربط بعضه ببعض»[97].

ويمثلهم حديثا محمد صديق القنوجي[98]، وصبحي الصالح الذي قال: «وإن وقع على أسباب مختلفة وأمور متنافرة فما هذا التناسب في شيء»[99].

ويمكن إجمال الردود على هذه الآراء -بالإضافة إلى ما سبق- فيما يلي:

1-نزول القرآن منجما في فترات متباعدة:

فبعضه مكي والبعض الآخر مدني، لكنه بهذا الترتيب الذي هو عليه الآن بوحي الله وتوقيف منه، يوحي وكأنه نزل اليوم جملة واحدة، بهذا التوافق العجيب؛ فلو كان غير مترابط لما كان هناك سبب ولا معنى لإلحاق المدني بالمكي والعكس، وكان الأولى أن توضع حيث نزلت في أي سورة

---

[94]- محمد عبد الله دراز: مدخل إلى القرآن الكريم، ص:128.

[95]- محمد علي الشوكاني: فتح القدير، تحقيق أحمد عبد السلام ، دار الكتب العلمية ،72/1، 39/2، في نفي التكلف فقط.

[96]- ينظر: إبراهيم آل هويمل: علم المناسبات بين المانعين والمجيزين، مقال بمجلة جامعة الإمام محمد بن سعود، العدد25، محرم 1420هـ، ص:120.

[97]-بدر الدين الزركشي: البرهان في علوم القرآن: 37/1.

[98]- إبراهيم آل هويمل: علم المناسبات بين المانعين والمجيزين، مرجع سابق، ص:120.

[99]- صبحي الصالح: مباحث في علوم القرآن، ص:152، حيث أن رأيه شبيه برأي العز بن عبد السلام في نفي التكلف فقط.

متجانسة معها في الزمان والمكان[100]،وما قيل من عدم وجود الرابط فلخفاء ذلك عليهم.

فقد ثبت أن الذي يحدد موضع الآيات والسور هو الوحدة الموضوعية ، وليس الزمان .

2-حكم عليا وغايات سامية: منها:

أ-توزيع مقاصد الهداية الربانية على كافة الآيات والسور لتفيده في جميعها.

ب-نفي الملل والسآمة عن القارئ أو السامع من طول النوع الواحد.

جـ-الانتقال بين الأغراض والقضايا مع حسن السبك دليل على إعجاز القرآن[101].

يقول الزمخشري: «فانظر إلى بلاغة هذا الكلام، وحسن نظمه، وترتيبه، ومكانة أضماده، ورصافة تفسيره، وأخذ بعضه بحجر بعض، كأنما أفرغ إفراغا واحدا، ولأمر ما أعجز القوي، وأخرس الشقائق»[102].

إن ثبوت هذه الحكم والغايات السامية في آيات القرآن الكريم وسوره دليل على تحقق الوحدة الموضوعية بين أغراض الموضوع ، سواء في سور القرآن الكريم أم في سورة واحدة منه.

الفرع الثالث: النافين لها في السورة القرآنية.

هذا وقد أنكر عبد الستار سعيد القول بوحدة الموضوع في السورة، وقال عنها: «وأرى – والله أعلم- أن هذا الضرب من الدراسات لا يدخل في التفسير الموضوعي؛ لأن موضوعه أمر التماسي اجتهادي تختلف فيه الأنظار، فكيف تصنف الآيات في السورة على هدف مختلف على تحديده؟ وكيف يقوم التفسير على الاحتمال؟ مع أن الأصل في التفسير الموضوعي أن يقوم على أساس النصوص ذاتها، أو معانيها المتحققة.. وإلى أن تقوم خطة لهذا الضرب علمية محكمة القواعد، واضحة المعالم ، فإننا نعده في باب الدراسات القرآنية العامة وليس في التفسير الموضوعي»[103].

ويُجمل الرد على رأي عبد الستار فيما يلي :

1-أن علم التفسير في معظمه قائم على الاجتهاد سواء في ذلك التفسير البياني أو الفقهي أو

---

[100]- مصطفى الباجقني: المناسبات بين السور والآيات، مقال بمجلة المعارج اللبنانية، مرجع سابق، ص:37.

[101]- المرجع نفسه ، ص:39.

[102]- الزمخشري: الكشاف، مصدر سابق: 153/2.

[103]- عبد الستار سعيد: المدخل إلى التفسير الموضوعي، ص:25.

الأثري، أو التحليلي أو الإجمالي أو الموضوعي، فلا وجه لتخصيص الاتجاه القائل بوحدة الموضوع في السورة بأنه أمر التماسي اجتهادي، حتى التفسير الموضوعي الخاص الذي ذكره فضيلته هو أيضا في أغلبه التماسي اجتهادي، إذا لم ننظر إلى آياتها نظرة كلية جامعة، وأغرقنا النظر التجزيئي فيها على أنها منفصلة[104].

2-إن عدم وجود خطة محكمة في هذا الشأن لا يعني عدم وجود الوحدة الموضوعية في السورة؛ بل إن ذلك يتوقف على تضافر جهود العلماء لبلورتها.

3-إن هذا الاتجاه في التفسير الموضوعي هو الجدير بالبحث والدراسة العلمية لاستخراج كنوز القرآن في جوانب الحياة، التي حصرها عبد الستار في الموضوع القرآني، على أنه قال في القسم الوسيط من التفسير الموضوعي: «هو الذي يختار فيه المفسر موضوعا يعرضه من خلال سورة واحدة، مثل: العقيدة في سورة الشورى»[105]، فهو يرى ويجيز دراسة موضوع معين في سورة ما، ثم يرفض الإقرار بأن السورة مشتملة على موضوع كلي، فهذه تجزيئية منه في فهم القرآن[106].

4- القول بأن التفسير على وجه القطع لا يعلم إلا في تفسير النبي ﷺ ، وهذا متعذر إلا في آيات قلائل.

5- «لأننا ببساطة شديدة نجد كثيرا من السور القصيرة تبدو فيها الوحدة الموضوعية واضحة جلية كما في سورة "الإخلاص"» [107].

الفرع الرابع: الشيخ شلتوت وقضية الدفاع عن الوحدة الموضوعية.

وقد ذكر فهد الرومي أن أصحاب المدرسة العقلية الحديثة –ومنهم الشيخ شلتوت- قالت بالوحدة الموضوعية في السورة كردة فعل على مزاعم المستشرقين، وذلك أثناء عرضه لموقف النافين والمثبتين للوحدة الموضوعية.

يقول في ذلك: «وقف رجال المدرسة العقلية الحديثة على هذين السبيلين، ورأوا –وهم في مواجهة المستشرقين الذين حاولوا أن يلجوا هذا المدخل إلى الطعن في القرآن- أن يغلقوا عليهم هذا

---

[104]-ينظر: زياد الدغامين: منهجية البحث في التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ص:114.

[105]- عبد الستار فتح الله سعيد :المدخل إلى التفسير الموضوعي، مصدر سابق، ص:26.

[106]- زياد الدغامين:منهجية البحث في التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ص:115-116.

[107]- أحمد رحماني: التفسير الموضوعي نظرية وتطبيقا، ص:37.

المنفذ، ويبطلوا كيدهم، ورأوا أيضا أن السبيل إلى ذلك لا يكون إلا بنفي القول الثاني –قول النافين– ، والأخذ بالقول الأول –قول المثبتين– وإثبات الوحدة الموضوعية في السورة القرآنية بصورة جلية يثبت ارتباط الآي بعضها ببعض، فتتناسق آياتها وتتلاحم حتى تكون كالسبيكة الواحدة...لهذا ردوا من التفاسير كل ما يخالف الهدف الذي سيقت له السورة حتى يكون موضوع السورة أساسا في فهم آياتها»[108].

ولعله لا يمكن أن «يتصور أن يكون الإقرار بالوحدة الموضوعية بحال من الأحـــوال ردة فعل، بل هي منهج أدبي وتفسيري يبين ارتباط وتناسق آيات السورة ابتداء، ثم: أيعد كل من رد ما يخالف هدف السورة ردة فعل أم تحكيما للسياق وعموم النص؟ ثم أكانت أقوال الرازي والشاطبي وغيرهما ردة فعل هي الأخرى[109]؟ ».

إن منهج الشيخ شلتوت في إثبات الوحدة الموضوعية ليس ردة فعل على شبهات المستشرقين ؛ بل هو منهج أصيل ناتج عن منهج الشيخ العام في السورة القرآنية.

المطلب الثالث: الوحدة الموضوعية بين المصطلح وبين الموضوع القرآني.

عرفنا من قبل أن المصطلح القرآني هو ما يعني «بجمع الآيات التي ترد فيها اللفظة أو مشتقاتها من مادتها اللغوية، ثم الإحاطة بتفسيرها ومحاولة استنباط دلالات الكلمة من خلال استعمال القرآن الكريم لها»[110].

وأن الموضوع القرآني ما يعني «بتتبع موضوع من خلال سور القرآن الكريم، والإحاطة بدلالاته بعد جمع الآيات الواردة عنه»[111]، وربط ذلك بواقع الناس، قصد استخـــراج المواقف القرآنية، والهدايات الربانية في علاج مشاكلهم.

ومن خلال عرض طرق البحث في كليهما، يتبين الفرق بينهما: «فالباحث في التفسير الموضوعي للمصطلح القرآني يبقى مع المفردة القـــرآنية التي اختارها، ويتابع معناها في معاجـــم اللغة، واشتقاقاتها وتصريفاتها في القرآن، ويلاحظ ما طرأ على وضع هذه اللفظة القرآنية من تغييرات

---

[108]– فهد الرومي: منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير، مؤسسة الرسالة، 1414هـ، ص:225.

[109]–زياد الدغامين: منهج البحث في التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ص:105.

[110]– مصطفى مسلم: مباحث في التفسير الموضوعي، مرجع سابق، ص:23.

[111]– المرجع نفسه، ص:27.

في آيات القرآن، ويحاول أن يعلل ذلك، ثم يستخرج لطائف و دلالات سيره مع هذا المصطلح القرآني، و يلتفت إلى الدلالات العامة ذات الأبعاد الواقعية التي تهم مسلمي هذا العصر»[112].

أما البحث في التفسير الموضوعي للموضوع القرآني «فإن بحثه أعم وأشمل من الأول، وميدانه في البحث أوسع، ووقفاته الفكرية معه أكثر، ومعالجته الواقعية لحاجات ومشكلات أمته من خلاله أوضح»[113].

ومن خلال هذا، فالوحدة الموضوعية للموضوع القرآني أوسع وأشمل وأدل تناسقا وانسجاما -من خلال موارد الموضوع في آيات القرآن الكريم- من الوحدة الموضوعية للمصطلح القرآني.

فالأولى تهتم في ذلك بتتبع موارد الموضوع وما وافقه من مرادفاته؛ بل وما قابله من أضداده في القرآن الكريم، فلا غرو أن تظهر الوحدة الموضوعية من خلال ذلك أكثر وضوحا، وانسجاما بين عناصره وجزئياته.

وأما الثانية فتهتم في ذلك بتتبع اللفظة واشتقاقاتها اللغوية لها، وذلك بأخذ الجذر الثـــلاثي لها، وتتبع معانيه من خلال معاجم اللغة المعروفة، فهي بذلك أقل من سابقتها.

وتبعا لذلك فإن المواقف القرآنية، والهدايات الربانية المستنبطة من الوحدة الموضوعية للموضوع القرآني، تكون أشمل، وأوثق اتصالا بواقع الناس، ومعالجة مشكلاتهم ، أما في الوحدة الموضوعية للمصطلح القرآني، فإنها لا تعالج ولا تتناول إلا ما كان متعلقا بألفاظها واشتقاقاتها.

وبذلك يظهر الفرق بين البحث عن لفظة أمة واشتقاقاتها في القرآن الكريم، وبينها وبين كلمات: الجماعة، الطائفة، الفرقة، الرهط...الخ، وبين كلمات: الفرد، الواحد،....الخ.

والظاهر من خلال تفسير الشيخ شلتوت أنه لا يقول إلا بالموضوع القرآني، كما دل عليه رسائله: القرآن والقتال، القرآن والمرأة، وحتى تجميع المواضيع القرآنية الجزئية في السورة القرآنية، واستقراء آياتها المتفرقة في سور القرآن الكريم[114].

---

[112]- صلاح عبد الفتاح الخالدي: التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق، مرجع سابق، ص:54.

[113]- المرجع نفسه، ص:54-55.

[114]- كما سنعرف ذلك لاحقا في الحديث عن منهجه الموضوعي في التفسير، ص:161 وما بعدها.

المطلب الرابع: التجميع وعلاقته بطريق الكشف عن الوحدة الموضوعية.

ولا شك-بعد- ذلك أن منهج التجميع المعتمد في التفسير الموضوعي هو الذي سيوضح الوحدة الموضوعية ، ويكشف عن تماسكها – في داخل السورة أم في سور القرآن- ؛إما ليكتشف البنيات والعلاقات بين جزئيات الموضوع، وإما أن يكتشف تركيب الموضوعات الجزئية في إطار الموضوع الكلي الذي تعبر عنه السورة ليبرهن عن الوحدة الموضوعية في السورة [115].

والتجميع إما أن يكون بمعنى تجميع الآيات الواردة في الموضوع الواحد في سور القرآن الكريم،أو تجميع جزئيات موضوع السورة القرآنية الواحدة بما تفرق في باقي سور القرآن الكريم، وإما أن يكون بمعنى جمع آيات السورة بعضها إلى بعض لكشف الارتباط بينها في خدمة موضوع السورة.

يقول الشيخ عبد الرحمان حبنكة الميداني في ذلك: «على متدبر كتاب الله أن يبحث عن ارتباط المعنى المستفاد من جملة قرآنية بما تفرق في القرآن ، من معان تجتمع معه في موضوع واحد،وبمعاني الآية التي هي منها ، والسورة التي هي فيها»[116].

ثم يقول أيضا: «والارتباط الثاني –وهو ارتباط معنى الجملة القرآنية بمعاني سائر الجمل في الآية وفي السورة- يتطلب من المتدبر أن يبحث عن النسق الذي يكشف عن التناسب بين معاني جمل الآية القرآنية ووحدة موضوع السورة»[117].

– التجميع في تفسير الشيخ محمود شلتوت.

يؤكد الشيخ شلتوت في تفسيره، أن منهج التجميع منهج أصيل في اكتشاف موضوع السورة القرآنية، وتحقيق تماسكها العضوي، وهذا مما يعد قاعدة من قواعد منهجه الموضوعي في التفسير كما سنعرف ذلك لاحقا[118].

من الأمثلة الكثيرة في تفسيره على ذلك، استعانته بالمنهج التجميعي في سورة البقرة، ليحقق لموضوعها (حقيقة البر) تماسكا وحدويا من خلال سور أخرى، وذلك من خلال تفصيله إلى عناصر

---

[115]- أحمد رحماني: التفسير الموضوعي نظرية وتطبيقا، ص: 49-50.

[116]- عبد الرحمان الميداني: قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عز وجل، ط3، دمشق ، دار القلم ، 2004م، ص:13.

[117]- المرجع نفسه، ص:14.

[118]- يراجع: منهجه في المزاوجة بين التجميع والكشف، في هذا البحث، ص: 161.

ثلاثة: البر في العقيدة، البر في العمل، البر في الأخلاق[119]،ولكل عنصر من عناصر هذا الموضوع آياته الخاصة التي استقرأها الشيخ شلتوت من باقي سور القرآن الكريم.

المبحث الثاني: الوحدة الموضوعية للسورة القرآنية.

إن للسورة القرآنية –بتماسك جزئياتها وموضوعاتها– وحدة موضوعية، تشكل منها شخصية مستقلة عن باقي السور القرآنية، كما عرفنا ذلك من قبل للمصطلح والموضوع القرآنيين، وسنتناول من خلال المطالب التالية ما يتعلق بالوحدة الموضوعية للسورة القرآنية.

المطلب الأول: السورة القرآنية بين ذاتية الوحدة المستقلة وبين تبعية الوحدة العامة في القرآن الكريم.

المقصود من هذا المفهوم تحديد مفهوم الوحدة الموضوعية بين الاستقلالية والتبعية، بمعنى: هل لكل سورة قرآنية وحدة موضوعية مستقلة بذاتها، تعطينا من خلالها تصورا واضحا حول الموضوع الذي عالجته، أم أن ذلك يُستقصى في سور أخرى لتجميع شتات الموضوع الواحد في السور المتفرقة؟ ثم: هل أن لكل سورة وحدة خاصة –حتى وإن جمعنا شتات موضوعها من سور أخرى–، أم أنها تبع لسورة أخرى، تفصّل ما أجملته، كما هو الحال بالنسبة لسعيد حوى الذي حدد تبعية السور القرآنية لسورة البقرة؟

الفرع الأول: السورة القرآنية ذات وحدة موضوعية مستقلة.

ولعل أهم من قال بهذا، محمد عبد الله دراز، وعبد الحميد الفراهي ، وسيد قطب؛ حيث يؤكد محمد عبد الله دراز على الوحدة الموضوعية للسورة القرآنية، كوحدة لا تتجزأ، تترابط موضوعاتها الجزئية فيما بينها على الرغم من أنها نزلت في أزمان متفرقة، وقد أوضح أن السياسة الرشيدة في دراسة النسق القرآني، هو تأمل السورة ككل للوصول إلى هدفه وموضوعها، وذلك قبل البحث في الصلات الموضعية بين أجزائها[120].

يقول في ذلك: «إنك لتقرأ السورة الطويلة المنجمة يحسبها الجاهل أضغاثا من المعاني حشوت حشوا... فإذا هي لو تدبرت بنية متماسكة قد بنيت من المقاصد الكلية على أسس وأصول، وأقيم

---

[119]– محمود شلتوت: تفسير القرآن الكريم، ص:68-73.

[120]– محمد عبد الله دراز: النبأ العظيم، مصدر سابق، ص: 149-150.

على كل فصل منها شعب وفصول... فلا تزال تنتقل بين أجزائها كما تنتقل بين حجرات وأفنية في بنيان واحد، قد وضع رسمه مرة واحدة...» [121].

ويصرح بذلك أيضا في كتابه "المدخل إلى القرآن الكريم"، فيقول: «...ولقد وضح لنا بما أثار دهشتنا أن هناك تخطيطا حقيقيا واضحا ومحددا يتكون من ديباجة وموضوع وخاتمة...» [122].

وقد طبق ذلك عمليا على سورة البقرة، مبرزا بذلك غايتها، ووحدة نظامها المعنوي في جملتها[123].

وأما عبد الحميد الفراهي، فهو يرى أن للسورة الواحدة نظاما واحدا، أصّل من خلاله منهج استخراج الوحدة الموضوعية للسورة القرآنية، سواء القصيرة في ذلك أم الطويلة؛ إذ يقول: «إنا نرى أن سور القرآن منها قصارا ومنها طوالا تزيد أضعافا على قصارها ، فلو لم يكن هناك أمر واحد، ومنهج كامل، تتم السورة بتمامه لجعل القرآن كله سورة واحدة، ولما لم يرد الله أن يجعل السور على مقدار خاص فقد أراد أمرا واحدا، ونظاما كاملا في سورة واحدة، وإلا لما سلك آياتها في سلك واحد...» [124].

ويؤكد أن التشابه في المعنى لا يكفي لجمع السور، فإن المعوذتين مع شدة مناسبتهما جعلتا سورتين ، ولكن النظم وأسلوب الكلام مختلف فيهما[125].

يقول مبينا ذلك: «...فيغلب على الظن: أن الله تعالى أراد بالسورة كلاما منتظما –يشترك فيه القصير والطويل باسم السورة –كما أن الحيوان سواء الكبير منها والصغير، يشتركان في اسم الحيوان»[126].

ثم يعقد موازنة بين نظام السور القصار والطوال، فيرى أن هذه كتلك، وأن كل واحدة منها تشكل نظاما خاصا بها، حسب سياقها وأسلوبها، وينفي بذلك الاقتضاب عن السورة القصيرة،

---

[121]– المصدر نفسه، ص : 150.

[122]–عبد الله دراز : المدخل إلى القرآن الكريم، مصدر سابق، ط5 ، الكويت ، دار القلم ، 2003م، ص:128.

[123]– النبأ العظيم، ص:191-271.

[124]– عبد الحميد الفراهي: فاتحة نظام القرآن، ص:20. نقلا عن: زياد الدغامين، منهجية البحث في التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ص:106.

[125]– المرجع نفسه.

[126] – المرجع نفسه ، ص:106- 107.

فيقول: «...ثم مع ذلك إن نحن تدبرنا قصار السور لاح لنا أنها تضاهي الطوال رباطا ونظاما، فإن دقة العلاقة، ولطافة الرباط في الآيات القصار مثل ما هي في الطوال، و لم يجترئ أحد ولا ينبغي له أن يقول بالاقتضاب في القصار مثل سورة الماعون و الكوثر والعصر، فإذا وصلت إلى النهج الدقيق في هذه السور، هديت به إلى رباط الطوال»[127].

ويرى سيد قطب « أن لكل سورة من سور القرآن شخصية متميزة، شخصية لها روح يعيش معها القلب، كما لو كان يعيش مع روح حي مميز الملامح والسمات والأنفاس ، ولها موضوع رئيسي ، أو عدة موضوعات رئيسية مشدودة إلى محور خاص، ولها جو خاص يظلل موضوعاتها كلها، ويجعل سياقها يتناول هذه الموضوعات من جوانب معينة تحقق التناسق بينها وفق هذا الجو...وهذا طابع عام في سور القرآن جميعها » [128].

ويوضح سيد نظرته إلى سور القرآن –كتطبيق لها- في تقديمه لسورة الأعراف، فيقول: «هذه سورة مكية –كسورة الأنعام- موضوعها الأساس هو موضوع القرآن المكي... العقيدة، ولكن ما أشد اختلاف المجالين اللذين تتحرك فيهما السورتان في معالجة هذا الموضوع الواحد، وهذه القضية الكبيرة !.

إن كل سورة من سور القرآن ذات شخصية متفردة، وذات ملامح متميزة، وذات منهج خاص، وذات أسلوب معين، وذات مجال متخصص في علاج هذا الموضوع الواحد، وهذه القضية الكبيرة، إنها كلها تتجمع على الموضوع والغاية، ثم تأخذ بعد ذلك سماتها المستقلة، وطرائقها المتميزة، ومجالها المتخصص في علاج هذا الموضوع، وتحقيق هذه الغاية...» [129].

ومثاله لهذا بقوله: «إن موضوع سورة الأنعام هو العقيدة، وموضوع سورة الأعراف هو العقيدة... ولكن بينما تعالج سورة الأنعام العقيدة في ذاتها، وتعرض موضوع العقيدة وحقيقتها... نجد سورة الأعراف تأخذ طريقا آخر، وتعرض موضوعها في مجال آخر... إنها تعرضه في مجال التاريخ البشري، في مجال رحلة البشرية كلها... من لدن آدم –عليه السلام- إلى محمد – عليه السلام-»[130].

---

[127]- المصدر نفسه، ص:107.

[128]- سيد قطب: في ظلال القرآن، القاهرة، ط11، دار الشروق 1985،م: 1/ 27-28.

[129]- المصدر نفسه:3/ 1243.

[130]- المصدر نفسه: 3/ 1244، وينظر: صلاح عبد الفتاح الخالدي، المنهج الحركي، ص:203-214.

ولعل هذا الصنيع هو الذي كان من وراء مبالغة عدنان زرزور في الإطراء على سيد قطب بقوله: «لعل سيدا أول مفسر في تاريخ القرآن الكريم أبرز الوحدة الموضوعية في السورة القرآنية المفردة طالت أم قصرت»[131].

الفرع الثاني: تبعية الوحدة الموضوعية للسور القرآنية لسورة البقرة عند سعيد حوى.

يتلخص مفهوم نظرية الوحدة القرآنية، عند سعيد حوى أن سورة الفاتحة ذكرت كل المعاني القرآنية بإجمال،«وجاءت سورة البقرة لتفصل في الطريقين: طريق المنعم عليهم، وطريق المغضوب عليهم والضالين؛ حيت انصب الحديث في التسع وثلاثين آية الأولى منها على المعاني الرئيسية في الهدى والضلال، بينما جاء باقي السورة ليخدم معنى من هذه المعاني، ثم تأتي السور المتبقية بعد ذلك لتنتظم في أربعة وعشرين مجموعة قرآنية، كل مجموعة تحوي سورتين على الأقل تجمعها وحدة موضوعية، تفصل في معاني سورة البقرة وبالترتيب الوارد فيها »[132].

يقول سعيد حوى في هذا: «إن المعاني الإجمالية في القرآن عرضتها سورة البقرة في آياتها التسعة وثلاثين الآية الأولى، ثم جاءت تتمة سورة البقرة لتخدم المعاني الواردة في الآيات الأولى هذه، وجاءت المجموعات تتوالى لتفصل كل مجموعة هذه الآيات بشكل أو بآخر»[133].

وإن المتأمل في تفسير سعيد حوى، ليجد أنه يقول أيضا بوحدة موضوع السورة، معنونا لها بعنوان «كلمة في السورة ومحورها»، مبرهنا عليها من خلال تقديم المعنى العام للسورة، وكذلك المعاني الرئيسية التي تعالجها تلك السورة وترمي إليها[134].

يقول –مثلا- في مقدمة تفسير سورة الجاثية: «هذه مقدمة السورة... وهي تشعرنا بموضوع السورة...وإذا كانت السورة تفصل في الآيات السبع الأولى لسورة البقرة، فإن بداية السورة يظهر فيها من البداية صلتها بهذا التفصيل»[135].

---

[131]- عدنان محمد زرزور: مدخل إلى تفسير القرآن وعلومه، ط2 ، بيروت ،دار القلم، 1998م، ص:267.

[132]-سعيد حوى: الأساس في التفسير، ط5 ، القاهرة ، دار السلام ،1999م، 6770/11.

وينظر: جميلة موجاري: نظرية الوحدة القرآنية في تفسير سعيد حوى، مخطوط رسالة ماجستير من جامعة الأمير عبد القادر بقسنطينة، 2002م،ص: 64- 65.

[133]- سعيد حوى: المصدر نفسه، 8/ 6074.

[134]- جميلة موجاري: نظرية الوحدة القرآنية في تفسير سعيد حوى، ص: 152- 154بتصرف .

[135]- سعيد حوى: الأساس في التفسير: 5215/9.

فهو يقول بوحدة موضوع السورة، لكنه يربطها بتفصيل سورة البقرة حسب الأقسام الأربعة للقرآن التي هي مذكورة في حديث واثلة بن الأسقع عن النبي ﷺ قال: «أعطيت مكانة التوراة السبع الطوال، ومكان الزبور المئين، ومكان الإنجيل المثاني، وفضلت بالمفصل»[136].

الفرع الثالث: السورة القرآنية ذات وحدة موضوعية تبعية.

بمعنى أن موضوع السورة لا يكتمل شتاته إلا بجمعه من سور عديدة تعرضت له، ولعل أهم من يمثل هذا الاتجاه قديما الشاطبي ؛إذ يقول في ذلك: «إن الكلام المنظور فيه تارة يكون واحدا بكل اعتبار؛ بمعنى أنه أنزل في قضية واحدة طالت أو قصرت، وعليه أكثر سور المفصل، وتارة يكون متعددا في الاعتبار؛ بمعنى أنه أنزل في قضايا متعددة، كسورة البقرة، وآل عمران، والنساء...» [137].

الفرع الرابع: وضوح الموضوع في السورة وعدم اكتماله إلا في سور أخرى.

الملاحظ على القول الأول أنه لم ينظر بدقة إلى توزع أطراف الموضوع في سور أخرى، وأن عدة سور عالجت موضوعا واحدا، لكن من زوايا مختلفة، وقد واجه سيد صعوبة ملحوظة في تحديده لموضوع السور المكية على الإطلاق، فكم من سورة ذكر أنها تعالج موضوعات القرآن المكي: الوحدانية، الألوهية، الوحي، البعث، الرسالة، كما في تقديمه سورة يونس، الرعد، إبراهيم، النحل، الإسراء، الأنبياء، الحج ، الصف، وغيرها[138].

أما قول الفراهي بالنظام فهو يدل على تناسق أجزاء السورة، ولا يدل بالضرورة على وحدة موضوع بعينه[139].

وأما نظرية سعيد حوى، فهي لا تعدو نظرية في ذلك —سواء قلنا بصحتها أم بطلانها— ؛إذ يكف من المؤكد أن الوحدة الموضوعية للسورة القرآنية حقيقة ثابتة، كذلك لا نسلم له بقوله: إن كل سورة تفصل معنى من معاني سورة البقرة... إذ أن كل سورة لا تعدو أن تكون متصلة بها بوجه

---

[136]- الحديث أخرجه أحمد في المسند: 107/4، الطبري في جامع البيان: 34/1، والطحاوي في مشكل الآثار: 154/2، والطبراني في المعجم الكبير: 75/22. والحديث صححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة: 469/3.

[137]- أبو إسحاق الشاطبي: الموافقات في أصول الشريعة: 414/3-415.

[138]- ينظر مثلا: سيد قطب: في ظلال القرآن: 3550/6، 3562-3563.

[139]- زياد الدغامين : منهجية البحث في التفسير الموضوعي للقرآن الكريم ، مرجع سابق ، ص: 107.

ما من الوجوه فقط[140]، كما أن كثيرا من السور لا تعالج موضوع التقوى الذي جعله موضوعا لسورة البقرة، وإنما فيها التشريع وغيره.

وأما تفريق الشاطبي بين سور القرآن «فأمر مضطرب ولا دليل عليه، لأن حقيقة إقرارنا بأن كل سورة مبنية على نظام محكم عجيب، وعلى تحفة رائعة في التركيب، يقطع بأن سورة الكوثر أو سورة الإخلاص تشبه كل منهما سورة البقرة أو آل عمران من حيث نظامها وتركيبها الظاهر، وهو الوحدة الفنية المتعلقة بالنظم، والباطن وهو الوحدة الموضوعية المتعلقة بالمحتوى والمضمون»[141].

فالسورة القرآنية تحتوي على وحدة موضوعية واضحة، تبرز من خلال منهجها ومقاصدها في ذلك، وهي بين موضوعاتها الجزئية متلاحمة كتلاحم أعضاء الكائن الحي الواحد، وهي –السورة– تعطينا بذلك صورة واضحة كاملة للموضوع الذي عرضته من الوجهة التي أرادت به الحديث عنه، بل إن كل سورة «لها حدودا وأهدافا وأغراضا تدور حولها، فتعرض لتحقيق ذلك إلى عدة معان، وتأخذ ثم كل معنى ما يتناسب مع هدفها»[142]، وأن ذكر بعض جوانب الموضوع يدل على الوحدة الموضوعية للموضوع القرآني.

وإذا كرر الموضوع الواحد ،فهو في كل سورة يناسبها شكلا وموضوعا، وأنه يؤدي إلى كمال الوحدة الموضوعية[143]، كما له فوائد تربوية أخرى: كالتنوع في معالجة الموضوع الواحد تناسبا مع فطرة النفس الإنسانية، وتثبيتها لهذا الموضوع في نفس التالي أو السامع لكتاب الله ﷻ، ويتلاءم أيضا مع استعداداته لتقبل الموضوع[144]، وهو فوق ذلك مظهر من مظاهر إعجاز القرآن الذي عالج موضوعاته عن طريقي السورة، وطول القرآن الكريم وعرضه.

المطلب الثاني: علوم القرآن والوحدة الموضوعية.

أشار الدارسون إلى الصلة بين علوم القرآن والوحدة الموضوعية للسورة القرآنية، وتحدثوا عن بعض جوانب علوم القرآن ومساهمتها في التماسك العضوي لموضوعات السورة، وإثراء موضوعها

---

[140]– جميلة موجاري: نظرية الوحدة القرآنية في تفسير سعيد حوى، ص:386.

[141]– زياد الدغامين: منهجية البحث في التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ص:101.

[142]– محمد محمود حجازي: الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم، ص:37.

[143]– المصدر نفسه، ص:47، 85.

[144]– رفعت فوزي عبد المطلب: الوحدة الموضوعية للسورة القرآنية، ص:9-11بتصرف.

وغرضها العام، وتتجسد العلاقة بين بعض علوم القرآن والوحدة الموضوعية في الفروع الآتية:

الفرع الأول: أسباب النزول.

قد اعتنى المفسرون بهذا الفن في كتبهم، وجعلوه علما على «الحادثة التي وقعت زمن النبي ﷺ، واقتضت إنزال آية أو آيات تبين حكم الله فيها، وقد تكون ردا على سؤال طرح في ذلك»[145].

ولأسباب النزول فوائد كثيرة، لعل أهمها: تحقيق الفهم الصحيح لمعاني القرآن الكريم، وكشف الغموض والإبهام عنها[146].

ولعل ملاحظة هذا البعد التاريخي البيئي، وإدراك الموضوعات التي كانت تشغل المسلمين آنذاك، والتي كانت تنزل الآيات مبينة حكم الله فيها، هو الذي دفع بالباحثين إلى اشتراطه لتحديد الوحدة الموضوعية في السورة القرآنية[147].

فعموما ما تنزل السورة أو الآيات لمعالجة ظاهرة اجتماعية، أو لتوجيه النبي ﷺ لمعالجة هذه الظاهرة، فهو بذلك يقربنا إلى موضوع السورة بما يكشف من ربط جزئياتها ومقاطعها التي نزلت الآيات فيها، «فمعرفة السبب هو معنى معرفة مقتضى حال السورة»[148].

ولهذا قال ابن شهيد ميسلون: «إن السورة الواحدة تلاحظ فيها ثلاث غايات: أولها: موضوع تدور حوله، وثانيها:مؤمن يتحدث إليه بما فيه هدايته، وثالثها: مقتضى حال يدور بين أسباب النزول وداعية القول»[149].

ومن أمثلته في ذلك، سبب نزول سورة الأنفال وهو الآيات التي نزلت تجيب عن سؤال أصحاب رسول الله ﷺ حول قسمة الأنفال عقب يوم بدر، وتبين حكم الله تعالى فيها[150].

---

(145)- ينظر في هذا: جلال الدين السيوطي: الإتقان في علوم القرآن : 29/1.

(146)- ينظر: عبد الفتاح القاضي: من علوم القرآن، مكتبة الكليات الأزهرية، ص:24.
وبدر الدين الزركشي: البرهان في علوم القرآن: 34/1.

(147)- زياد الدغامين: منهجية البحث في التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ص:134.

(148)- أبو إسحاق الشاطبي: الموافقات في أصول الشريعة، تعليق عبد الله دراز، 3/ 295.

(149)- ابن شهيد ميسلون: نظرة العجلان في أغراض القرآن، دمشق، المطبعة العصرية ، ص:5.

(150)- ينظر: ابن كثير: تفسير القرآن العظيم :3/ 274 ،عبد الرحمان بن الجوزي: زاد المسير إلى علم التفسير:3/ 214- 215.

كما أن من ذلك ملاحظة أن الآيات التي نزلت ابتداء من غير سبب –وكذلك السور– قد تحدثت –في أغلبها– عن أمور العقيدة ووصف مشاهد القيـــامة، والحديث عن أخبـــار الأمم الغابرة، وقصص الأنبياء والرسل مع أقوامهم، وأن الآيات التي نزلت سببا للنزول قد تعلقت –في معظمها– بالتشريع والأحكام والآداب[151].

من أمثلة ذلك، قصة أصحاب الإفك، وقضية التعامل مع أموال اليتامى، وقصة ذي القرنين وغيرها.

وما يزيد انسجاما في ذلك، الأخذ بالقاعدة الأصولية الشهيرة «العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب»[152].

ومن أمثلتها مناسبة قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا﴾[153]، مع قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا﴾[154].

حيث أن الآية الثانية نزلت في «كعب بن الأشرف اليهودي الذي قدم إلى مكة، فسأله المشركون؛ من أهدى سبيلا؟ فقال: أنتم !، كذبا منه وضلالة !»[155].

يقول ابن العربي في توجيه المناسبة بينهما: «وجه النظم أنه أخبر عن كتمان أهل الكتاب صفة محمد ﷺ وقولهم: إن المشركين أهدى سبيلا، فكان ذلك خيانة منهم، فانجر الكلام إلى ذكر جميع الأمانات»[156].

والشيخ شلتوت يعتمد هذه القاعدة الأصولية، ويعمم بها معاني الآيات، لتوافق موضوع السورة وغرضها العام، كما ذكره في قصة شاس بن قيس وتعميمه لها حتى توافق غرض السورة في إظهار حيل أهل الكتاب، لإضعاف هذا الدين وتفريق شمل أهله؛ إذ يبيّن الشيخ شلتوت – بتعميمه

---

(151)– ينظر: غانم قدوري الحمد: محاضرات في علوم القرآن، عمان، دار عمار، 2003، ص:36.

وغازي عناية: أسباب النزول القرآني، باتنة، دار الشهاب، 1987م، ص:14.

(152)– بدر الدين الزركشي: البرهان في علوم القرآن: 1/ 32.

(153)– سورة النساء: الآية58.

(154)– سورة النساء: الآية: 51.

(155)– بدر الدين الزركشي: البرهان في علوم القرآن، 1/ 26-27.

(156)– المصدر نفسه.

لسبب النزول- دوره في إيضاح الوحدة الموضوعية لسورة آل عمران (إرشاد المؤمنين إلى التعامل مع أهل الكتاب) فيقول :« .. إنه لا يزال هذا الشأن الذي تناوله شاس بن قيس في جماعة المؤمنين الأولين يتناوله أعداء المسلمين في كل العصور... وإن للمسلمين في كل عصر من هؤلاء الخصوم – النافسين عليهم مكانتهم ، الحريصين على تمزيق شملهم ، وتفريق كلمتهم ، المنفرين لهم عن اجتماعهم حول كتابهم – شاسا يعمل هذا العمل...» [157].

الفرع الثاني: موضوعات المكي والمدني.

إن معرفة المكي والمدني وملاحظة الملابسات التي حفت نزول الآيات والسور على حسب الوقائع والأحداث تؤدي إلى معرفة منهج القرآن في طرح موضوعاته[158]، وفي تحقيق التوافق بينها.

ولا يهمنا –في هذا المقام كثيرا- الحديث عن ضوابط كل منهما، واختلاف العلماء في تحديدها بناء على الاعتبارات الثلاثة: الاعتبار الزماني، والاعتبار المكاني، والاعتبار الخطابي[159]، وإن كان الصحيح من ذلك الغالب في كل منها جميعا كل حسب مقامها[160].

ولكن لاحظ كثير من العلماء، أن النظر في ضوابط المكي والمدني الخطابية، يشير إلى تماسك الوحدة الموضوعية خاصة في السورة القرآنية، فقالوا مثلا: أن كل سورة ذكر فيها فريضة، أو أمر الجهاد، وذكر المنافقين، ونداء المؤمنين وغيرها فهي سورة مدنية، وكل سورة ذكرت فيها العقائد، وقصص الأنبياء، ونداء الناس وغيرها فهي مكية [161].

وإن كانت مميزات أكثر منها ضوابط؛ لأن « المقصود بالضوابط هنا ما تتعلق بخصائص الألفاظ، وأما المميزات فإنما يقصد بها ما يتعلق بخصائص الأسلوب والمعاني وأغراض السورة»[162].

---

[157]- محمود شلتوت: تفسير القرآن الكريم، ص: 104- 105، وينظر: المصدر نفسه ، ص : 124، 218، 412 وغيرها .

[158]- قدوري غانم الحمد، محضرات في علوم القرآن، مرجع س ابق، ص:80-81.

[159]- ينظر: بدر الدين الزركشي: البرهان في علوم القرآن، 1/ 193 وما بعدها.

جلال الدين السيوطي: الإتقان في علوم القرآن : 9/1.

مناع القطان: مباحث في علوم القرآن، مرجع سابق، ط2، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، 1999م، ص:61- 62.

[160]- بدر الدين الزركشي: البرهان في علوم القرآن: 1/ 193 وما بعدها.

[161]- مناع القطان: مباحث في علوم القرآن، ص: 63 - 64بتصرف.

محمد أبو شهبة: المدخل لدراسة القرآن الكريم، مرجع سابق، ص:332 وغيرها.

[162]- عبد الرزاق حسين أحمد: المكي والمدني، ط1 ، القاهرة، دار ابن عفان ، 1999م،1/ 160-

والمميزات متضمنة ضمن الطريق القياسي كما حدده الجعبري[163]، يقول ابن تيمية: «...فإن السور المكية تضمنت الأصول التي عليها رسل الله، إذ كان الخطاب فيها يتضمن الدعوة لمن لا يقر بأصل الرسالة»[164]، كما هو عند الشاطبي[165]، وابن جزي الغرناطي[166] وغيرهم.

ويقول محمد رشيد رضا: «وأما السور المدنية فحجاجها في الغالب مع أهل الكتاب والمنافقين، وفيها تفصيل الأحكام الشخصية والمدنية لكثرة المسلمين المحتاجين إليها»[167].

ولقد قلنا أن الحكم للغالب في ذلك، لأنه قد يثبت المكي والمدني من غير مراعاة ضابط معين، كما أنه لا تخلو السور المكية من الإشارة إلى موضوعات التشريع والعكس صحيح.

يقول في ذلك محمد قطب: «تتحدث السور المدنية عن العقيدة، ولكن حديث العقيدة هنا لا يأخذ المساحة التي كان يأخذها في السور المكية، لأنه هناك كان للتأسيس وهو هنا للتذكير»[168].

ويقول الشيخ محمد الغزالي: «وهناك آيات تعرضت لأهل الكتاب فجاء الرواة وعدوها مدنية، كأن الكلام عن أهل الكتاب في مكة لا محل له، والواقع أن هذه الروايات ينقصها التمحيص العلمي والتحقيق التاريخي...» [169]، وهذا من أسباب الاختلاف في تعيين المكي والمدني[170].

وقد روعي في تحقيق الوحدة الموضوعية للسورة القرآنية تنزيل المدني منها في الفهم على المكي، وكذلك المكي بعضه مع بعض، خاصة إذا راعينا القول بوجود آيات مدنية في السور المكية، والعكس صحيح، وإن كان ذلك مرجوحا[171].

يقول الشاطبي: «وخذ شاهدا على ذلك سورة الأنعام فإنها بنيت قواعد الدين وأصوله، وهي

=ويراجع: ابن كثير: فضائل القرآن، ط5، دار الأندلس، لبنان، 1982م، ص:6.

(163)- بدر الدين الزركشي: البرهان في علوم القرآن: 1/ 189.

(164)- ابن تيمية: مجموع الفتاوى ، المغرب ، مكتبة المعارف، 15/ 189.

(165)- أبو إسحاق الشاطبي: الموافقات في أصول الشريعة، مصدر سابق،3/ 345.

(166)- ابن جزي الغرناطي: التسهيل لعلوم التنزيل ، دار الكتاب العربي، 8/1.

(167)- محمد رشيد رضا: تفسير المنار، مصدر سابق، 4/ 321.

(168)- محمد قطب: دراسات قرآنية ، ط6 ،القاهرة ، دار الشروق ، 1991م، ص:265.

(169)- محمد الغزالي: نظرات في القرآن، باتنة ، دار الشهاب، ص:251.

(170)- عبد الرزاق حسين أحمد: المكي والمدني، مرجع سابق: 1/127-133.

(171)- المرجع نفسه: 1/154-155.

سورة مكية، وسورة البقرة... فإنها قررت قواعد التقوى المبنية على قواعد سورة الأنعام، وفصلت من أفعال المكلفين ما أجملته الأنعام»[172].

وقد يستشكل هذا مع الوحدة الموضوعية للسورة القرآنية، -وإن كان واضحا في الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم- أن كل سورة مستقلة بالتنزيل كوحدة تامة عن غيرها.

والجواب على ذلك أن قولنا: أن السورة تنزل بعد السورة أن نزول الثانية يكون بعد انتهاء الأولى؛ بل قد تنزل الثانية متخللة نزول الأولى، وفي هذا يقول ابن عاشور: «فليس معنى قولهم: نزلت سورة كذا بعد سورة كذا مرادا منه أن المعدودة نازلة بعد أخرى، أنها ابتدئ نزولها بعد انتهاء نزول الأخرى، بل المراد أنها ابتدئ نزولها بعد ابتداء نزول التي سبقتها»[173].

ومثاله ما قاله ابن تيمية: «و[سورة] البقرة، وإن كانت مدنية بالاتفاق، وقد قيل إنها أول ما نزل بالمدينة، فلا ريب أن هذا في بعض ما نزل، وإلا فتحريم الربا إنما نزل متأخرا...» [174].

وأخيرا إلى جانب كل ذلك، ملاحظة الخصائص الأسلوبية للسور المكية والمدنية، من قصر الآيات، وكثرة الفواصل، وأساليب القسم، وضرب الأمثال وغيرها بالنسبة للسور المكية، بالإضافة إلى الخصائص الموضوعية السالفة الذكر[175].

والأمثلة على ذلك كثيرة جدا، والتي تبين تسهيل معرفة المكي والمدني التماس موضوع السورة، وتماسك جزئياته، ابتداء ثم انتهاء، فسورة الحجر المكية مثلا توضح أصول الإيمان، وسورة النساء مثلا يتبين أنها تعالج موضوعا من موضوعات التشريع،وفي هذا يقول القرطبي: «ومن تبيّن أحكامها علم أنها مدنية لا شك فيها»[176].

ونحن مع زياد الدغامين في أن ذلك لا يوضح ذلك بصورة كافية،« فمع علمنا بمكية السورة لا ندري أي موضوع بالتحديد عالجته، والتشابه بين السور المكية لا يوضح ذلك»[177]، إلا أن ذلك

---

[172]- أبو إسحاق الشاطبي: الموافقات في أصول الشريعة، مصدر سابق، 3/345-346.

[173]- محمد الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، 1984م: 3/144.

[174]- ابن تيمية: مجموع الفتاوى، مصدر سابق: 17/193.

[175]- ينظر: عبد العظيم الزرقاني: مناهل العرفان في علوم القرآن: 1/204.

محمد الزفزاف: التعريف بالقرآن والحديث، ط4 ، الكويت ، مكتبة الفلاح ، 1984 م، ص:71.

[176]- القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، مصدر سابق: 1/5.

[177]- زياد الدغامين: منهجية البحث في التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ص:129.

يسهل في توضيح الرؤية، بالتضافر مع عوامل أخرى كما سنبيّن لاحقا.

– موضوعات المكي والمدني في تفسير الشيخ شلتوت.

والشيخ –رحمه الله– كان حريصا في استنباط والوصول إلى موضوع السورة على الاعتماد على الخصائص المكية والمدنية كأصول في ذلك.

يقول مثلا عن الخصائص المكية: «ومن المعلوم أن المكي –وهو ما نزل قبل الهجرة–[178] يتضمن أصول الدعوة، وهي قضايا التوحيد، والوحي والبعث، كما يتضمن الإرشاد إلى أمهات الأخلاق الفاضلة، وقد عنى في سبيل ذلك بتوجيه الأنظار إلى أدلة القضايا الثلاث، ومناقشة حجج المشركين فيها،مما لم يدع شبهة لمشرك في إشراكه، ولا لمنكر البعث في إنكاره، ولا لمعرض عن تصديق الرسول في رسالته، والمكي بعد هذا يعرض كثيرا لقصص الأولين، ونتائج تكذيبهم لرسلهم، يرى كل ذلك في سورتي الأنعام والأعراف، وما شاركهما في النزول قبل الهجرة»[179].

ويقول –عن الخصائص المدنية–: «أما السور المدنية فإنها قد عنيت بمجادلة أهل الكتاب الذين كانوا يجاورون الرسول في المدينة... كما عنيت فيما يختص بالمؤمنين بتفصيل كثير من الأحكام التي ينظمون بها شئونهم الداخلية والخارجية، ونرى ذلك في سور: البقرة وآل عمران والنساء والمائدة وما شاركها في النزول بعد الهجرة»[180].

ومثاله في تفسيره قوله عن سورة الأنعام: «فهذه سورة الأنعام في جملتها... وفيما امتازت به عن غيرها، ومنه يظهر أنه لا مجال للقول بأن بعضها من قبيل المدني... فكلها جملة واحدة ، نزلت بمكة لغاية واحدة، وهي تركيز الدعوة بتقرير أصولها والدفاع عنها...»[181].

الفرع الثالث: القصص القرآني.

إذا كانت القصة في القرآن تعنى –بعد عنايتها بالعبر والعظات وباقي الفوائد الأخرى[182]–

---

[178]– ينظر في ترجيح هذا الضابط: فؤاد علي رضا: من علوم القرآن، دار إقرأ، بيروت، ص:26.

[179]– محمود شلتوت: تفسير القرآن الكريم، ط12، دار الشروق، القاهرة، 2004م، ص:398.

[180]– المصدر نفسه، ص:398-399.

[181]– المصدر نفسه، ص:306.

[182]– ينظر: عباس فضل حسن: القصص القرآني ،الجزائر ، شركة الشهاب ، ص:9 وما بعدها .

وعبد الكريم الخطيب: القصص القرآني في منطوقه ومفهومه، بيروت ، دار المعرفة ، ص:77 وما بعدها.

بتتبع وتوضيح الأحداث التاريخية وشخصياتها بشقيها القصصي والتعقيبي، فإن الوحدة الموضوعية من خلالها هي: «أن يكون العمل متماسكا إلى أبعد درجات التماسك؛ بحيث إن كل جزئية تفضي إلى التي تليها، ولا يمكن حذف جزئية واحدة»[183]، تصور لنا «صورة واحدة في أحسن تقويم ، وتعطينا منظرا متآلفا في أبدع تنظيم، وتصور لنا كائنا متناسق الأعضاء، مترابط الأجزاء... لا تناكر بين معانيه في العقول والأفهام... بل يكمل بعضه بعضا»[184].

والملاحظ في عرض القرآن للقصص أنه يذكرها مفصلة، مرة واحدة بلا تكرير في سورة واحدة، أو أنه يذكرها مجملة في سورة ومفصلة في سور أخرى، ومنها ما يكررها وفي كل تفصيل وإجمال، ومنها ما يذكرها مجملة فحسب بلا تكرير[185].

وفي الأولى ما تتضح معها أكثر الوحدة الموضوعية للسورة القرآنية، وأن الحالات الأخرى تتضح بها بقدر وضوح مقصود السورة.

فمن الأولى ورود قصة يوسف –عليه السلام– في سورة كاملة بمفردها، تعالج في كل مقاطعها من مقدمة وخاتمة وعرض موضوعا واحدا دون غيره ؟ هو تتبع حياة يوسف –عليه السلام– وقصته منذ ولادته إلى وفاته، مرورا بوقائع حياته التي عاشها، وبذكر الشخصيات الموزعة لأدوار هذه القصة، في انسجام تام بين مراحلها التاريخية القصصية[186].

فهي بذلك «تعالج موضوعا رئيسا واحدا مع موضوعات جانبية في ثناياها، وتهدف إلى تحقيق مقصد رئيسي واحد، مع مقاصد أخرى جانبية، توحي بها أحداثها وأسلوب أدائها...» [187].

وأما باقي الحالات فهي تشمل: ذكر بعض الأنبياء في سورة دون أخرى، أو موازنة بين قصص أنبياء وردت في سورة واحدة، أو عقد مقارنة بين قصة نبي وردت في أكثر من سورة، وكل

---

(183)– حسن محمد باجودة، الوحدة الموضوعية في سورة يوسف، مرجع سابق، ص: 15.

(184)– أحمد جمال العمري: دراسات في التفسير الموضوعي للقصص القرآني، الطبعة الأولى، مكتبة الخانجي بالقاهرة، 1986م، ص:9-10.

(185)– محمد البشير النيفر: القرآن والقصص، ط1، مطبعة الشمال الإفريقي ، د.ت، ص: 6.

وينظر: محمد الدالي: الوحدة الفنية في القصة القرآنية، ص:119 وما بعدها.

(186)– حسن محمد باجودة: الوحدة الموضوعية في سورة يوسف، ص:15- 16.

(187)–محمد شديد: منهج القصة في القرآن، الرياض ، شركة عكاظ ،1984 م، ص:105.

بما يناسب مقصود السورة[188].

وعلى سبيل المثال أن سورة الشعراء ذكرت كثيرا من قصص الأنبياء، وهي تتفق في بدء كل قصة بعد قصة موسى وإبراهيم –عليهما السلام–، والملاحظ من خلالها تردد قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ(174)وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ(175)﴾ ،ودلالتها على مظاهر الرحمة الإلهية.

وذلك متصفح في السورة في قوله تعالى: ﴿رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾[189]،وفي وسطها كقوله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِي﴾[190]، وفي ختامها في قوله تعالى: ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ﴾[191]،

ولقد كان مطلع كل قصة يناسب مطلع أختها، وختامها مناسبا كذلك، وأسلوب العرض والتذكير واحد، والسر في كل ذلك يجمعه هدف واحد، هو تصوير خصـــومة القوم لأنبيائهم، والتخفيف من وقع الأمر على رسول الله ﷺ وألا يقتل نفسه غما على عدم إيمان قومه[192].

وتخضع هذه الحالات التي تجمل فيها القصة في سورة وتفصل في أخرى للقاعدة المعروفة «إذا كان السبق للإجمال فللتفصيل من بعده الموقع المكين، وإذا كان السبق للتفصيل فللإجمال من بعده التذكير المفيد»[193].

هذا وقد لاحظ الباحثون أهمية مراعاة البعد التاريخي والبيئي في تتبع القصة القرآنية في سور القرآن الكريم، وتحقيقها بذلك الوحدة الموضوعية العامة، ويتمثل ذلك في نوعية القصص الواردة في السور حسب متلقيها، والمعروضة عليهم لتحقيق الغرض التكاملي للقصة القرآنية، يقول علي النجدي ناصف: «وقد جعل الله لأهل مكة قصصا، ولأهل المدينة قصصا، لأن هؤلاء غير أولئك عقيدة وجبلة، أهل مكة عبدة أوثان...فما تصلح حالهم على الحاجة وحدها، ولكن على الزجر والوعيد...وأما أهل المدينة فكانوا أهل كتاب... فهم بذا أقرب إلى الله، لذا فقد قص عليهم من

---

[188]– محمد أحمد يوسف القاسم: الإعجاز البياني في ترتيب آيات القرآن الكريم وسوره ، ص:453.

[189]– سورة الشعراء: الآية 24.

[190]– سورة الشعراء: الآية78.

[191]– سورة الشعراء: الآية215.

[192]– محمد أحمد يوسف القاسم : الإعجاز البياني في ترتيب آيات القرآن الكريم وسوره، ص: 454-465 بتصرف.

[193]– محمد البشير النيفر: القرآن والقصص، ص:7.

حديث الماضي ما فيه تذكير بفضل الله عليهم»[194].

وعموما «فإن الأحداث التاريخية، وشخصياتها تتكامل فيما بينها، وتشكل في تحديثها لمراحل القصة وحدة موضوعية متماسكة ومتدرجة تؤدي كل شخصية فيها الدور المنوط بها،حسب الزمان والمكان والدور والحال والمقام المخصص لها»[195].

وهذا ما نبه إليه الشيخ شلتوت بقوله: « ومن هنا نرى أن القصة الواحدة قد تذكر على وجوه مختلفة في أماكن متعددة مختلفة بين الطول والقصر، والإجمال والتفصيل، والاقتصار والإكمال... باعتبار المناسبات والعبر التي يدعو إليها المقام الذي يتحدث عنه»[196].

المطلب الثالث: علم المناسبات[197] والوحدة الموضوعية.

علم المناسبات وثيق الصلة بالتفسير الموضوعي عموما، وبالوحدة الموضوعية خصوصا، خاصة ما يتعلق بالسورة القرآنية، ولذا كان من المهم أن نلم أولا بعلم المناسبات ، ثم نقرن ذلك ببيان الصلة بين علم المناسبات والوحدة الموضوعية.

الفرع الأول: مدخل إلى علم المناسبات.

استدعى منهج القرآن في عرضه للقضايا التي تضمنها هذا العلم انتباه قلة من العلماء والمفسرين قديما وحديثا، فانكبوا على دراسته ، وأفردوه علما مستقلا، يدرس خصائصه، ويجلي غوامضه ، أطلقوا عليه: (علم المناسبة)، فما معنى المناسبة؟ وما هو موضوعها وثمرتها؟ وما صلتها بالنص القرآني؟ وما موقف العلماء منها؟

أولا: تعريف علم المناسبات.

1-التعريف اللغوي:

المناسبات: جمع مناسبة؛ وهي في اللغة: المقاربة و الاتصال، يقول ابن فارس: «نسب؛ النون

---

[194]- علي النجدي ناصف: مع القرآن الكريم في دراسة مستلهمة، القاهرة ، دار المعارف، ص:24.

[195]- حسن محمد باجودة: الوحدة الموضوعية في سورة يوسف، ص:16.

[196]- محمود شلتوت: تفسير القرآن الكريم، ص:415 .

[197]- خصصنا الحديث هنا لعلم المناسبات مع أنها من أنواع علوم القرآن، لطولها ولأهميتها، ثم لتحقيق التوازن المنهجي بين عناصر البحث.

حديث الماضي ما فيه تذكير بفضل الله عليهم»[194].

وعموما «فإن الأحداث التاريخية، وشخصياتها تتكامل فيما بينها، وتشكل في تحديثها لمراحل القصة وحدة موضوعية متماسكة ومتدرجة تؤدي كل شخصية فيها الدور المنوط بها،حسب الزمان والمكان والدور والحال والمقام المخصص لها»[195].

وهذا ما نبه إليه الشيخ شلتوت بقوله: « ومن هنا نرى أن القصة الواحدة قد تذكر على وجوه مختلفة في أماكن متعددة مختلفة بين الطول والقصر، والإجمال والتفصيل، والاقتصار والإكمال... باعتبار المناسبات والعبر التي يدعو إليها المقام الذي يتحدث عنه»[196].

المطلب الثالث: علم المناسبات[197] والوحدة الموضوعية.

علم المناسبات وثيق الصلة بالتفسير الموضوعي عموما، وبالوحدة الموضوعية خصوصا، خاصة ما يتعلق بالسورة القرآنية، ولذا كان من المهم أن نلم أولا بعلم المناسبات ، ثم نقرن ذلك ببيان الصلة بين علم المناسبات والوحدة الموضوعية.

الفرع الأول: مدخل إلى علم المناسبات.

استدعى منهج القرآن في عرضه للقضايا التي تضمنها هذا العلم انتباه قلة من العلماء والمفسرين قديما وحديثا، فانكبوا على دراسته ، وأفردوه علما مستقلا، يدرس خصائصه، ويجلي غوامضه ، أطلقوا عليه: (علم المناسبة)، فما معنى المناسبة؟ وما هو موضوعها وثمرتها؟ وما صلتها بالنص القرآني؟ وما موقف العلماء منها؟

أولا: تعريف علم المناسبات.

1-التعريف اللغوي:

المناسبات: جمع مناسبة؛ وهي في اللغة: المقاربة و الاتصال، يقول ابن فارس: «نسب؛ النون

---

(194)- علي النجدي ناصف: مع القرآن الكريم في دراسة مستلهمة، القاهرة ، دار المعارف، ص:24.

(195)- حسن محمد باجودة: الوحدة الموضوعية في سورة يوسف، ص:16.

(196)- محمود شلتوت: تفسير القرآن الكريم، ص:415 .

(197)- خصصنا الحديث هنا لعلم المناسبات مع أنها من أنواع علوم القرآن، لطولها ولأهميتها، ثم لتحقيق التوازن المنهجي بين عناصر البحث.

والسين والباء كلمة واحدة قياسها اتصال شيء»[198].

والمناسبة يطلق عليها بعض العلماء [النظام] أو [الارتباط]، ويقصدون به « ارتباط آي القرآن بعضها ببعض حتى تكون كالكلمة الواحدة، متسقة المعاني، منتظمة المباني »[199].

وهكذا يتضح بأن المناسبة أو النظام أو الرباط بمعنى واحد، وإن اختلف اللفظ، فهي تدل جميعا على وجه الارتباط بين آي القرآن وسوره.

والمناسبة تعني المشاكلة ، وهي مأخوذة من النسب وهو القرابة[200]، والرباط ما ربط به[201]، كما أن النظام ما ينظم به الشيء.

2- المناسبة في الاصطلاح:

لم يذكر أكثر العلماء تعريفا اصطلاحيا لعلم المناسبة، ولعل السبب في ذلك هو: توافق المعنى الاصطلاح مع المعنى اللغوي، فاكتُفي بذكر الثاني عن الأول، وهذا أمر مهم في العلاقة بين المعنى اللغوي والمعنى الإصلاحي[202]، ومع ذلك حاول بعض العلماء والمؤلفين تعريف هذا العلم في الاصطلاح.

يقول ابن العربي: «ارتباط آي القرآن بعضها ببعض حتى تكون كالكلمة الواحدة، متسقة المعاني، منتظمة المباني علم عظيم»[203].

ويعرفها الإمام البقاعي بقوله: «هو علم تعرف منه علل الترتيب»[204].

ويعرفها محمد أحمد يوسف القاسم بقوله: «علم تعرف منه علل الترتيب بين أجزائه بعضها

---

[198]- أحمد ابن فارس: معم المقاييس اللغة، مصدر سابق، مادة (نسب): 423/5.

[199]- ينظر: بدر الدين الزركشي: البرهان في علوم القرآن: 36/1.

[200]- الفيروز آبادي: القاموس المحيط، ط3، مصر ، المطبعة الأميرية ، بولاق ، 1301هـ: 1/ 131.

[201]- المصدر نفسه: 358/2.

[202]- إبراهيم آل هو يمل: علم المناسبات بين المانعين والمجزين، مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، مرجع سابق، ص:97.

[203]- جلال الدين السيوطي: الإتقان في علوم القرآن: 108/2.

[204]- برهان الدين البقاعي: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، ت عبد الرزاق المهدي ، ط1، بيروت ، دار الكتب العلمية ، 1995م: 3/1.

إثر بعض، وهو سر من أسرار بلاغته لأدائه إلى تحقيق مطابقة معانيه كما يقتضيه الحال»[205].

ويعرفها مصطفى مسلم بقوله: «هي الرابطة بين شيئين بأي وجه من الوجوه في كتاب الله تعالى، وتعني ارتباط السورة بما قبلها وما بعدها، وفي الآيات تعني وجه الارتباط في كل آية بما قبلها وما بعدها»[206].

فالمناسبة بهذا هي: وجه الارتباط بين سور القرآن وآياته وكلماته.

ثانيا: موضوعه وأهميته وثمرته.

يقول الإمام البقاعي-وهو يتكلم عن المناسبات-: «وموضوعه أجزاء الشيء المطلوب علم مناسبته من حيث الترتيب»[207].

فيكون موضوع علم المناسبات هنا أجزاء القرآن الكريم وآياته وسوره من حيث الترتيب، وتناسقه وتناسبه ووجه اتصال بعضه ببعض.

وأما أهميته فتكمن في مزايا عدة نجملها فيما يلي:

1-أن فيه زيادة علم، وحسن فهم، وتدبر لكتاب الله ﷻ، وبه يفهم المقصود من الآيات فهما صحيحا لا يمكن حصوله دون النظر في المناسبة[208].

يقول الإمام الرازي: «أكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات والروابط»[209].

ويقول الإمام عبد الحميد الفراهي: «...ولما كان أكثر الحكم ومعالي الأمور مخبوءة تحت دلالات النظام، فمن ترك النظر فيه ترك من معنى القرآن معظمه»[210].

2-أن هذا العلم يربي العقل، ويعطيه ملكة قوية في حسن التدبر والاستنباط، وفي هذا يقول الإمام الزركشي: «واعلم أن علم المناسبات علم شريف تحرز به العقول، ويعرف به قدر القائل فيما

---

[205]- محمد القاسم: الإعجاز البياني في ترتيب آيات القرآن وسوره، ص:31.

[206]- مصطفى مسلم: مباحث في التفسير الموضوعي، ط3،دمشق ، در القلم ،2000م، ص:58.

[207]- برهان الدين البقاعي: نظم الدر في تناسب الآيات والسور، مصدر سابق: 5/1.

[208]- إبراهيم آل هويمل: علم المناسبات بين المانعين والمجيزين، مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود، مرجع سابق، ص:99.

[209]- بدر الدين الزركشي: البرهان في علوم القرآن: 36/1.

[210]- عبد الحميد الفراهي: دلائل النظام، ص38. نقلا عن: إبراهيم آل هويمل: علم المناسبات بين المانعين والمجيزين، مرجع سابق، ص:100.

يقول»[211].

3-أن بهذا العلم تكشف أوجه من أوجه الإعجاز القرآني من جهة نظمه، ولهذا قال الإمام الرازي في خاتمة تفسير سورة البقرة: «ومن تأمل في لطائف نظم هذه السورة، وفي بدائع تركيبها، علم أن القرآن كما أنه معجز بحسب فصاحة ألفاظه وشرف معانيه، فهو أيضا معجز بحسب ترتيبه، ونظم آياته، ولعل الذين قالوا: إنه معجز بحسب أسلوبه أرادوا ذلك»[212].

4-في معرفة هذا العلم ووجه مناسبة اللاحق للسابق، وما نزل متأخرا لما نزل من قبل، وأوجه الارتباط بين ما تباعد نزوله، ما يعلم ويؤكد أن هذا القرآن من عند الله ﷻ: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾[213].

5-بهذا العلم يتبين سر التكرار في الكلمات والآيات والقصص، بحيث تظهر مناسبة كل كلمة أو آية أو قصة وردت في موضعها، وأن لكل منها هدفا يختلف عن غيره من المواضع[214].

6-أنه يساعد على إبراز ما بين أجزاء القرآن من لحمة متينة، فإن بعضه آخذ بأعناق بعض في تأليف محكم، حاله حال البناء المتين المتلاحم الأجزاء[215]، أي: إنه يساعد على إبراز الوحدة الموضوعية.

7-لو لم يكن فيه من الأهمية إلا أنه علم من علوم القرآن الكريم لكفى بها ذلك، وفيه يقول السيوطي: «العلم بهذه الأسرار ضروري، والجهل بها نقص من مراتب العلماء»[216].

ثالثا: كيفية اكتشاف المناسبات وأهم المصنفات فيها.

قد علمنا أن المناسبة: معنى واصل بين الآيات، أو بين السورتين: عام أو خاص ، عقلي، أو حسي، أو خيالي ، أو غير ذلك من أنواع العلاقات، أو التلازم الذهني، كالسبب والمسبب، والعلة

---

[211]- بدر الدين الزركشي: البرهان في علوم القرآن: 36/1.

[212]- الفخر الرازي: التفسير الكبير ، ط دار إحياء التراث العربي: 128/7.

[213]-سورة النساء: الآية 82.

[214]- إبراهيم آل هويمل: علم المناسبات بين المانعين والمجيزين، مرجع سابق، ص:101.

[215]- المرجع نفسه.

[216]- جلال الدين السيوطي: معترك الأقران في إعجاز القرآن، دار الفكر: 54/1.

والمعلول، والنظيرين والضدين ونحو ذلك[217].

ومن هنا قال الشيخ ولي الدين الملوي: « والذي ينبغي في كل آية أن يبحث أول كل شيء عن كونها مكملة لما قبلها، أو مستقلة، ثم المستقلة ما وجه مناسبتها لما قبلها؟»[218].

ويزيدنا السيوطي تفصيلا في تناسب الآيات والسور فيما ينقله من قاعدة هامة بقوله: «الأمر الكلي المفيد لعرفان مناسبات الآيات في جميع القرآن، فهو أنك تنظر الغرض الذي سيقت له السورة، وتنظر ما يحتاج إليه ذلك الغرض من المقدمات، وتنظر إلى مراتب تلك المقدمات في القرب والبعد من المطلوب، وتنظر عند انجرار الكلام في المقدمات، إلى ما يستتبعه من استشراف نفس السامع إلى الأحكام أو اللوازم التابعة له...» [219].

وأما عن المصنفات فمتنوعة قديما وحديثا، إلا أنها لم تكثر المصنفات عند المتقدمين لثلاثة أسباب:

1-دقة هذا العلم مما يحتاج إلى تدبر عميق وتأمل طويل وفكر وقاد.

قال الزركشي: «وقد قل اعتناء المفسرين بهذا النوع لدقته»[220].

2-ربما خفيت أحيانا مما يوجب التكلف، ولذا ترك من أجل هذا.

3-عدم اتفاق العلماء على وجوده، وإعراض بعض منهم عنه.

يقول ابن العربي: «...فلما لم نجد له حملة، ورأينا الخلق بأوصاف البطلة، ختمنا عليه، وجعلناه بيننا وبين الله ورددناه إليه»[221].

وممن أفرده بالتصنيف: الإمام أبو جعفر بن الزبير في كتابه (البرهان في تناسب سور القرآن)، والإمام البقاعي في كتابه (نظم الدرر في تناسب الآيات والسور)، والإمام جلال الدين السيوطي في (تناسق الدرر في تناسب السور) و(مراصد المطالع في المقاطع والمطالع)، والشيخ عبد الله بن محمد

---

[217]- نور الدين عتر: أثر المناسبة في كشف إعجاز القرآن، مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية، العدد13، 1996م، ص:61.

[218]- بدر الدين الزركشي: البرهان في علوم القرآن: 37/1.

[219]- جلال الدين السيوطي: الإتقان في علوم القرآن ، 2/ 110.

[220]- بدر الدين الزركشي: البرهان في علوم القرآن: 36/1.

[221]- نقله عنه الزركشي في : البرهان في علوم القرآن: 36/1، و السيوطي في: الإتقان في علوم القرآن ، 2/ 108.

الصديق الغماري في كتابه (جواهر البيان في تناسب سور القرآن)، ومحمد ظاهر بن غلام في كتابه (سمط الدرر في ربط الآيات والسور) [222]، وممن اعتنى به في التفسير: الإمام الزمخشري في (الكشاف)، والإمام الرازي في (التفسير الكبير)، والإمام النيسابوري في (غرائب القرآن ورغائب الفرقان)، والإمام ابن جزي الكلبي الغرناطي في (التسهيل لعلوم التنزيل)، وأبي حيان الأندلسي في (البحر المحيط). وأبو السعود في تفسيره، و الآلوسي في (روح المعاني)، ومحمد رشيد رضا في (تفسير المنار)، ومحمد الطاهر بن عاشور في (التحرير والتنوير) وغيرهم[223].

كما اهتمت به كتب علوم القرآن، ككتاب (مجاز القرآن) للعز بن عبد السلام، وكتاب (البرهان) للزركشي، و (الإتقان) للسيوطي، و (التبيان) للشيخ طاهر الجزائري ، و(مباحث في علوم القرآن) لصبحي الصالح ، كما بحث في دراسات علمية، ككتاب (الوحدة الموضوعية) لمحمد حجازي، و (الإعجاز البياني) لمحمد أحمد يوسف القاسم. وغيرهم[224].

الفرع الثاني: العلاقة بين علم المناسبات والوحدة الموضوعية.

ولا شك –بعد هذا العرض الموجز لعلم المناسبات– أن هناك علاقة وطيدة بين علم المناسبات والوحدة الموضوعية، وكما علمنا سابقا أن معرفة أوجه التناسب يبرز الترابط والتناسق العجيب بين جزئيات السورة –خاصة– كأنه شبكة الجهاز العصبي الرابط لأجزاء البدن الواحد، وسنبرز ذلك من خلال أوجه التناسب المختلفة بين الآيات والسور حسب ما يلي:

أولا: التناسب الصوتي.

يعد هذا الوجه من أوجه المناسبات؛ أولى مراتبها، ومن الوجوه الجديدة في التناسب التي عرفها المتأخرون وأشبعوها بحثا، كما كان من الأديب مصطفى صادق الرافعي[225].

وللتناسب الصوتي جانبان: جانب يتعلق بالإيقاع الصوتي للحروف، والثاني يتعلق بترتيب

---

[222]– ينظر: محمد أحمد يوسف القاسم: الإعجاز البياني في ترتيب آيات القرآن الكريم وسوره، ط1، 1979م، ص:37-213.

[223]– المرجع نفسه ، ص: 38- 186.

[224]– ينظر: إبراهيم آل هويمل: علم المناسبات بين المانعين والمجيزين، مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود، مرجع سابق، ص:104-108.

[225]– ينظر: مصطفى صادق الرافعي: إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، المكتبة العصرية، بيروت، 2001م، ص:173-203.

المقاطع الصوتية[226].

فللأصوات اللغوية –حسب الجانب الأول– وطريقة توزيعها في نسيج العبارة تأثير في إيقاعها شدة ولينا، حسب نسبة ونوع هذه الأصوات اللغوية، والنظم القرآني يراعي في توزيع الأصوات وتأليفها ما يناسب المعاني والأغراض،وما يساعد على تمتين رباط الآيات، وتثبيت نسيجها، بما يبرزه من تأثير معين في نفوس المخاطبين، فألفاظ القرآن –على حد تعبير مصطفى صادق الرافعي–«إذا اشتدت فأمواج البحار الزاخرة، وإذا هي لانت فأنفاس الحياة الآخرة...» [227].

ففي السور القرآنية التي تتحدث عن يوم القيامة، وإثبات البعث، والإخبار عن أهواله، نرى «أن النظم القرآني يشتد في خطابه عنه، وذلك في مقامات الإنذار والوعيد، ووصف غضب الله على المجرمين، وتصوير مشاهد عذابهم»[228].

فموضوع سورة الحج مثلا يتمحور حول يوم البعث والنشور، وعن الإخبار بوقوعه، وما يصاحبه من شدة في المواقف، وهول في المشاهد، ولذلك توزعت –من خلال السورة– الأصوات الدالة على ذلك.

مثاله قوله تعالى: ﴿هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ.يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ.وَلَهُمْ مَقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ.كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾[229]، فهذا مشهد عنيف من مشاهد العذاب يوم القيامة، قد رسمته هذه الصورة بالألفاظ المناسبة التي تألفت من الأصوات القوية والشديدة: كالطاء المشددة، والقاف المضمومة في «قطعت»، والباء المشددة المضمومة، والصاد في «يصب»، والهمزة المضمومة الممدودة في «رؤوسهم»، والباء والطاء المضمومتين في «بطونهم»، والجيم المضمومة في «الجلود» و«أن يخرجوا»، والدال المكسورة والمضمومة في «من حديد» و«أرادوا» و«أعيدوا»، والقاف المضمومة والمكسورة في «ذوقوا» و«الحريق»، وصوت القلقلة الذي تكرر في حروف الفاصلة، وهو الدال من «الجلود»، والدال الأخيرة من «حديد»، والقاف من

---

[226]– أحمد أبو زيد: التناسب البياني في القرآن، مطبعة النجاح، ص: 289، 311.

[227]– مصطفى صادق الرافعي: إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مرجع سابق، ص:26.

[228]– أحمد أبو زيد: التناسب البياني في القرآن، مرجع سابق، ص:307.

[229]– سورة الحج، الآيات: 19-21.

«الحريق»[230].

هكذا جمعت الألفاظ وأصواتها في هذا المشهد صفات الجهر، والشدة، والاستعلاء، والتفخيم، والإطباق،والقلقلة، وهي كلها من صفات القوة في الأصوات[231].

«وزاد توزيع الحركات في التركيب الصوتي للآيات من قوة التعبير، وعنف المشهد؛ فالضمة كثيرة التردد في هذا التركيب، وقعت على الميم، والقاف،والباء، والهمزة الممدودة، والراء والطاء، والجيم، واللام، والذال، وكلها أصوات ذات جرس قوي » [232].

وجاءت متتابعة في عدد من الكلمات، يكفي النطق بها لرسم صورة الغلظة والشدة والعنف، والتناسب غرض السورة في الإخبار عن هول هذا اليوم العظيم وشدة مواقفه.

وأما تتابع الأصوات الكلامية –على حسب الجانب الثاني- وترتيبها في مقاطع صوتية، وتوزيعها في نظم الآيات، فإنها تبرز هي الأخرى ما اكتنف من الدقائق الدلالية، وذلك باختيار ما يناسب المعنى من أنواع تلك المقاطع[233]، وما يربط بين مقاطع السورة وغرضها.

ومن أمثلته استخدام المقاطع الممدودة في أواخر الكلمات في سورة الفجر، والتي تتحدث عن عاقبة التفريط في الزمن وعدم الاستفادة منه، ابتداء بالقسم به، ثم ضرب أمثلة له في الدنيا عن أقوام الرسل الذين لم يستفيدوا منه في تلقي هداية السماء بالقبول، ثم الحديث عن زمن القيامة وندم الإنسان فيها عليه، يقول سبحانه وتعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى.يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾[234].

هذا وصف لما يحس به الإنسان من الندامة يوم الحساب، على ما فرطه في حياته (الزمن) على التقصير في جنب الله.

وقد «وزعت المقاطع المفتوحة والممدودة في هذه الآية بصورة تجعل الإيقاع فيها مناسبا لنغمة الندامة والحسرة،حيث توالت هذه المقاطع وتخللت معظم الكلمات، وتراوحت بين المد بالألف، والمد

---

[230]- أحمد أبو زيد : التناسب البياني في القرآن، ص: 307-308.

[231]- ينظر: محمد بن الجزري : النشر في القراءات العشر ، مراجعة علي الضباع ،دار الفكر ، د.ت، 1/ 202- 203.

[232]- أحمد أبو زيد: التناسب البياني في القرآن، ص:308.

[233]- المرجع نفسه، ص:321.

[234]- سورة الفجر: الآيتين: 32-24.

بالياء للتعبير عن الإحساس بالحسرة والندم، الذي يرتفع معه الصوت ويمتد »[235].

ولم يتطرق الشيخ شلتوت – حسب علمي- في تفسيره إلى هذا الجانب التناسبي – وإن كان أبدع في غيره- ، ولعل ذلك يرجع إلى بكر هذه الدراسات اللغوية الدقيقة ، وهذه ما لم يتأت للشيخ شلتوت وأمثاله .

ثانيا: التناسب اللفظي.

وهذا هو الوجه الثاني من مراتب التناسب في القرآن الكريم، وإذا كانت الأصوات «تشكل صوت النفس للمعنى المراد، فإن الألفاظ أو الكلمات تشكل صوت العقل؛ وهو الصوت المعنوي الذي يكون من لطائف التركيب في جملة الكلام»[236].

فكل لفظ في موضعه الملائم في السورة، فلو أبدلناه لاختل نظام السورة.

يقول الرافعي: «لا جرم أن المعنى الواحد يعبر عنه بألفاظ لا يجزي واحد منها في موضعه عن الآخر إن أريد شرط الفصاحة»[237].

ومن أمثلته سر استخدام القرآن للفظة «الطامة» الدالة على قيام الساعة،في سورة النازعات دون غيرها من أسماء يوم القيامة.

يوجه ذلك الخطيب الإسكافي بقوله –عن السورة-: «لأن فيها ذكر ما أتى به فرعون من الطامة الكبرى في الكفر، حيث قال: ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾[238]، فهذه في الكبائر كشديدة الآخرة في الشدائد، فكأنه قرن إلى ذكر الكبيرة الموفية على أمثالها ذكر الطامة الكبرى وأهوالها»[239]، وهذا توجيه يصلح للتناسب بين الآيات.

وقد أرجع ابن الزبير الغرناطي في بيان وجه التناسب في ذلك إلى مقصود سورة النازعات وروحها الخاص؛ فأوضح أن لفظ «الطامة» لما كان أبلغ في الإشارة إلى أهوال القيامة، خص به هذا اللفظ للدلالة على التخويف والإنذار.

---

[235]– أحمد أبو زيد: التناسب البياني في القرآن، ص: 324.

[236]– مصطفى صادق الرافعي: إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ص:181.

[237]– المرجع نفسه، ص:185.

[238] – سورة النازعات: الآية 24.

[239]– الخطيب الإسكافي: درة التنزيل وغرة التأويل، منشورات دار الآفاق الجديدة، ص:518.

يقول في ذلك: «وعلى ذلك بنيت سورة النازعات، ألا ترى قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ. تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ﴾[240]، ووصف الطامة الكبرى وما اتبع به بعد، وابتداء السورة وختامها، فكلها تخويف وترهيب، فناسبها أشد العبارتين موقعا أرهبهما»[241].

وأما لفظ «الصاخة» الواردة في سورة عبس، ناسب استخدامها في هذه السورة أنها «لم تبن على التخويف الشديد، وإنما بنيت على قصة ابن أم مكتوم، وذلك مشهور »[242].

فسورة عبس لم تبن كاملة على الحديث عن يوم القيامة.

- التناسب اللفظي عند الشيخ محمود شلتوت:

قد أشار الشيخ شلتوت في تفسيره إلى التناسب اللفظي داخل الآية الواحدة، وعلاقة ذلك بروح السورة وهدفها العام.

ففي تفسيره لقوله تعالى: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾[243]، يعلل استخدام النظم القرآني للفظة «المعروف» متوسطة بين لفظتي «الصدقة» و«الإصلاح»، وعن سر هذا الترتيب وعلاقته بروح السورة العام[244]، فيقول: «ولكن الله سبحانه أبرز هذين النوعين (الأمر بالصدقة والأمر بالإصلاح) بعبارة خاصة، لما لهما من الآثار العظيمة في حياة الأمة؛ فسد حاجة الفقراء من أكبر ما يبعد الأمة عن شرور الفقر وآثامه...والإصلاح بين الناس من أكبر دعائم السلم والأمن»[245].

ثم يعلل سر الترتيب بين هذه الألفاظ الثلاثة بقوله: «وعلى الجملة فالصدقة تمثل النفع المادي، والأمر بالمعروف يمثل النفع الروحي،والإصلاح بين الناس يمثل دفع الشر عن الأفراد والجماعات، وبذلك كانت الثلاثة كما قلنا جماع الخير كله»[246].

---

[240]- سورة النازعات: الآيتين 6-7.

[241]- أبو جعفر بن الزبير: ملاك التأويل، ط1، دار الغرب الإسلامي، 1983م، 1135/2.

[242]- المصدر نفسه: 1136/2، وينظر في سبب نزول سورة عبس: الواحدي: أسباب النزول، دار التقوى، ص:293.

[243]- سورة النساء: الآية113.

[244]- وهو حفظ استقرار المجتمع الإسلامي داخليا وخارجيا، كما صرح بذلك في تفسيره: تفسير القرآن الكريم، ط دار الشروق 2004م، ص:137.

[245]- المصدر نفسه، ص:176.

[246]- المصدر نفسه، ص:176-177.

وللإمام الرازي نفس التوجيه في تفسيره، ولعل الشيخ شلتوت أخذ ذلك عن الإمام الرازي دون أن يصرح بالنقل عنه ؛ فهو – الشيخ شلتوت- يبهم أحيانا في ذكر مصادره[247].

ثالثا: مناسبة الآيات.

مما لاشك فيه أن الآيات إذا تماسكت فقد صارت السورة وحدة كاملة تامة تسر الناظرين، ومناسبات الآيات مع بعضها البعض قسمان[248]:

القسم الأول: الظاهر الارتباط:

ويكون ذلك لأسباب عدة:

1- منها ما يتعلق **بالسبب**، كقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾[249]، وقوله أيضا: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾[250].

«فبيّن في الآية الثانية السبب الذي دفعهم لرفض حكم كتاب الله، وتوليهم وإعراضهم، وبينهما تلازم في الذهن»[251].

2- **التأكيد**، ومثاله قوله تعالى: ﴿وَيَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ. تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ﴾[252].

3- **التفسير**، ومثاله قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا. إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا. وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا﴾[253].

4- **الاعتراض**، ومثاله في قوله تعالى: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ. وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ

---

[247]- الفخر الرازي: التفسير الكبير، مصدر سابق،41/11، وينظر: ص:116 من هذه الرسالة.

[248]- ينظر: نور الدين عتر: أثر المناسبة في إعجاز القرآن، مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية، مرجع سابق، ص:63.

[249]- سورة آل عمران: الآية 23.

[250]- سورة آل عمران: الآية 24.

[251]- محمد أحمد يوسف القاسم: الإعجاز البياني في ترتيب آيات القرآن وسوره، ص: 313.

[252]- سورة غافر: الآيتين41-42 .

[253]- سورة المعارج: الآيات 19-20-21، وينظر: السيوطي: الإتقان في علوم القرآن:2/ 108.

عَظِيمٌ. إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ﴾[254].

فقد اعترض بين القسم وجوابه بقوله: ﴿وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾، وهو اعتراض بين الصفة والموصوف بالشرطية[255].

5- **البدل:** والقصد منه الإيضاح بعد الإبهام، ومثاله قوله تعالى: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ. صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾[256].

-القسم الثاني: الذي لا يظهر ارتباطه: وهو نوعان:

1-**المعطوف:** وهو عطف الآي بحرف من حروف العطف، لجعلها مشتركة في الحكم مع سابقتها، وأمثلة هذا النوع تظهر في المطابقة والمقابلة[257].

مثال الأول قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى.وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى.فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى.وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى.فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى﴾[258]، فالمناسبة هنا أنه «لما جعل التيسير مشتركا بين الإعطاء بالتقوى والتصديق بالحسنى، جعل التعسير مشتركا بين أضداد تلك الأمور وهي المنع والاستغناء والتكذيب»[259].

والمثال الثاني قوله تعالى: ﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّى.وَلَكِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾[260]، «فقابل بين صدق وكذب، وبين صلى الذي هو بمعنى الإقبال وتولى»[261].

2-**غير المعطوف:** وهذا النوع يعتمد على القرائن المعنوية ، وله أسباب:

---

[254]- سورة الواقعة: الآيات75-77.

[255]- بدر الدين الزركشي : البرهان في علوم القرآن: 41/1.

[256]- سورة الفاتحة: الآيتين: 6-7.

[257]- المطابقة تكون بين الضدين غالبا مع مراعاة التقابل، وأما المقابلة فتكون بين المتوازنات وهي أعم من الأضداد، بدر الدين الزركشي: البرهان في علوم القرآن: 458/3،455.

[258]- سورة الليل: الآيات: 5-6-7-8-9-10.

[259]- بدر الدين الزركشي: البرهان في علوم القرآن: 459/3.

[260]- سورة القيامة: الآتين: 31-32.

[261]- بدر الدين الزركشي: البرهان في علوم القرآن: 459/3.

أ-**التنظير**: أي إلحاق النظير بالنظير، ومثاله قوله تعالى: ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ﴾[262]، ومناسبتها لأول سورة الأنفال، حيث ذكرت فيها أوجها من المناسبة أحسنها: «أنه لّما خرج الرسول ﷺ إلى القتال يوم بدر كانوا كارهين للقتال؛ لأنهم خرجوا أملا في مال التجارة، و لم يكن عندهم استعداد لملاقاة الأعداء، فلما أنزل الله هذه الآية علمنا أن المعنى: كراهتهم في الغنائم ككراهتهم للخروج معك...» [263].

ب- **المضادة**: ومن حكمتها التشويق والثبات على أفضل المتضادين كما قيل: وبضدها تتبين الأشياء[264].

ومن أمثلتها قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[265]، فإن أول السورة كان حديثا عن القرآن الكريم وأنه يهدي القوم المؤمنين، فلما أكمل ذلك عقبّ بما هو حديث عن الكفار، فبينهما، جامع وهمي بالتضاد[266].

جـ-**الاستطراد**: ومثاله قوله تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى﴾[267].

قال الزمخشري: «هذه الآية واردة على سبيل الاستطراد، عقيب ذكر بُدُوّ السوءات وخصف الورق عليها، إظهارا للمنة فيما خلق الله من اللباس، ولما في العري وكشف العورة من المهانة والفضيحة، و إشعارا بأن الستر باب عظيم من أبواب التقوى»[268].

د-**حسن التخلص**: هو الانتقال من معنى إلى آخر، على وجه سهل كأنه يختلس اختلاسا، حيث لا يشعر السامع بالانتقال إلا وقد وقع عليه المعنى الثاني لشدة الالتحام بينهما، وهو لا يعود إلى المعنى الأول بخلاف الاستطراد[269].

---

[262]- سورة الأنفال: الآية 05.

[263]- ينظر: ابن تيمية: التفسير الكبير ، دار الكتب العلمية ،4/333- 334، و السيوطي: لباب النقول في أسباب النزول: ص104.

[264]-بدر الدين الزركشي : البرهان في علوم القرآن: 1/ 41،والسيوطي: الإتقان في علوم القرآن: 2/109.

[265]- سورة البقرة : الآية06.

[266]- بدر الدين الزركشي : البرهان في علوم القرآن:1/42.

[267]- سورة الأعراف: الآية26.

[268]-محمود الزمخشري: تفسير الكشاف،ط دار الكتاب العربي، مصدر سابق : 2/97.

[269]- جلال الدين السيوطي : الإتقان في علوم القرآن: 2/110.

ومن أمثلته قوله تعالى: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ.لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ.مِنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ.تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾[270].

فإنه سبحانه ذكر أولا عذاب الكفار، وأنه لا دافع له من الله، ثم تخلص إلى وصف الله ذي المعارج[271].

هـ–حسن المطلب: وهو قريب من حسن التخلص.

قال الزنجاني: «هو أن يخرج إلى الفرض بعد تقدم الوسيلة»[272].

ومثاله قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[273]، و«ذلك بعد مدح الله بما هو أهله سبحانه، وتقديم العبادة وهي وسائل: طلب الاستعانة»[274].

و–الانتقال من حديث إلى آخر: ومثاله قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ.إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ.وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ.وَاذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِنَ الْأَخْيَارِ.هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ.جَنَّاتِ عَدْنٍ مُفَتَّحَةً لَهُمُ الْأَبْوَابُ. .مُتَّكِئِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ. وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ أَتْرَابٌ. هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ .إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ.هَذَا وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ ﴾[275].

–أوجه التناسب بين الآيات في تفسير الشيخ محمود شلتوت.

هذا وقد أشار الشيخ شلتوت في تفسيره إلى أغلب هذه الوجوه؛ إذ يشير مثلا إلى العطف وعدمه، فيقول: «أما وجود العاطف في بعضها فهو يرشد على اتصال السؤال بما قبله، وعدمه فيما لم يجد فيه يدل على استئنافه وانقطاعه عما قبله، وأنه فائدة جديدة، فالسؤال عن الأهلة، والسؤال عن

---

[270]–سورة المعارج: الآيات: 1-2-3-4.

[271]– بدر الدين الزركشي :البرهان في علوم القرآن: 43/1.

[272]– جلال الدين السيوطي : الإتقان في علوم القرآن: 110/2.

[273]–سورة الفاتحة: 05.

[274]– جلال الدين السيوطي : الإتقان في علوم القرآن: 110/2.

[275]–سورة ص: الآيات:من 45إلى 55.

الإنفاق، والسؤال عن الشهر الحرام... لم يكن بينها اتصال وإنما بينها تباين وتقاطع لا يحسن معها العطف، أما السؤال عن الإنفاق الوارد بعد السؤال عن الخمر والسؤال عن اليتامى، والسؤال عن المحيض، فهي أسئلة تجتمع حول شأن واحد، وهو: أحوال تجتمع في خاصة الإنسان ومعاملته لمن يتصل به»[276]، وهو من باب التنظير.

ومن الاستطراد التناسبي في تفسيره، قوله تعالى: ﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ﴾[277]، مع الآية التي بعدها وهي في قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُوْلِي قُرْبَى﴾[278]، بقوله: «وقد كان من حدود الله، التي رسمها في هذه السورة مقاطعة المؤمنين للمشركين كيفما كانوا»[279].

ومن بديع حسن التخلص في تفسيره، انتقاله من الآيات التي عالجت الجهاد في سبيل الله إلى الآيات التي عالجت فتن وشبهات أهل الكتاب، انتقالا من الجانب المادي إلى الجانب المعنوي.

يقول في ذلك: «وبعد أن عالجت السورة في هذه الآيات وسائل الدفاع من الوجهة المادية على النحو الذي ذكرنا خلصت إلى نوع آخر من العلاج في ناحية الحرب الفكرية، التي تعلن على المسلمين ابتغاء زلزلة الإيمان في قلوبهم...وفي هذا الجانب تعرض السورة للكثير من فتن أهل الكتاب...»[280].

رابعا: مناسبة السورة والسور القرآنية.

السورة في اللغة: أصلها سور وهو دليل «على علو الارتفاع ....والسورة هي: كل منزلة من البناء »[281]، وقيل: «هي مأخوذة من سور المدينة، وذلك لما فيها من وضع كلمة بجانب كلمة، وآية بجانب آية»[282]، ولهذا قال أبوعبيدة: «فكأن سور القرآن هي قطعة بعد قطعة حتى كمل منها

---

[276]- محمود شلتوت: تفسير القرآن الكريم، مصدر سابق، ص: 422.

[277]- سورة التوبة: الآية 112 .

[278]- سورة التوبة: الآية 113.

[279]- محمود شلتوت: تفسير القرآن الكريم، ص: 504.

[280]- المصدر نفسه: ص203.

[281]- أحمد بن فارس: معجم مقاييس اللغة، مصدر سابق: 115/3.

[282]- محمد عبد العظيم الزرقاني: مناهل العرفان في علوم القرآن، دار الحديث: 295/1.

القرآن»[283]، ومن هذا أيضا تعريف الجعبري بقوله: «السورة قرآن يشتمل على آي ذوات فاتحة وخاتمة وأقلها ثلاث آيات»[284].

ومن هذا التعريف أكد العلماء على أن السورة وحدة مستقلة، فراحوا بذلك يلتمسون أوجه التناسب بينها وبن مثيلاتها، وذلك في الأوجه التالية:

1-المناسبة بين اسم السورة ومحورها:

يقول البقاعي في ذلك: «وقد ظهر لي ...اسم كل سورة مترجم عن مقصودها؛ لأن اسم كل شيء تظهر المناسبة بينه وبين مسماه»[285].

وقد وجه عبد الفتاح الشافعي[286]العلاقة بين اسم السورة ومحورها في أربعة أوجه:

«-**الوجه الأول**: الربط بين محور السورة، واسمها في الدلالة اللغوية، فإن لم يكن فيكفي دلالته الموضعية، أي: دلالة وروده في السورة، كدلالة الكهف عن أصحابه وما كان منهم، لا لمكان في الجبل...

-**الوجه الثاني**: إثبات وإبراز أن موضع ورود الاسم هو أقوى ما يمكن في الدلالة على روح السورة ومحورها...

-**الوجه الثالث**: إثبات سريان الروح في جميع جنبات السورة...

-**الوجه الرابع**: بيان سر إيثار اسم السورة العلم عنوانا عليها، بالرغم من صلاحية غيره-نظريا- من مصطلحات اللغة وألفاظها لهذا »[287].

والعلاقة بينهما نسبية إلى حد ما، فما يتوافق فيه اسم السورة مع محورها، لا تتوافق فيه سورة أخرى، وربما دلت على موضوع جزئي في السورة سميت به، كسورة البقرة، كما أن تحديد ذلك يختلف من مفسر إلى آخر، إكثارا وإقلالا، فسورة الفاتحة يدل اسمها عند محمد خليل جيجك على

---

[283]- أبو عبيدة معمر بن المثنى: مجاز القرآن ، القاهرة ، مكتبة الخانجي،1/4- 5.

[284]- بدر الدين الزركشي: البرهان في علوم القرآن: 1/264.

[285]- برهان الدين البقاعي:نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: 1/81.

[286]- الدكتور عبد الفتاح عبد الرحمان الشافعي مدرس مساعد بقسم التفسير وعلوم القرآن بكلية أصول الدين بجامعة الأزهر بالقاهرة.

[287]- عبد الفتاح الشافعي: أسرار أسماء سور القرآن الكريم، مخطوط، رسالة دكتوراه من جامعة الأزهر، 2000م، ص:130-131.

ثلاثة محاور كبرى: الاعتقادات، الكونيات ،الاجتماعيات، وتحت كل واحدة منها موضوعات كثيرة ومتعددة[288].

ومن أمثلة التناسب بين اسم السورة ومحورها، اسم سورة الفيل؛ فإن اسم السورة تشير إلى حادثة الفيل المشهورة في السير[289].

2-التناسب بين مطلع السورة وموضوعها:

وذلك فيما يسميه علماء البلاغة «براعة الاستهلال»، و«حسن الابتداء»[290].

ومن أمثلته مطلع سورة المائدة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾[291]؛ «إذ أنها تضمنت بيان الشرائع وما أخذ على الأمة من المواثيق، وبها تم الدين، فهي سورة التكميل»[292].

3-التناسب بين مطلع السورة وختامها: ومن أمثلته افتتاح سورة يونس بقوله تعالى: ﴿أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ﴾[293]، ﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ﴾[294] [295].

4-التناسب بين فاتحة السورة وخاتمة ما قبلها:

ومن أمثلتها التناسب بين خاتمة سورة الفيل، ومطلع سورة قريش، حتى عدهما البعض سورة واحدة كما قال السيوطي[296].

5-التناسب بين فاتحة السورة وفاتحة ما قبلها:

ومن أمثلته تناسب سورتي البقرة وآل عمران في المطلع، وفي ذلك تقارب في النظم

---

[288]- محمد خليل جيجك: دلالة أسماء سور القرآن الكريم من منظور حضاري، مؤسسة الرسالة، 2001م، ص: 190-319.

[289]- سيف بن راشد الجابري: أسماء السور القرآنية، ط1، 2002م ،د.م، ص:279.

[290]- ينظر: بدر الدين الزركشي: البرهان في علوم القرآن: 164/1.

[291]- سورة المائدة: الآية01.

[292]- جلال الدين السيوطي: الإتقان في علوم القرآن: 112/2.

[293]- سورة يونس: الآية02.

[294]- سورة يونس: الآية 109.

[295]- جلال الدين السيوطي: مراصد المطالع مع علم المناسبات في السور و الآيات، المكتبة المكية، 2002م، ص:137.

[296]- السيوطي: تناسق الدرر في تناسب السور، تحقيق عبد القادر أحمد العطا، دار الكتب العلمية، ط1، 1986م، ص:144.

والموضوع، حتى سماهما البعض بـ «التوأمين»[297].

ولقد سمّاهما النبي ﷺ بالزهراوين، حيث قال: «اقرؤوا الزهراوين: البقرة وسورة آل عمران»[298].

6-التناسب بين مطلع السورة لمقاصدها:

فسورة الإسراء افتتحت بالتسبيح في قوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى﴾[299].

«فهذه السورة ابتدأت بقصة الإسراء التي كذّب بها المشركون الرسول ﷺ، فناسب أن تفتتح بالتسبيح تصديقا لنبيه، وتنزيها له –سبحانه– لأن تكذيبهم لنبيه هو تكذيبهم لله تعالى »[300].

7-التناسب في الموضوع بين السورتين:

كتناسب موضوع سورة التوبة لسورة الأنفال في الحديث عن غزوات النبي ﷺ،وأن التوبة تفصيل لمجمل الأنفال، حتى حكي عن البعض أنهم جعلوهما سورة واحدة[301].

8-مناسبة الفواتح والخواتم:

ويتمثل في مناسبة فاتحة المصحف لآخره، أي: فاتحة الفاتحة، لخاتمة سورة الناس، فقيل: أن سورة الناس مقصودها الاعتصام بالإله الحق، وهو نتيجة لمقصود الفاتحة الذي هو المراقبة[302].

-أوجه التناسب بين السور في تفسير الشيخ شلتوت.

قد أشار الشيخ شلتوت إلى معظم أوجه التناسب بين السور التي مرت بنا، فأشار إلى التناسب بين فاتحة السورة وخاتمة ما قبلها[303]، وبين المطلع والخاتمة[304]، وبين المطلع

---

(297)- محمد عناية الله سحاني: إمعان النظر في نظام الآيات والسور، ص: 298.

(298)-أخرجه مسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب فضل قراءة القرآن وسورة البقرة ، 252، حديث804، صحيح مسلم بشرح النووي ، ط1، القاهرة ، دار الحديث،1994م: 349/3.

(299)- سورة الإسراء: الآية01.

(300)- بدر الدين الزركشي: البرهان في علوم القرآن، 93/1.

(301)- السيوطي: تناسق الدرر في تناسب السور، مصدر سابق، ص:89-92 بتصرف.

(302)- أحمد يوسف القاسم: الإعجاز البياني في ترتيب آيات القرآن الكريم وسوره، ص: 407.

(303)- محمود شلتوت: تفسير القرآن الكريم، ص: 32.

والموضوع[305]، وبين الخاتمة والموضوع[306]، وبين التسمية والموضوع[307]، وبين المقطع والموضوع[308]، وبين المقطع والخاتمة[309]، وبين الهدف ومقاطع السور[310]، وبين المضامين[311]، بل وأتى بأوجه جديدة في التناسب لم يسبق إليها-في نظرنا-كالتناسب بين طرفي السورة ووسطها[312]، وبين الموضوع وواقع التنزيل[313]، وبين مطالع السور المتفقة[314]، وغيرها.

وسنعرض لبعضها في منهجه الموضوعي في التفسير[315]، كما سنعرض للبعض الآخر في الحديث عن ملامح الوحدة الموضوعية في السورة القرآنية عنده في الفصل الأخير من هذا البحث[316].

وعلى سبيل المثال فإنه عرض للتناسب بين فاتحة سورة البقرة وخاتمة سورة الفاتحة، من خلال تفسير طوائف سورة الفاتحة [المنعم عليهم، المغضوب عليهم، الضالين] بطوائف سورة البقرة [المؤمنون، الكافرون، المنافقون][317].

المطلب الرابع: بنية السورة والوحدة الموضوعية.

إن التفحص العميق، والتأمل الطويل في بناء السورة، وهيكلها الشكلي طولا وقصرا، أسلوبا وسياقا، ليوصل إلى أن ذلك يساعد على إبراز التماسك العضوي، وتحقيق الوحدة الموضوعية

---

[304]- المصدر نفسه، ص: 66، 277، 303، 359، 388، 403، 506.

[305]- المصدر نفسه، ص: 19، 188، 295.

[306]- المصدر نفسه،ص:128-129، 279، 281، 283، 403.

[307]- المصدر نفسه، ص: 76-77، 399، 463.

[308]- المصدر نفسه، ص: 64، 114، 164، 464، 468.

[309]- المصدر نفسه، ص: 283، 309.

[310]- المصدر نفسه، ص: 79، 86، 137.

[311]- المصدر نفسه، ص: 453.

[312]- المصدر نفسه، ص: 46، 66.

[313]- المصدر نفسه، ص: 217-219.

[314]- المصدر نفسه، ص: 136، 285-288.

[315]- عنصر: التناسب في تفسيره، ص: 157 وما بعدها.

[316]- في المبحث الثاني منه: ملامح الوحدة الموضوعية في السورة القرآنية، ص:201 وما بعدها.

[317]- محمود شلتوت، المصدر نفسه، ص:32.

للسورة[318]، وقد رأينا —من قبل- دور الأصوات اللغوية لألفاظ السورة —إيقاعا ومقاطع- في توضيح المعنى المراد، وتحقيق روح السورة وغرضها العام، وللألفاظ المختارة أيضا عمل في تحقيق ذلك،وبالإضافة إلى البناء الصوتي واللفظي للسورة، لاحظنا أن هناك أبنية لفظية ومعنوية، فردية أو تركيبية تساهم في ذلك.

الفرع الأول: نظام الفواصل.

تأتي الفاصلة ككلمة آخر آية [319]، لتحقق للنص «جانبا جماليا لا يخطئه الذوق السليم، بما تضفي على النص من قيم صوتية منتظمة، ينقسم سياق النص بها إلى وحدات أدائية تعد معالم للوقف والابتداء»[320].

كما تأتي أيضا لتحقق المعـــاني المتناسبة والمختارة، «متمكنة في موقعها، مستقـــرة في مكانها، لو طرحت أو غيرت لاختل المعنى، وفسد النظم، لأنها جزء أصيل من البناء المحكم للعبارة، إن لم تكن هي حجر الزاوية في ذلك البناء»[321].

وكما تأتي الفاصلة كجزء من تركيب الآية، مكملة لبنيتها، وموضحة لمعناها، كذلك تأتي كجزء من تركيب المقطع القرآني موضحة في ذلك تناسق المعاني الجزئية لذلك المقطع، بل إنها تتعلق —في مرحلة متقدمة-بمضمون السورة وبغرضها العام[322].

يقول الزمخشري: «لا تحسن المحافظة على الفواصل لمجردها، إلا مع بقاء المعاني على سردها على المنهج الذي يقتضيه حسن النظم والتئامه..» [323].

وقد عني العلماء بإظهار طرق الارتباط المعنوي في الفواصل القرآنية، فأوضحوا أنه ينحصر في أربعة أوجه هي: التمكين، التوشيح، الإيغال، والتصدير[324].

---

[318]- ينظر في هذا: سعيد حسن بحيري: علم لغة النص، المفاهيم والاتجاهات، مصر ، الشركة المصرية العالمية ، ص: 121-127.

[319]- ينظر في تعاريف الفاصلة في: محمد الحسناوي: الفاصلة في القرآن، دار عمار، ص: 23-30.

[320]- تمام حسان: البيان في رائع القرآن، ط2، القاهرة ، عالم الكتب ، 2000م، ص: 196.

[321]- أحمد أبو زيد: التناسب البياني في القرآن، ص: 369.

[322]- ينظر في هذه الخصائص: صبحي الصالح: مباحث في علوم القرآن، ص: 335 وما بعدها . وتمام حسان: البيان في روائـــع القرآن: ص196-197. ومحمد الحسناوي: الفاصلة في القرآن، ص:285-294.

[323]- نقل ذلك: جلال الدين السيوطي: الإتقان في علوم القرآن: 105/2.

[324]- ينظر: بدرالدين الزركشي: البرهان في علوم القرآن: 78/1.

والذي يهمنا هنا علاقة الفاصلة بمضمون السورة وغرضها العام، ودورها في تحقيق الوحدة الموضوعية للسورة القرآنية.

فقد لوحظ أن كثرة الفواصل في السورة يدل على مكية السورة-كما عرفنا من قبل-، التي تعالج موضوعات العقيدة، وهي: التوحيد والنبوة والمعاد، وهي في ذلك-تنوع في الأساليب- من تأكيد، وضرب للأمثال، وقسم وغيرها، بخلاف السور المدنية والتي عالجت-في معظمها-موضوعات التشريع، والتي توجب نفسا طويلا في التأهيل والحديث عن ذلك، ولذلك طالت فيها الفواصل[325].

ومن أمثلة ذلك اتجاه سورة المرسلات المكية[326] إلى إقناع المكذبين مقطعا بعد مقطع، معقبة على ذلك بآية ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ.﴾[327]، ولما استكملت غرضها العام كانت الخاتمة ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾[328]، ومثلها سورة الكافرون وغيرها[329].

-علاقة الفاصلة بمضمون السورة في تفسير الشيخ محمود شلتوت.

قد أشار الشيخ شلتوت في تفسيره إلى علاقة الفاصلة بآياتها[330]، بل وتعلقها بروح السورة وغرضها العام.

ففي تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[331]،وبعد أن يوضح أن الأجر العظيم إنما يوفى لمن قصد بعمله الصالح مرضاة الله، يتحدث- في ضوء هذه الفاصلة-عن من يقصد من وراء ذلك إرضاء ضميره دون قصد مرضاة الله، أنه غير منضبط، وأنه يهدد استقرار المجتمع الإسلامي بالاحتكام إلى ضميره الذي يتناقض في كثير من الأحيان، ولا يأمن المجتمع عواقبه الوخيمة.

يقول في ذلك: «...وهو في الوقت ذاته سير بالنفس وبالعالم في طريق محفوفة بالمخاطر تهدد العالم في أمنه واستقراره، ...ولا سبيل إلى الاستقرار..إلا بالرجوع إلى أساس منضبط صادر عن عليم

---

(325)- ينظر: محمد الحسناوي : الفاصلة في القرآن ، ص:288. ومحمد أبو شهبة: المدخل لدراسة القرآن الكريم: ص228-233.

(326)- ينظر: جلال الدين السيوطي: الإتقان في علوم القرآن، 17/1.

(327)- سورة المرسلات: الآيات: 15-19-24-28-34-37-40-45-47-49.

(328)- سورة المرسلات: الآية50.

(329)- عبد الرحمان الميداني: تفسير معارج التفكر ودقائق التدبر، دار القلم،ط1، 2000م، 546/2-548، 701/1 وما بعدها.

(330)- ينظر: محمود شلتوت : تفسر القرآن الكريم ط الشروق ،2004م، ص: 119، 269، 271، 436، 483 وغيرها.

(331)- سورة النساء: الآية 114.

بطيات النفوس، ونزعات البشر...» [332].

الفرع الثاني: أسلوب السورة.

إن من بين المميزات بين المكي والمدني، هو الأسلوب وطرق التعبير البيانية في كل من الخطاب المكي والمدني؛ فالقرآن «لم يلتزم أسلوبا واحدا من أساليب الأداء؛ فقرآن مكة يمتاز بأن آياته أوفر عددا، وأقصر جملا، وأكثر التزاما لنغمات موسيقية معينة»[333]، كما امتاز أيضا «باللهجة الخطابية القوية النافذة إلى الأعماق والقارعة للأسماع والقلوب»[334].

كما امتاز بقوة المعارضة الجدلية، حينما جاءت المناقشة في أصل الدين وهو التوحيد، وباقي فروع العقيدة الإسلامية وموضوعاتها[335].

فتغير الأسلوب كان تبعا لتغير المخاطب والموضوع المتناول في الخطاب، فأسلوب الإطناب- مثلا- ملازم لأهل المدينة في تشريعاتها التي تحتاج إلى الأسلوب الطويل ليفي بوقائعها وأحوالها[336]، وتوضيح أصول هذه التنظيمات التشريعية-وما أكثرها-بأسلوب مسهب سردي، وواضح، ومناسب لهذه المرحلة، فكانت بهذا أساليب السور المكية أو المدنية مبنية على الأصول العقائدية والتشريعية الإسلامية، والتي تعد بمثابة مواضيع أساسية في كل سورة من سور القرآن، وهي مسهلة-بعد ذلك- لالتماس الوحدة الموضوعية للسورة القرآنية من جهة أخرى.

الفرع الثالث: سياق السورة والآيات.

يعرّف السياق بأنه «إطار عام تنتظم فيه عناصر النص ووحداته اللغوية، ومقياس تتصل بوساطته الجُمَلُ فيمل بينها وتترابط، وبيئة لغوية وتداولية ترعى مجموع العناصر المعرفية التي يقدّمها النص للقارئ»[337] ، فهو لا يقتصر فقط على السِّباق واللّحاق كما أكد بعض الدارسين[338]؛ إنّما

---

[332]- محمود شلتوت: تفسير القرآن الكريم، مصدر سابق، ص: 180.

[333]- محمد صبيح: بحث جديد عن القرآن، ط8، بيروت، دار الشروق 1403هـ-1983م، ص: 120.

[334]- محمد عزة دروزة : القرآن المجيد، ط صيدا بيروت ، المكتبة العصرية، ص: 101- 102.

[335]-محمد الزفراف: التعريف بالقرآن والحديث، مرجع سابق، ص68.

[336]-كمال خميس: خصائص أسلوب الخطاب في السور المكية،رسالة ماجستير من جامعة الأمير عبد القادر ، مخطوط ، ص: 33.

[337]- عبد الرحمان بودرع: منهج السياق في فهم النص، سلسلة كتاب الأمة، الدوحة، العدد111، السنة26، 2006م، ص:27.

[338]- عبد الرحمان الدهش: الأقوال الشاذة في التفسير،السعودية، سلسلة إصدارات الحكمة ، ط1، 2004م، ص:275.

يشمل السياق- بمفهومه الواسع-« بيئة نزول النص البشرية و الزمانية و المكانية والنفسية والفكرية، الفردية والاجتماعية»[339]، بالإضافة إلى ترابط عناصر السباق واللحاق في فهم النص القرآني.

وللسياق أنواع كثيرة لابد من الإشارة إليها إشارة مختصرة ، منها:« السياق المكاني:ويعني سياق الآية والآيات داخل السورة، وموقعها بين السابق من الآيات واللاحق...والسياق الزمني للآيات أو سياق التنزيل؛ ويعني سياق الآية بين الآيات بحسب ترتيب النزول،والسياق الموضوعي:ومعناه دراسة الآية أو الآيات التي يجمعها موضوع واحد... وتتبع مواقعها في القرآن الكريم كله،والسياق المقاصدي: ومعناه النظر إلى الآيات القرآنية من خلال مقاصد القرآن الكريم ...،والسياق التاريخي بمعنييْه: العام ؛ وهو سياق الأحداث التاريخية القديمة التي حكاها القرآن الكريم، والمعاصرة لزمن التنزيل، والخاص ؛ وهو أسباب النزول،والسياق اللغوي: وهو دراسة النص القرآني من خلال علاقات ألفاظه بعضها ببعض ، والأدوات المستعملة للربط بين هذه الألفاظ...»[340].

ولاشك أن قرينة السياق هي« كبرى القرائن النحوية التي يعتمد عليها في ترجيح المعاني، أو تصحيح الألفاظ، وتوجيه معانيها التركيبية في الآية، والجملة القرآنية ابتداءً، وفي وسط السورة، وانتهاءً، وقرينة السياق بهذا توضح المعنى المقصود، وتعين إحدى المعاني المحتملة عند غياب القرائن اللفظية، فلا شك أن قرينة السياق هي روح النص، والقرائن اللفظية هي حرفية النص »[341].

وما يهمنا هنا-بالنسبة للسورة القرآنية- الظروف النفسية والاجتماعية، وكذلك المؤثرات التاريخية المحيطة بالسورة القرآنية أو ما يعرف بـــ "أجواء السورة "، ثم ترابط الآيات بها، مما يؤدي إلى تناسبات مقطعية بين آيات السورة، أو بين الآيات والمطلع، والخاتمة، ومقصد السورة وغرضها العام.

فاجتزاء السورة عن ظروفها ومناسباتها التاريخية، واقتطاع الآيات عن معناها العام ضمن مقاطع آياتها، يوقعنا في ضبابية عن معرفة موضوع السورة بصورة واضحة، وإلى الغفلة عن تماسك وحدة الموضوع في كل أجزاء السورة، بفهم مقاطع السورة فهما مجتزأ عن بعضها البعض في ظل هذه الظروف التاريخية والاجتماعية والنفسية واللغوية التي هي في الحقيقة قرائن سياقية هامة جدا في بيان المعنى المقصود، والموضوع المراد كما أسلفنا الذكر عنه سابقا.

---

(339)- عبد الرحمان حبنكة الميداني: قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عز وجل، مصدر سابق، ص:53 وما بعدها.

(340) - عبد الرحمان بودرع: منهج السياق في فهم النص، مرجع سابق، ص:30.

(341)- تمام حسان: البيان في روائع القرآن، مصدر سابق، 173/1.

وأخيرا فإننا نؤكد أن كل هذه العوامل-إن صحت هذه التسمية-التي ذكرناها من قبل، لا تكفي لوحدها لبيان الوحدة الموضوعية للسورة القرآنية، بل تتحد فيما بينها وتتناسب -في نظرنا- لتوضيح والتماس موضوع السورة العام في إطار رؤية شاملة، كاملة ومتكاملة، هذا بخلاف رؤية المتقدمين للسورة، والتي كانت تقتصر على جانب دون آخر، ومن ثم تباينت آراؤهم حول تحديد محور السورة، كل حسب مدى استعانته بهذه العوامل إكثارا وإقلالا، ولذلك صرحوا بأن التماس موضوع السورة-وكذلك المعاصرين-اجتهادي نسبي، وهذا في رأينا يرجع إلى ما قررناه من نسبيتهم في التماس هذه العوامل كلها كوحدة مجتمعة، لاكتشاف وحدة موضوع السورة.

ولذا فإن النظر السليم يقتضي النظر إلى السورة كلها مجتمعة، وبجميع العوامل الداخلة عليها، من علم المناسبات، وعلوم القرآن المختلفة، وبنية السورة في حد ذاتها، نظرا متناسقا بينها، وكلّ حسب أهميته في ذلك، فوحدة موضوع السورة هي من وحدة العوامل القرآنية والنزولية والتناسبية والبنيوية المتصلة بها.

-السياق وموضوع السورة في تفسير الشيخ شلتوت.

كان اعتماد الشيخ على السياق بالغا في ترجيح معاني الآيات وفق موضوع السورة، ومثال ذلك ما رد به على الفقهاء الذين استنبطوا وجوب السكوت عند الخطبة، وخلف الإمام أثناء الصلاة الجهرية من قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[342].

يرد عليهم بقوله: «ويبعد كل البعد أن يوكل بيان عدد الركعات ..إلى بيان الرسول... دون أن يتعرض القرآن لشيء من ذلك، ثم يعنى القرآن بخصوص القراءة خلف الإمام سرا أو لا سرا ولا جهرا !! فما أبعد هذه السورة في موضوعها وفي وقت نزولها عن الاهتمام بمثل هذا !»[343].

---

[342]- سورة الأعراف: الآية 205، وهو مذهب المالكية والحنابلة ونسب إلى القاسم بن محمد والزهري ، وذهب الأحناف إلى أن المأموم لا يقرأ خلف الإمام مطلقا جهرا ولا سرا، في حين أن المشهور من مذهب الشافعية وجوب قراءة سورة الفاتحة سرا وجهرا ، ينظر: ابن رشد القرطبي الحفيد: بداية المجتهد ونهاية المقتصد ، ت: علي محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود، بيوت، لبنان، دار الكتب العلمية، ط2، 2000م، 176/1، وأما كيفية استنباط الفقهاء هذه الأحكام الفقهية من هذه الآية فينظر: محمد علي السايس: تفسير آيات الأحكام ، ت:عبد الحميد هنداوي، القاهرة، مصر، مؤسسة المختار للطباعة والتوزيع،ط1، 2001م، 409/1.

[343]- محمود شلتوت: تفسير القرآن الكريم، ص: 392-393.

الباب الثاني: المنهج والوحدة الموضوعية في تفسير الشيخ محمود شلتوت" تفسير القرآن الكريم"

وفيه فصلان:

الفصل الأول: منهج الشيخ محمود شلتوت في تفسيره .

الفصل الثاني: أنواع الوحدة للسورة القرآنية، مسمياتها، مواضعها، وملامحها في تفسير الشيخ محمود شلتوت.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الأول: منهج الشيخ محمود شلتوت في تفسيره .

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: التعريف بتفسيره .

المبحث الثاني: منهجه التحليلي والموضوعي في تفسيره .

المبحث الثالث: خصائص تفسيره .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الأول: التعريف بتفسيره.

ترك لنا الشيخ شلتوت تراثا فكريا وعلميا ضمنه في مؤلفات علمية مستقلة، وكان أهمها تفسيره القيمّ "تفسير القرآن الكريم" الأجزاء العشرة الأولى من سورة الفاتحة إلى سورة التوبة؛ إذ كان يكتب تفسيره على شكل فصول متتابعة نشرتها مجلة "رسالة الإسلام"، ثم ضمّها في سفر واحد، متوسط الحجم، في أزيد من خمسمائة صفحة، وهو محل دراستنا من خلال المطالب الآتية:

المطلب الأول: ظروف تأليفه ومصادره.

الفرع الأول: ظروف تأليفه.

كانت تلقى في دار الحكـــمة بالقاهرة محاضرات في تفسير القرآن الكـــريم وذلك سنة 1947م، بتنظيم من الشيخ يعقوب عبد الوهاب، وكان المحاضرون كوكبة من العلماء الأعلام وهم: الشيخ محمود شلتوت، والشيخ عبد الوهاب خلاّف، والدكتور عبد الوهاب عزام، والأستاذ عبد الوهاب حمودة الأساتذة في جامعة فؤاد الأول وقت ذاك (جامعة القاهرة حاليا) [1].

ومن قبل ذلك والشيخ شلتوت يكتب البحوث في تفسير كتاب الله تعالى، ولما أنشئت دار التقريب بين المذاهب الإسلامية بالقاهرة وأصدرت مجلتها المشهورة (رسالة الإسلام) [2]، في يناير 1949م، ربيع الأول سنة 1369هـــ، آثر الشيخ شلتوت هذه المجلة بنشر بحوثه في التفسير اقتناعا منه برسالتها ومنهجها في عرض الإسلام عرضا صحيحا غير مشوه، وظل يكتب التفسير وينشره في هذه المجلة، على مدى أربعة عشر عاما، ابتداء من ربيع الأول 1369هـــ، حتى أوائـــل سنة 1382هـــ، 1962م.

يقول الشيخ شلتوت موضحا ذلك[3]: «لقد آمنت بفكرة التقريب كمنهج قويم، وأسهمت

---

(1) -عبد المنعم النمر: علم التفسير كيف نشأ وتطور، ط2 ، القاهرة ،دار الكتاب المصري ،1983م، ص:141.

(2)- مجلة ربع سنوية تصدر كل ثلاثة شهور بمعدل أربعة أعداد في العام الواحد، مقر إدارتها، بشارع حشمت باشا، بالزمالك، بالقاهرة.

(3)- محمود شلتوت؛ مقدمة قصة التقريب، مجلة رسالة الإسلام، مرجع سابق ، ص: 198.

منذ أول يوم في جماعتها، وفي وجوه نشاط دارها بأمور كثيرة، كان منها تلك الفصول المتتابعة في تفسير القرآن الكريم التي ظلت تنشرها مجلتها (رسالة الإسلام)، قرابة أربعة عشر عاما حتى اكتملت كتابا سويا، أعتقد أنه تضمن أعز أفكاري، وأخلد آثاري، وأعظم ما أرجو به ثواب ربي، فإن خير ما يحتسبه المؤمن عند الله هو ما ينفقه من الجهد الخالص في خدمة كتاب الله»[4].

وقد جمعت هذه الفصول بتوجيه من الشيخ، وطبعت في كتاب جعل عنوانه "تفسير القرآن الكريم"، بعد أن راجعها الشيخ بنفسه؛ وقد لاقى هذا التفسير ذيوعا وانتشارا واسعا وتقديرا لدى الجميع، ممن قرأه ومن سمعه يذيع بعضا منه من محطة الإذاعة المصرية، فقد وجدوا فيه هداية القرآن الواضحة ميسرة، بعيدة عن المصطلحات العلمية واللغوية التي لا يفهمها إلا القليل.

ومن ذلك انهالت المقالات في المجلات تشجع الشيخ علي السير قدما في هذا المجال، وكانت بذلك حاجة الناس إلى مثل هذا التفسير –الذي يلتمسون من خلاله هداية الله فيهم، وإصلاحا لأدوائهم– إحدى عوامل انتشار هذا التفسير ،كما كان نفور الشيخ من التفاسير المحشوة بالروايات الموضوعة، والإسرائيليات المكذوبة ، وكثرة التخليط والاشتغال بالمباحث اللغوية والكلامية وغيرها، عامل أساس كذلك في انتشار هذا التفسير[5].

يقول الشيخ شلتوت عن العامل الثاني: «حدثت بدعة الفرق والتطاحن المذهبي.... و أخذ أرباب المذاهب يتنافسون في العصبيات المذهبية والسياسية، وامتدت أيديهم إلى القرآن، فأخذوا يوجهون العقول في فهمه وجهات تتفق وما يريدون.... و كانت هذه ثورة غير منظمة عقدت حول القرآن غبارا كثيفا حجب عن العقول ما فيه من نور الإرشاد والهداية، وكان من سوء الحظ أن صادفت هذه الثورة عهد التدوين فحفظ ودوّن كثير من الآراء الباطلة في بطون الكتب»[6].

ومن بين المقالات التي نشرت، ما نشره الأستاذ محمد يوسف موسى تحت عنوان "المسلم والقرآن" قال فيه: «لقد آن للمسلم منذ زمن طويل أن يظفر بتفسير للقرآن، يستغني به عن التفاسير الموروثة التي أصبحت لا تلائم روح العصر الذي نعيش فيه... نريد تفسيرا يتجلى فيه روح القرآن الكريم عقيدة وشريعة وأخلاقا، مثل هذا التفسير أصبح ضرورة لازمة وفرضا على الأزهر

---

[4]– المرجع نفسه، ص:198.

[5]– عبد العزيز عزت عبد الحكيم محمود : الشيخ شلتوت ومنهجه في التفسير ، رسالة دكتوراه ، مخطوط ، ص: 135.

[6]– محمود شلتوت : مقدمة تفسير القرآن الكريم ، مصدر سابق ، ص:10.

ورجاله»[7].

وفي تعليق لمجلة "رسالة الإسلام"، تردّ على رسائل القراء بشأن تفسير الشيخ شلتوت: «إن هذا النهج القويم الذي يسير عليه في تفسير كتاب الله، أستاذنا العلامة الشيخ شلتوت، لنهج فريد يحق لنا أن نعتز به، ولقرائنا الكرام أن يحرصوا عليه، ويعينوا الشديد اغتباطهم بتوفيق الله فيه... ولذلك يترجم هذا التفسير في العالم الإسلامي نقلا عن هذه المجلة إلى ثلاث لغات: الفارسية، التركية، والإنجليزية.....»[8].

وكان ممن أثنى عليه في ذلك من علماء الشيعة الشيخ مرتضى آل ياسين في كتاب أرسله إلى المجلة يقول فيه: «وإن كتمتكم شيئا فلا أكتمكم إعجابي ببحوث التفسير التي تنتجها يراعة العلامة شلتوت، فإني أنتهز لها فرصة الفراغ من أعمالي، فأستوفيها مطالعة ومراجعة، متمنيا لفضيلته اطراد التوفيق لمواصلة هذه البحوث القيمة، بهذا الأسلوب الرائق الرصين، ولو لم تتكشف "رسالة الإسلام" إلا عن هذا الوسام الممتاز الذي تحمله على صدرها، فتظهر به أمام قرائها، لكفاها مفخرة تعتز بها في مجال العز، وترفع بها رأسا عاليا حين ترفع الرؤوس»[9].

الفرع الثاني: مصادر الشيخ شلتوت في تفسيره «تفسير القرآن الكريم».

لتفسير الشيخ شلتوت مصـــادر كثيرة، اطّلع عليها، وأفاد منها، وكان موقفـــه منها بين مؤيد، أو مستأنس أو ناقد لها، فلم يكن الشيخ مجرد ناقل، بل كان له فهمه واستقلاله الفكري.

أولا: كتاب الاستذكار الجامع لمذاهب الأمصار وعلماء الأقطار للحافظ ابن عبد البر النمري(ت435هـــ): اعتمده الشيخ شلتوت في موضعين من تفسيره:

الأول: في مسألة جواز تذكية المريضة مرض الموت، حيث نقل عنه بقوله: «وقال أبو عمر: قد أجمعوا في المريضة التي لا ترجى حياتها أن ذبحها ذكاة لها إذا كانت الحياة فيها حين الذكاة....» [10].

الثاني: في مسألة التقاء الختانين دون الإنزال، هل يوجب الغسل أم لا؟ نقل عنه بقوله: «وروى ابن عبد البر عن بعضهم أنه قال: انعقد إجماع الصحابة على إيجاب الغسل من التقاء

---

[7]- محمد يوسف موسى: مجلة الأزهر، عدد شوال، سنة 1370هـــ، أكتوبر سنة 1951م، المجلد 22، ص:889-890.

[8]-مجلة رسالة الإسلام: السنة الثانية، العدد الثالث رمضان 1369هـــن يوليو 1950م، ص:244، 245.

[9]-المرجع نفسه.

[10]-ينظر: محمود شلتوت: تفسير القرآن الكريم، ص:229. و ابن عبد البر:كتاب الاستذكار: 5/262-263.

الختانين، قال: وليس ذلك عندنا كذلك، ولكنا نقول: إن الاختلاف في هذا ضعيف...» [11].

ثانيا: كتاب مفردات القرآن للراغب الأصفهاني(ت502هـ).

فقد نقل عنه في معنى الوسيلة الواردة في سورة المائدة، بقوله: «أما الوسيلة، فقد قال الراغب: (الوسيلة التوصل إلى شيء برغبة.... وحقيقة الوسيلة إلى الله تعالى مراعاة سبيله..) [12] » [13].

ثالثا: كتاب "إحياء علوم الدين" للإمام أبي حامد الغزالي (ت 505هـ).

فعند تعرض الشيخ شلتوت لمناهج الناس في فهم القصص القرآني، ذكر منها منهج القائلين بالتخييل، ثم يرد عليهم بقوله: «وفي هؤلاء يقول الإمام الغزالي: «وهم معترفون بأن هذا ليس من التأويل، ولكن قالوا: لما كان صلاح الخلق في أن يعتقدوا أن الله عالم بما يجري عليهم، ورقيب عليهم، جاز للرسول أن يفهمهم ذلك،وليس بكاذب من أصلح غيره فقال ما فيه صلاحه، وإن لم يكن كما قاله؛ لأنه تصريح بالتكذيب وطلب للعذر في أنه لم يكذب...» [14].

وفي موضع آخر أثناء تفسير الشيخ لآيات الربا، ينقل عن الغزالي الحكمة عن تحريم الربا من الجانب الاقتصادي وذلك في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[15].

يقول الشيخ: «وللإمام الغزالي -رحمه الله- بحث ممتع في كتاب الشكر من الإحياء تعرض فيه لما يعد أساسا في هذا الجانب الاقتصادي وخلاصته- (أن المال ليس مقصودا لذاته، وأن الدراهم والدنانير ...إنما خلقهما الله ليكونا وسيلة للتعامل بين الناس في معاشهم... وعلى هذا يكون النظر إلى النقدين على أنهما ميزانا للتقدير، والخروج بهما إلى أن يكونا مقصودين بالتعامل، واستغلال المال بالمال مما لا يقره الشرع ولا يرضاه الله لعباده، لأنه يؤدي إلى انحياز المال للأغنياء، وتكدسه في خزائنهم وصناديقهم، ووقوف حركة الأعمال والتثمير بين الناس، وانهيار قيمتها، وشيوع البطالة والكساد في

---

[11]-ينظر: محمود شلتوت: تفسير القرآن الكريم، ص:246. و ابن عبد البر: كتاب الاستذكار: 274/1، بلفظ مقارب له.

[12]- الراغب الأصفهاني: المفردات في غريب القرآن، ط4،بيروت ، دار المعرفة ، 2005، ص:538.

[13]- محمود شلتوت: مصدر سابق، ص:271.

[14]- الغزالي: إحياء علوم الدين، القاهرة ، دار الحديث ، 90/4، و محمود شلتوت: تفسير القرآن الكريم، ص:42.

[15]- سورة آل عمران: الآية 130.

الأمة»[16].

رابعا: كتاب أحكام القرآن لأبي بكر بن العربي (ت543هـ).

ففي مسألة حكم القصاص من قاتل ولده، يسوق الشيخ شلتوت ملخص ما كتبه ابن العربي في هذه المسألة، فيقول: «قال ابن العربي: هل يقتل الأب بولده لعموم آيات القصاص؟ قال مالك: يقتل به إذا تبين قصده إلى قتله، بأن أضجعه وذبحه... وقد سمعت شيخنا فخر الإسلام أبا بكر الشاشي يقول:.... وقد تعلقوا –المذهب الآخر- بحديث باطل وهو "لا يقاد والد بولده"[17]»[18]، وفي هذا غير ذلك[19].

خامسا: التفسير الكبير"مفاتيح الغيب" للفخر الرازي (ت 606هـ).

فقد أفاد الشيخ منه في كثير من المسائل، إما مصرحا بالنقل عنه، وإما معترضا عليه، وإما مرتضيا به دون أن يشير إليه.

فمن النوع الأول حديثه عن نظرة الإسلام في تحريم الربا من الجانب الاقتصادي؛ إذ يقول في ذلك: «وفي هذا يقول الإمام الرازي: إنما حرم الربا من حيث أنه يمنع الناس عن الاشتغال بالمكاسب....وذلك يفضي إلى انقطاع منافع الخلق....» [20]، وفي غير ذلك مما احتج به[21].

ومن النوع الثاني مما لا يرتضيه، رده على قول الرازي في تضعيف رأي القائلين بوجوب المسح تحت عنوان "رد الرازي عليهم"[22]؛ حيث قال الرازي: «واعلم أنه لا يمكن الجواب عن هذا إلا من وجهين:

الأول: أن الأخبار الكثيرة وردت بإيجاب الغسل، والغسل مشتمل على المسح ولا

---

[16]- محمود شلتوت : تفسير القرآن الكريم، ص:119-120؛ و الغزالي: إحياء علوم الدين ، 4/ 115، وكذلك أخذ عنه في الحديث عن إسقاط الجنين قبل نفخ الروح، شلتوت: تفسير القرآن الكريم، ص322، و الغزالي:إحياء علوم الدين ، 2/ 67.

[17]-الحديث أخرجه الإمام أحمد في المسند، ت: أحمد محمد شاكر، القاهرة، مكتبة التراث الإسلامي، [1/87-88]، وابن ماجة في سننه، دار الفكر، [2/888] ، وغيرهما.

[18]- أبو بكر بن العربي: أحكام القرآن، دار الفكر ، 1/ 64- 65، ومحمود شلتوت: تفسير القرآن الكريم، ص:323-324.

[19]- المصدر نفسه، ص:227، 230.

[20]-يراجع: محمود شلتوت: المصدر نفسه، ص:119. والفخر الرازي: التفسير الكبير، مصدر سابق،7/88-98.

[21]- محمود شلتوت: تفسير القرآن الكريم، ص:195-196، 212، 227، 306، 375-376، 420.

[22]- المصدر نفسه، ص:243، في آية الوضوء: الآية 06 من سورة المائدة.

ينعكس، فكان الغسل أقرب إلى الاحتياط فوجب المصير إليه.

الثاني: أن فرض الرجلين محدود إلى الكعبين، وإنما التحديد جاء في الغسل...» [23].

يرد الشيخ شلتوت على هذا الرأي، تحت عنوان "رأينا في ذلك" بقوله: «والذي نفهمه أن الغسل غير المسح... وإقامة أحدهما مقام الآخر يحتاج إلى دليل شرعي... فجوابه الأول غير مقبول في نظرنا، نعم لجوابه الثاني وجهة نظر قوية، ويضم إليها أن الكعبين قد عرفا في اللغة وفي الشرع أنهما العظمان الناشئان في جانبي الساق...» [24].

وأما النوع الثالث مما يذكره ولا ينبه على مصدره ويرتضيه، مثاله ما ذكره في تفسير الطوائف الثلاثة المذكورة في سورة الفاتحة، حيث فسّرهم بطوائف صدر سورة البقرة، «فالمؤمنون هم المنعم عليهم ...والكافرون هم المغضوب عليهم... والمنافقون الحائرون هم الضالون» [25] وهذا الرأي موجود عند الرازي [26]، وفي غير ذلك [27].

سادسا: الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي (ت 671هـ).

ففي تفسيره لقوله تعالى﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلَائِدَ﴾[28]،يصرّح الشيخ شلتوت بالنقل عن الإمام القرطبي، تحت عنوان"كلام القرطبي في هذا"[29]، وذلك في قوله: «والحكمة من جعل الله تعالى هذه الأشياء قياما للناس وسبيلا لأمنهم أن الله تعالى خلق الخلق على سليقة التحاسد.... و القتل والثأر، فلم يكن بد في الحكمة الإلهية من كاف معه في الحال...» [30][31].

---

[23]- الفخر الرازي: التفسير الكبير، مصدر سابق، 161/11.

[24]- محمود شلتوت: تفسير القرآن الكريم، ص:244.

[25]- المصدر نفسه، ص:32.

[26]- الفخر الرازي: التفسير الكبير: 261/1-263.

[27]- محمود شلتوت: مصدر سابق، ص:424.

[28] - سورة المائدة: الآية 97.

[29]- محمود شلتوت: المصدر نفسه، ص:237.

[30]- القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، دار الكتاب العربي، 325/6.

[31]- ينظر فيما احتج به: محمود شلتوت: تفسير القرآن الكريم، ص: 306، 431، 227.

سابعا: كتاب شرح صحيح مسلم للحافظ النووي (ت676هـ).

فقد اعتمده أيضا في مسألة التقاء الختانين، فقد جاء في تفسيره: «وقال النووي: قد أجمع على وجوب الغسل متى غابت الحشفة في الفرج، وإنما كان الخلاف فيه لبعض الصحابة...» [32].

ثامنا: تفسير أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي (ت هـ).

فقد نقل عنه عند حديثه عن القصص القرآني، فقال تحت عنوان "منهج المؤولين للقصص القرآني" : «وما نقله البيضاوي عن بعض الصوفية في معنى المائدة التي أنزلها الله حيث يقول: (وعن بعض الصوفية المائدة ها هنا عبارة عن حقائق المعارف، فإنها غذاء الروح، كما أن الأطعمة غذاء البدن) [33]، وهذا المنهج هو طريقة التأويل التي أسسها الباطنية...» [34].

تاسعا: كتاب "بيان موافقة صريح المعقول الصحيح المنقول" لشيخ الإسلام أحمد تقي الدين ابن تيمية (ت 728هـ) .

فقد صرح بالنقل عن هذا الكتاب، وهو نفسه كتاب "درء تعارض العقل والنقل"، وذلك في حديثه عن رأي المتفلسفة في فهم القصص القرآني، فيقول: «وقد حكى ابن تيمية في كتابه.... أن من جماعة الفلاسفة فرقة جعلت ما رأته بعقولها أصلا لما جاء به الأنبياء، فما وافق قانونهم هذا قبلوه وما خالفه رفضوه، قال (ابن تيمية): «ومنهم أهل الوهم و التخييل الذين يقولون: إن الأنبياء أخبروا عن الله واليوم الآخر، وعن الجنة والنار والملائكة بأمور غير مطابقة للأمر في نفسه....» [35].

عاشرا: كتاب شرح القدير للفقيه الحنفي الكمال بن الهمام (ت 861هـ) .

فقد نقل عنه قوله في مسألة لزوم إعلان العدو بمدة النبذ حيث قال: «وفي ذلك يقول الفقيه الحنفي الكمال بن الهمام: «إنه لا يكفي مجرد إعلانهم؛ بل لا بد من مضي مدة يتمكن فيها ملكهم بعد علمه بالنبذ من إنفاذ الخبر إلى أطراف مملكته...» [36].

---

[32]- ينظر: محمود شلتوت: تفسير القرآن الكريم، ص:246. و النووي:كتاب شرح صحيح مسلم: 4/40-41.

[33]- البيضاوي: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، دار الفكر، ص:167.

[34]- محمود شلتوت: تفسير القرآن الكريم، ص:40.

[35]-شلتوت: تفسير القرآن الكريم، ص:41. و ابن تيمية: كتاب درء تعارض النقل والعقل، ط1 ، دار الكتب العلمية ، 1/ 9.

[36]-ينظر: محمود شلتوت: تفسير القرآن الكريم، ص:475. و الكمال بن الهمام: كتاب شرح القدير: 5/457، باب الموادعة ومن يجوز أمانه، ط. دار الفكر.

الحادي عشر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لأبي السعود(ت951هـ).

فقد ذكر الشيخ شلتوت أن أبا السعود ينقل بعض الروايات الضعيفة، ويجعلها أصلا في تفسير القرآن، لكنه يصفه بأنه من المقلين في ذلك؛ إذ يقول في ذلك: «ولنضرب بتفسير أبي السعود- وقد يكون من المقلين في الرواية- مثلا في هذا؛ إذ يقول في وصف المائدة وما عليها من طعام: والصحيح الذي عليه جماهير الأمة وما شهير الأئمة أنها قد نزلت....» [37]، كما عقب عليه أيضا في موضع آخر من تفسيره[38].

الثاني عشر: "الميزان" للشعراني، و "حجة الله البالغة" للدهلوي (ت1176هـ).

فعند تفسيره لآية الطهارة من سورة المائدة، وشرحه لحكمة بدلية التيمم، وأن ذلك يخلق المواظبة على الأعمال، يقول بعد ذلك: «وقد أشار إلى ذلك الشيخ الشعراني في الميزان، وضرب له مثلا ما قاله العلماء في باب الحج «إن من لا شعر برأسه يستحب له إمرار الموسى عليه تشبها بالحالقين»[39]، وأوضح عنه المحدث الدهلوي في كتابه "حجة الله البالغة"، فقال: (لما كان من سنة الله في شرائعه أن يستهل عليهم كل ما يستطيعونه، وكان أحق أنواع التيسير أن يسقط ما فيه حرج إلى بدل لتطمئن نفوسهم... ولا يألفوا ترك الطهارات أسقط الوضوء والغسل في المرض والسفر إلى التيمم»[40].

الثالث عشر: كتاب "نيل الأوطار في شرح منتهى الأخبار " للشوكاني(ت1250هـ)

فعند كلام الشيخ شلتوت عن التيمم، وأن الواجب فيه الاقتصار على الضربة الواحدة، وبعد ذكره لأدلة عدة-نقل عن الشوكاني- قوله: «وبهذا يتبين أن أحاديث الضربتين لا تخلو جميع طرقها من مقال، ولو صحت لكان الأخذ بها متعينا لما فيها من الزيادة، فالتي الوقوف على ما ثبت في الصحيحين من حديث عمار من الاقتصار على ضربة واحدة، حتى تصبح الزيادة على ذلك المقدار»[41].

---

[37]- محمود شلتوت:تفسير القرآن الكريم، ص: 42-44. وأبو السعود: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: 93/3.

[38]- محمود شلتوت: تفسير القرآن الكريم، ص:430.

[39]- الشعراني: الميزان، كتاب الحج، باب صفة الحج والعمرة، 43/2، ومحمود شلتوت: تفسير القرآن الكريم، ص:250.

[40]-ولي الله الدهلوي: حجة الله البالغة، 180/1. و محمود شلتوت: تفسير القرآن الكريم، ص:250.

[41]- الشوكاني: نيل الأوطار: 1 /329، ط الشركة الدولية للطباعة. ومحمود شلتوت: تفسير القرآن الكريم، ص:252.

الرابع عشر: تفسير روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني لشهاب الدين الآلوسي (ت1270هـ).

نقل عنه في تفسير قوله تعالى﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ.﴾[42]، بقوله : «قال الآلوسي: (كون الطلب هنا في الآية للنبي ﷺ مما لا يكاد يذهب إليه ذهن سليم)[43]، والآية بعد ذلك واضحة في معناها....»[44].[45].

الخامس عشر: تفسير المنار لمحمد رشيد رضا (ت1935م).

حيث ظهر تأثر الشيخ شلتوت بالإمام محمد عبده والسيد محمد رشيد رضا، وكان ذلك التأثر من خلال مظهرين:

1-الأخذ عنهما أو عن أحدهما، والاعتداد برأيه في بعض المسائل.

2-تعديله للبعض الآخر منها، أو عدم الأخذ بها ورفضها.

فمن النوع الأول ترجيحه معنى البسملة برأي الإمام محمد عبده، الذي قال فيه:«ويتلخص في أنها تعبير يقصد به الفاعل إعلان تجرده من نسبة الفعل إليه، وأنه لولا من يُعَنْونُ الفعل باسمه لما فعل، فهو له، وبأمره...، فمعنى: افعل كذا باسم فلان، افعله معنونا باسمه، ولولاه لما فعلته، قال الأستاذ محمد عبده: هذا الاستعمال المعروف مألوف في كل اللغات...»[46]. وفي غير ذلك[47].

ومن النوع الثاني-وهو مما اعترض عليه الشيخ شلتوت-، عارض به رأي الشيخ محمد عبده من أن الملائكة "قوى روحانية أودعت في الأنفس، لا يبعد أن يسميها الله تعالى ملائكة، فإن التسمية لا حجر فيها على الناس....»[48]، أما الشيخ شلتوت فلا يسلك سبيل التأويل-مضعفا بذلك رأي الإمام محمد عبده- إذ يقول عن الملائكة : «أنهم خلق جعلهم الله واسطة بينه وبين أنبيائه ورسله،

---

[42]- سورة المائدة: الآية35.

[43] – شهاب الدين الآلوسي: روح المعاني: ط1، بيروت ، دار الفكر: 402/6.

[44]- محمود شلتوت: تفسير القرآن الكريم، ص:271.

[45]- وينظر فيما احتج به أيضا: المصدر نفسه، ص:197.

[46]-ينظر: محمود شلتوت: تفسير القرآن الكريم، ص:18. ومحمد رشيد رضا: تفسير القرآن الحكيم :43/1.

[47]-ينظر: محمود شلتوت: تفسير القرآن الكريم، ص:241، 254، 256.

[48]- محمد رشيد رضا: تفسير القرآن الكريم: 2/ 113.

والإيمان بهم أصل الإيمان بالوحي، فيلزم من إنكارهم إنكار الوحي، وهو يستلزم إنكار النبوة، وإنكار الدار الآخرة»[49]،وفي غير ذلك[50].

ونذكر أن الشيخ شلتوت كثيرا ما يذكر مصادره في تفسيره، ولكنه يبهمها دون أن يصرّح بها وبمؤلفيها، وذلك في أكثر من أربعة وعشرين موضعا في تفسيره هي على التوالي: صفحة 103، 123، 124، 134، 153، 185، 209، 213، 215، 246، 248، 322، 326، 327، 332، 378، 381، 383،391، 421، 422، 430، مرتين، 432، 469، 494، في الفقه والحديث والتفسير وغيرها، ونقتصر في ذلك على مصدرين:

الأول: في بيان الحكمة في مجيء "الفاء" مع عدم الشرط في قوله تعالى﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا﴾[51].

يقول: «فقال بعض المفسرين: إنما جاءت الفاء هنا لأن السؤال لم يقع، وعليه يكون المعنى:إذا سألوا عن الجبال فقل»[52].

فقد نقله عن القرطبي في تفسيره [53]

الثاني: في تفسير الشيخ شلتوت لسورة التوبة، يقول تحت عنوان "المفاضلة بين أبي بكر وعلي": «....ويروقني ما قرأته لبعض العلماء في حكمة إقامة أبي بكر أميرا للناس في حجهم، وفي نيابة علي عن النبي ﷺ في هذا التبليغ، قال: إن الصديق ﷺ كان مظهرا لصفة الرحمة والجمال.... أما علي كرم الله وجهه فقد كان أسد الله ومظهر جلاله...».

فقد نقله عن الآلوسي في تفسيره عن بعض أهل السنة في أول تفسير سورة التوبة[54].

---

[49]- محمود شلتوت: تفسير القرآن الكريم، ص:69.

[50]-ينظر: المصدر نفسه، ص:37، 40.

[51]- سورة طه: الآية 105.

[52]- ينظر :محمود شلتوت: تفسير القرآن الكريم ، ص:421.القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، مصدر سابق ، 11/ 245.

[53] - ينظر : محمود شلتوت: تفسير القرآن الكريم ،ص: 469

[54]- شهاب الدين الآلوسي: روح المعاني ، دار الفكر ، 67/6 .

المطلب الثاني: علاقة تفسيره بمؤلفاته الأخرى.

إن المستقرئ والمتمعن في كتب الشيخ شلتوت يجد تقاربا ملحوظا بين معظم محتوياتها، إن لم نقل تطابقا وتماثلا بينها، وليس ذلك بين كتبه فحسب، بل بين كل ما ألفه ودونه من مقالات وخطب وآراء مكتوبة ومسموعة عبر إذاعة القاهرة آنذاك؛ ذلك أنها تصدر جميعا من فكر واحد تميز بأنه قرآني أولا وآخر في كل ما يكتب ويؤصل، وهذه ميزة خاصة لاحظناها في جميع مؤلفاته التي تلاقت فيما بينها في الموضوعات والأفكار، وفي المناهج وطرق العلاج، فعنصر "في شئون المرأة" مثلا الموجود في كتابه "من توجيهات الإسلام"[55] له علاقة وصلة وطيدة، وتشابه شبه تام، بعنصر "المرأة في نظر الإسلام" في كتابه "الإسلام عقيدة وشريعة"[56]، وهذان الآخران لهما صلة وطيدة بكتابه "القرآن والمرأة" المجموع ضمن كتابه "من هدي القرآن"[57]، وأما علاقة تفسيره بمؤلفاته فهي على ضربين:

الأول: نقل تام وإعادة ذكرها في ثنايا تفسيره.

الثاني: إعادة تلخيص لها، وتقديم زبدة أفكاره المتناثرة في مؤلفاته الأخرى، كتبا ومقالات.

فمن الأول: إعادة ذكره لآية البر[58] وأنواعه الثلاثة، في العقيدة، والعمل، والخلق، الموجودة في كتابه "من توجيهات الإسلام"[59]. وذلك في تفسيره لسورة البقرة[60].

من ذلك أنه تحدث في كتابه "من توجيهات الإسلام"[61] عن عناصر النصر التي يجب أن يتحلى بها المسلمون، وأعاد ذكرها في النداء الأخير في سورة آل عمران[62] في تفسيره[63].

---

(55)-محمود شلتوت: من توجيهات الإسلام، ط8، دار الشروق ،2004م، ص:167 -189.

(56)- محمود شلتوت: الإسلام عقيدة وشريعة، الفصل الرابع، ص:217-240.

(57)- محمود شلتوت: من هدي القرآن، القرآن والمرأة، ص:290-319.

(58)- وذلك في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾ سورة البقرة: الآية 177.

(59)- محمود شلتوت: من توجيهات الإسلام، آية التدين الصادق، ص:37-39.

(60)- محمود شلتوت: تفسير القرآن الكريم، ص:64-72.

(61)- محمود شلتوت :من توجيهات الإسلام، عناصر النصر، ص : 222-224.

(62)- في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ سورة آل عمران: الآية 200.

(63)- محمود شلتوت: تفسير القرآن الكريم، ص:127-128.

ومن ذلك أيضا إعادة ذكره لرسالته "الوصايا العشرة"[64]، بعد أن كانت ضمن تفسيره لسورة الأنعام[65].

ومن ذلك حينما تحدث عن عنصر الحرب في كتابه "من توجيهات الإسلام"[66]، عنوّن له بالعنوان الآتي: سورة النساء تعالج الكيان الداخلي والخارجي، وهو نفسه العنوان والمحتوى الذي فصّله في تفسيره لأوائل سورة النساء[67].

ومن ذلك أيضا التطابق التام بين مفهوم العدل وعناصره في كتابه "الإسلام عقيدة وشريعة"[68]، وبين تفسيره للوصية الثامنة في سورة الأنعام[69]، بهذا الترتيب: العدل، مكانة العدل في القرآن، العدل وتوحيد الله، العدل في الوثائق، العدل في القضاء، وهذا التطابق في تفسيره كثير.

ومن الثاني: الذي لخص وأجمل فيه ما فصّله في مؤلفاته الأخرى: من ذلك علاقة مقاله "التقوى في القرآن" المنشور بمجلة الأزهر[70] بالتقوى في سورة آل عمران[71]، وسورة المائدة[72]، وسورة الأنفال[73] من تفسيره.

ومن ذلك أيضا أوائل تفسيره لسورة النساء[74] وعلاقته بمقالته "النساء في القرآن الكريم" المنشورة في مجلة "الرسالة"[75]، ثم علاقته بكتابه "الإسلام عقيدة وشريعة"[76] وتفصيله لمبادئ تأسيس

---

(64)- محمود شلتوت:رسالة: الوصايا العشر، ط. دار الشروق، ط3، ص:18 .

(65)- محمود شلتوت: تفسير القرآن الكريم، ص:307-344.

(66)- محمود شلتوت: من توجيهات الإسلام، عنصر الحرب في الإسلام، ص:198.

(67)- محمود شلتوت: تفسير القرآن الكريم، ص:137.

(68)- محمود شلتوت: الإسلام عقيدة وشريعة، الباب السادس:الأمة في الإسلام،فصل : تأسيس الدولة في الإسلام ص:444-448.

(69)- محمود شلتوت: تفسير القرآن الكريم، ص:340-341.

(70)-محمود شلتوت: التقوى في القرآن الكريم، مجلة الأزهر، السنة 30 ، عدد نوفمبر 1957م ،ص:6 وما بعدها.

(71)-محمود شلتوت: تفسير القرآن الكريم، ص:107.ط دار الشروق

(72)-المصدر نفسه، ص:270

(73)-المصدر نفسه، ص:432.

(74)-المصدر نفسه، ص:132-136، 144-149.

(75)- محمود شلتوت: النساء في القرآن الكريم، مجلة الرسالة، السنة 16، العدد 757،يناير سنة 1948م، ص:5-08، 12.

(76)-محمود شلتوت: الإسلام عقيدة وشريعة، الباب الثاني، نظام الأسرة والمواريث الفصل الأول، الثاني، والخامس (141-176)، (179-196)، (242-244).

الأسرة (زواج، معاشرة، نشوز وشقاق، تعدد الزوجات، مواريث)، وبكتابه"من توجيهات الإسلام"[77] وتفصيله لحفظ اليتيم وأمواله.

ومن ذلك أيضا أنه تحدث عن أسئلة القرآن ومدلولاتها في تفسيره[78] وفي مقدمة كتاب "الفتاوى"[79]،هذا بالإضافة إلى إحالات كثيرة له في ثنايا تفسيره على باقي مؤلفاته، كإحالته في مسائل نقض الطهارة[80] بموضوع «لمس المرأة» على كتابه "الفتاوى"[81]، وإحالته في آية الوضوء على كتابه "مقارنة المذاهب"[82]، وإحالته موضوع حوادث النصر في تفسيره[83] بموضوع «القرآن والذكريات» في كتابه "من توجيهات الإسلام"[84]، وإحالته في موضوع القصاص في الوصية الخامسة من وصايا سورة الأنعام في تفسيره[85] على نظيره في كتابه "الإسلام عقيدة وشريعة"[86]، وإحالته في موضوع القتال في تفسيره[87] على كتابه "القرآن والقتال"[88]، وإحالته في موضوع مسجد الضرار في تفسيره[89] على كتابه "من توجيهات الإسلام"[90]، وإحالته في موضوع جوانب طاعة الرسول ﷺ في تفسيره[91] على كتابه "الإسلام عقيدة وشريعة"[92]، وإحالته في موضوع مستحقي الصدقات في تفسيره[93] على كتابه "الإسلام عقيدة وشريعة" "فصل الزكاة"[94].

---

(77)- محمود شلتوت: من توجيهات الإسلام: العناية باليتيم في الحقل الاجتماعي، ص:132-135.

(78)- محمود شلتوت : تفسير القرآن ، ص:415-428.

(79)- محمود شلتوت : مقدمة الفتاوى، ص:5-11.

(80)- محمود شلتوت : تفسير القرآن الكريم، ص:257.

(81)- محمود شلتوت : الفتاوى: لمس المرأة في الطهارة والصلاة، ص:73.

(82)- محمود شلتوت : تفسير القرآن الكريم، ص:241.

(83)- المصدر نفسه، ص:267.

(84)- محمود شلتوت : من توجيهات الإسلام: القرآن والذكريات، ص :343.

(85)- محمود شلتوت : تفسير القرآن الكريم، ص: 330.

(86)-محمود شلتوت: الإسلام عقيدة وشريعة: باب العقوبات، موضوع القصاص، ص:372.

(87)-محمود شلتوت : تفسير القرآن الكريم، ص:489.

(88)- محمود شلتوت : كتاب: من هدي القرآن: القرآن والقتال، ص:344.

(89)- محمود شلتوت: تفسير القرآن الكريم، ص: 503.

(90)-محمود شلتوت : من توجيهات الإسلام: في التعبئة والجهاد، المنشأة الفاسقة، ص:217-220.

(91)-محمود شلتوت : تفسير القرآن الكريم، ص: 435-436.

(92)-محمود شلتوت : الإسلام عقيدة وشريعة: باب السنة: السنة تشريع وغير تشريع، ص:499.

(93)-محمود شلتوت : تفسير القرآن الكريم، ص:501.

وعموما فالعلاقة جد وثيقة أحيانا، ومتطابقة أحيانا أخرى فيما ذكرنا وفيما لم نذكره ، ويتبين من ذلك أنه أودع في تفسيره خلاصة أفكاره وعصارتها في مؤلفاته الأخرى، وفي ذلك يقول –رحمه الله–: «....كان منها تلك الفصول المتتابعة في تفسيره القرآن الكريم التي ظلت تنشرها مجلتها (رسالة الإسلام) قرابة أربعة عشر عاما حتى اكتملت كتابا سويا، أعتقد أنه تضمن أعزّ أفكاري، وأخلد آثاري، وأعظم ما أرجو به ثواب ربي....» [95].

المطلب الثالث: لماذا لم يكمل تفسيره؟.

ظل الشيخ يكتب حلقات في التفسير وينشره تباعا في مجلة رسالة الإسلام)، في شكل أعداد وفصول متتابعة على مدى أربعة عشر عاما، كما أخبر هو نفسه في مقدمة "قصة التقريب"[96]، ثم جمعت هذه الفصول بتوجيه من الشيخ نفسه، وطبعت في كتاب تحت عنوان "تفسير القرآن الكريم، الأجزاء العشرة الأولى"، وقد تعلق المسلمون بتفسيره وشجعوه على المزيد، وتمنوا أن يطيل الله في عمر الشيخ حتى يتم تفسير القرآن الكريم كاملا وفق المنهج الذي اختاره لنفسه في هذا التفسير، وأعجب به المسلمون، وأن يكون بذلك تفسيرا كاملا للمدرسة الإصلاحية الحديثة، والتي لم يحظ معظم رجالها بتأليف تفسير كامل للقرآن الكريم، كما كان الشأن للشيخ محمد عبده وتلميذه محمد رشيد رضا في تفسير المنار، والشيخ عبد القادر المغربي في تفسيره لجزء تبارك، والشيخ عبد الحميد بن باديس في تفسيره "مجالس التذكير"[97]، وغيرهم كثير.

يقول محمد البهي في مقدمته لتفسير الشيخ شلتوت: «وإذا أملنا في شيء بعد صدور هذا الجزء من التفسير، فإنا نؤمل أن يطيل الله في حياة فضيلة الأستاذ الأكبر، ليتم نعمته عليه، فيتم تفسير القرآن الكريم على هذا المنهج....»[98].

ولكن المنية باغتته، وحالت أقدار الله دون أن يتحقق ذلك، وبذلك توقف تفسيره عند هذا الحد، وكما آمل الكثيرون في تحقق ذلك، فإنا نؤمل فيمن يوفقه الله لإكمال هذا التفسير وفق منهج الشيخ؛ وليس ذلك على الله بعزيز!

---

[94]–محمود شلتوت : الإسلام عقيدة وشريعة: فصل الزكاة، ص:92-99.

[95]– محمود شلتوت : قصة مقدمة التقريب، مجلة رسالة الإسلام، مرجع سابق، ص:198.

[96]– محمود شلتوت: قصة التقريب، المرجع نفسه.

[97]– في تفسير الكتابي في مجلة الشهاب ؛ وإلا فإنه قد أكمل تفسيره الشفوي ، وأقيم له حفل تكريم بمناسبة ذلك.

[98] – محمد البهي: تفسير القرآن الكريم للشيخ شلتوت، مجلة الأزهر، ص:1017.

المبحث الثاني: منهج الشيخ شلتوت في تفسيره التحليلي والموضوعي.

سلك الشيخ شلتوت منهجا جديدا في مجال الدراسات التفسيرية جمع فيه بين المنهج التحليلي و المنهج الموضوعي بطرق وأساليب عدة، وهنا يجب التفريق بين المنهج[98] والطريقة؛ فالمنهج هو «الخطة المرسومة المحددة الدقيقة، التي تتمثل في القواعد والأسس والمنطلقات، التي تعرّف عليها المفسر، والتي التزم بها... (وانعكست على تفسيره)، فلم يخالفها و لم يخرج عنها»[99].

أما الطريقة فهي«الأسلوب الذي سلكه المفسّر أثناء تفسيره لكتاب الله .... أي: تطبيق المفسّر للقواعد والأسس المنهجية التي كانت منهجه في فهم القرآن... كتفسير آيات العقيدة وغير ذلك»[100].

فمن منهج الإمام ابن جرير في التفسير: ذكر الأقوال المأثورة للصحابة والتابعين في التفسير، أما طريقته في التفسير فتعنى بذكر الأمثلة والنماذج من تفسيره التي تبيّن تطبيقه لهذه القاعدة المنهجية، غير أن ذلك يختلف من مفسّر إلى آخر، فالبعض منهم يذكر منهجه في مقدمة تفسيره، والبعض الآخر يضمّنه ثنايا تفسيره دون أن يذكره في مقدمته.

وقد كان الشيخ شلتوت ذكر بعض منهجه في مقدمة تفسيره، وفي مؤلفات أخرى؛ غير أنه لم يذكر معظمه، وإنما ورد ضمن ثنايا تفسيره، ولذا كان علينا أن نذكر ما ذكره،وأن نستقصي ونستخرج أهم ما لم يذكره في مقدمة تفسيره مفرّقين في ذلك بين المنهج والطريقة كما عرفنا ذلك آنفا.

يقول –رحمه الله– في مقدمة تفسيره: «....لا نكاد نعرف علما من العلوم التي اشتغل بها المسلمون في تاريخهم الطويل إلا كان الباعث عليه هو خدمة القرآن الكريم من ناحية العلم»[101] وذكر علم النحو وعلوم البلاغة، والتجويد والقراءات، والتفسير، والأصول، وعلم الكلام، والتاريخ، وعلوم تقويم البلدان وتخطيط الأقاليم، وعلوم الكائنات، وعلوم الفلك والنجوم والطب، وعلوم

---

[98]– ورد في معجم مقاييس اللغة لابن فارس قوله: «النّهج: الطريق الواضح، ونهج لي الأمر: أوضحه، وهو مستقيم المنهاج.... مادة نهج» ، مصدر سابق: 361/5.

[99]– صلاح عبد الفتاح الخالدي: تعريف الدارسين لمناهج المفسرين،ط.دار القلم، ص: 17-18.

[100]– المرجع نفسه: ص18.

[101]– محمود شلتوت: مقدمة تفسير القرآن الكريم، ص:7.

الحيوان والنبات، إلى أن يقول: «....فإن هناك ناحتين كان من الخير أن يظل القرآن بعيدا عنهما، احتفاظا بقدسيته وجلاله، هاتان الناحيتان هما: ناحية استخدام آيات القرآن لتأييد الفرق والخلافات المذهبية، وناحية استنباط العلوم الكونية، والمعارف النظرية الحديثة منه....» [102]، ثم يقول: «...وإنما هو كتاب هداية وإصلاح وتشريع،وإني لأرجو أن أوفق فيما أعرض له من تفسير آيات القرآن الكريم إلى الخطة المثلى التي يجب أن يستقبل بها المسلمون كتاب الله....» [103].

ويقول أيضا -عند حديثه عن طريقة الشيخ محمد عبده في التفسير-: «...كان طابع بيئة الشيخ عبده الركود الفكري، والتعصب المذهبي، والتقديس للآراء و الأفهام... وكانت أكبر جناية لهذه النزعة جنايتها على القرآن، فقد صورته كتابا عزيز المنال، بعيدا عن الأفهام، لا يدركه إلا الراسخون الذين مضوا، وقد درسوه واستنبطوا منه جميع ما يلزم المسلمين، فليس لأحد بعدهم أن ينظر فيه كما نظروا .... وقد صار القرآن بهذا كأنه تابع لا متبوع، ومحكوم عليه لا حاكم.... وقد عني-رحمه الله- أشد العناية بتجريده التفسير من كل ما لا ثقة به من الروايات والإسرائيليات، وأوجب الوقوف عند الحد الذي قصه القرآن من أحوال الماضي أو أخبر به من شئون المستقبل، ولم يكن-رحمه الله- ذا اهتمام كبير بأسباب النزول، بل كان يعتمد في فهم المعنى وربط الآيات على ما يفيده الموضوع، وترشد إليه الألفاظ والأساليب....» [104] ثم يقول: «وإذا كانت تعاليم الشيخ محمد عبده قد أثرت في التفكير الإسلامي تأثيرا قويا، فإنّ المخلصين للأزهر لا يزالون إلى الآن يرجون أن يسرع الأزهر في الاقتراب من هذه التعاليم، وأن يجعلها من أسس دراسته....» [105].

ويقول أيضا: «لتفسير القرآن الكريم طريقتان:

إحداهما: أن يسير المفسر بتفسيره مع آيات الذكر الحكيم وسوره على الترتيب القرآني المعروف، فيفسر المفردات، ويربط بين الآيات، ويبين المعاني التي يدل عليها.

و الثانية هي: أن يعمد المفسر أولا إلى جميع الآيات التي وردت في موضوع واحد، ثم يضعها

---

[102]- المصدر نفسه، ص:10.

[103]- المصدر نفسه، ص:14.

[104]- محمود شلتوت: الشيخ عبده وطريقته في التفسير: مجلة الرسالة، السنة 12، العدد 576، 26 رجب سنة 1363هـ، 17 يوليو سنة 1944م، ص:582.

[105]- المرجع نفسه، ص:583.

أمامه كمواد يحللها ويفقه معانيها، ويعرف النسبة بين بعضها وبعض، فيتجلى له الحكم....» [106].

من خلال ما سبق يتبين أن للشيخ منهجين في التفسير، تحليلي وموضوعي، كما له من خلالهما قواعد منهجية، ذكر بعضها كالآتي:

الاستعانة بعلوم البلاغة، والقراءات، والأصول، والفقه، والتاريخ، موقفه من التفسير المذهبي والتفسير العلمي، المنهج العقلي، نزعة الاجتهاد، القرآن أصل في كل شيء، موقفه من الإسرائيليات والروايات الموضوعية، القصص القرآني، شرح الألفاظ والتراكيب هذا من ناحية.

ومن ناحية أخرى: التناسب بأنواعه، الترتيب القرآني، الوحدة الموضوعية، القرآن كتاب هداية وإصلاح، اعتماد السياق القرآني.

من خلال ما ذكره وما لم يذكره سنبّين —إن شاء الله– منهجه العام في تفسيره التحليلي والموضوعي.

المطلب الأول: المنهج التحليلي في تفسيره.

كانت للشيخ من خلال هذا المنهج التحليلي قواعد منهجية كثيرة، وفي علوم جمة لها صلة وطيدة بالقرآن.

الفرع الأول: العقيدة والمسائل الكلامية.

قد حظيت مسائل العقيدة الإسلامية وعلم الكلام باهتمام واضح للشيخ شلتوت في تفسيره، نالت حيزا كبيرا من دراسته لسور القرآن الكريم التي فسّرها في تفسيره، وذلك راجع إلى جو السورة العام في التطرق إلى الموضوعات العقائدية، منهجا وأسلوبا، موضوعا ومحتوى، وكانت تحليلاته المركزة على آيات العقيدة، نواة التفسير الموضوعي العقائدي، وليست المسائل العقائدية محصورة فقط في المسائل الكلامية بين المسلمين، بل تتعداها إلى أصول العقائد[107] المخاطب بها غير المسلمين، كإثبات الوحدانية وتقرير الرسالات ومبدأ البعث والمعاد وغير ذلك.

-منهجه في إثبات البعث والمعاد والاستدلال عليه: فعلى سبيل المثال حينما تطرق إلى

---

[106]- محمود شلتوت: كتاب من هدي القرآن، الطريقة المثلى في التفسير، ص:322.

[107]- فمسائل العقيدة لها أصول يكفرّ من أنكرها: وهي الأصول الست وفروع لا يكفرّ منكرها، بيّن ذلك الإمام ابن تيمية في مجموع الفتاوى:3/ 349، 364.

القضايا الكبرى في سورة الأنعام؛ وهي قضايا الألوهية، الوحي والرسالة، والبعث، فصّل القول في الاستدلال على القضية الأخيرة، متبعا في ذلك منهج القرآن الكريم، لا منهج المتكلمين[108].

يقول في ذلك : «ومن الخير أن نشير هنا إلى أن القرآن الكريم طرق طرقا شتى في الاستدلال على قضية البعث، فهو يستدل عليها بخلق السماوات والأرض: ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ﴾[109]، ويستدل بخلق السماوات بخلق الإنسان: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ﴾[110]، ويستدل بقياس الخلق الثاني على الخلق الأول: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾[111]، ويستدل بإحياء الأرض بعد موتها: ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾[112]،ثم يقول:وهنا نوع آخر من الاستدلال على البعث عرضت له كثيرا سورة الأنعام، وهو يعرض شأن البعث باعتباره أمرا كائنا ليس موضع إنكار... و تصور فيه مواقف المنكرين وما سيكونون عليه في ذلك اليوم ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾[113]...إلى غير ذلك مما تضمنته السورة من الوصف العيني لمظاهر البعث الذي يأخذ بالقلب ويثير الوجدان»[114].

-منهجه في المسائل الكلامية:

تطرق الشيخ شلتوت إلى كثير من المسائل الكلامية الخلافية في تفسيره، و رأى من خلال ذلك أن اختلاف الفرق الإسلامية فيها إنما هو من الفروع التي لا يجوز فيها الطعن والتجريح، فضلا عن التبديع والتكفير.

يقول في ذلك: «ولا ريب أن خلاف المتكلمين في مثل هذه القضايا هو كخلاف الفقهاء في

---

[108]- طريقة القرآن في إثبات العقائد مخاطبة العقل والقلب معا: بخلاف منهج المتكلمين المغرق في الاستدلالات العقلية، ينظر : عبد الرحمان الزنيدي:مناهج البحث في العقيدة الإسلامية في العصر الحاضر،ط1، الرياض،دار إشبيليا، 1998م،ص: 439،335

[109]- سورة يسن: الآية 80.

[110]- سورة الحج: الآية 05.

[111]- سورة الروم: الآية27.

[112]- سورة الحج: الآية5.

[113]- سورة الأنعام: الآية 27.

[114]- محمود شلتوت: تفسير القرآن الكريم، ص: 298-300.

مذاهبهم وآرائهم، ففي النوعين لم يرد الله أن يكلّف عباده بقضية معينة؛ بل فتح باب الاجتهاد للعقل البشري ليسلكه الإنسان.... والكل في ذلك مؤمن ناج مرضي عند الله أخطأ أم أصاب»[115].

ومع أن الشيخ أشعري العقيدة، إلا أنه في كثير من الأحيان لا يلتزم بمذهب الأشاعرة ويخالفه تبعا للدليل يدور معه حيثما دار؛ بل ويوّجه أحيانا أخرى انتقادات لاذعة للأشاعرة، ويضعّف من مذهبهم في مسائل محددة.

فمنهجه مثلا في إثبات العقائد هو منهج الأشاعرة الذين يشترطون القطع سواء في طريق الورود أو في الدلالة، ولا يرون أن أحاديث الآحاد تفيد العلم في العقيدة لاختلال القطع في الثبوت[116].

يؤيد الشيخ شلتوت -ذلك عند حديثه عن الحجاب بين المؤمنين والكافرين يوم القيامة في سورة الأعراف-: «ولا يجب الإيمان في ذلك إلا بما صح وأفاد العلم من كتاب وسنة»[117]، فعند تعرضه لحكم من لم تبلغه الدعوة هل هو كافر عند الله أم لا؟، يصرّح أن: «من لم تبلغه الدعوة أصلا، أو بلغته مشوهة، ولم يتهيأ له سبيل النظر فيها عن طريق مظهر جميل.... أو بلغته على وجهها الصحيح ونظر وظل ينظر طول حياته ابتغاء الوصول إلى الحق، ولكنه مات و لم يتبين له الحق... هم جميعا بمنجاة من هذا العقاب، وليسوا عند الله كفارا يخلدون في النار»[118]، بل يشطط أكثر فيقول: «...فلنا أن نقف بهم عند هذا الظاهر ونحكم بأنهم غير مسلمين، فلا تجري عليهم أحكام المسلمين، ولا نحكم بأنهم كفار عند الله..» [119].

صحيح أن الصنف الأول ممن لم تبلغه الدعوة، لا يستحق العقاب لقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾[120]، والباقي فيه نظر، بل إن صريح القرآن ينفي ذلك، من أمثال قوله تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا﴾[121]،وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ

---

(115)- المصدر نفسه، ص:51.

(116)- يراجع: سعد الدين التفتازاني : شرح المقاصد ، ط2 ، بيروت ، عالم الكتب ، 1998م ، 1/ 235 وما بعدها.

(117)-محمود شلتوت: تفسير القرآن الكريم، ص:383.

(118)- المصدر نفسه، ص:182.

(119)- المصدر نفسه.

(120)- سورة الإسراء: الآية 15.

(121)- سورة الفتح: الآية13.

أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾[122]، إلا أن الشيخ شلتوت لم يأخذ بهذا؛ بل رأى في الآية الأخيرة احتمالية الدلالة وعدم قطعها في الكفر، وبالتالي أوّلها بقوله: «والذي نفهمه من هذه الآية ونحوها أنه من الجائز أن تكون مطلقة غير مقيدة... و قد تكون مقيدة بالشرك الذي هو عناد وتكبر لاعن خفاء في الأدلة....وعلى كل فالمناط هو الإعراض عن الهدى بعد تبينه ووضوحه»[123].

ومن المسائل الكلامية التي خالف فيها مذهب الأشاعرة، مسألة الحسن والقبح في أفعال العباد؛ حيث قررّ فيها أن القبح والحسن ذاتيان في الفعل كما هو مذهب المعتزلة[124]، و الماتريدية وبعض المالكية والشافعية[125]، غير أنه لم يرتب العقاب على ذلك كما فعلت المعتزلة.

يقول في ذلك -عند الحديث عن ميزان الحل والحرمة فيما لا نص فيه-: «وإذن فليس معنى المعروف الذي يأمر الله به، كما أنه ليس المنكر الذي ينهى الله عنه.... وإنما هو ما استقرت معرفته وألف خيره في الفطر، أو نكرانه أو شره فيها، وفي هذا تقرير للحسن والقبح الأصليين»[126].

كما انتقد الأشاعرة في مسألة "الكسب" التي قالوا بها في مسألة "الجبر والاختيار" بقوله: «.....ولا شك أن تفسير الكسب بهذا لا يتفق واللغة، ولا يتفق واستعمال القرآن لكلمة "كسب"، على أنه بهذا المعنى الذي يريدون لا يصح وقاعدة التكليف، ولا وقاعدة العدالة والمسؤولية؛ لأن هذه المقارنة الحاصلة بخلق الله للفعل عند قدرة العبد ليست من مقدور العبد ولا من فعله حتى ينسب الفعل بها إليه... وقد قال بعض العلماء: «إن كسب الأشعري، و طفرة النظام ، وأحوال أبي هاشم ، ثلاثتها من محاولات علم الكلام»[127]، وباقي المسائل الكلامية هي بين هذا وذاك، كما في مسائل: الاستعانة بغير الله[128]، الميزان وحقيقته[129]، التفويض[130]،والتأويل[131]، الإيمان وزيادته ونقصانه[132]، الملائكة وحقيقتها[133]، المعية

---

[122]- سورة النساء: الآية 116.

[123]- محمود شلتوت: تفسير القرآن الكريم، ص:183.

[124]- القاضي عبد الجبار المعتزلي وآخرون : رسائل العدل والتوحيد ، ط2 ، القاهرة ، دار الشروق ، 1988م ، 1/ 254.

[125]- ينظر : أبو المعالي الجويني : كتاب الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد ، ط1 ، مؤسسة الكتب الثقافية ، ص:229

[126]- محمود شلتوت : تفسير القرآن الكريم، ص ص، 326، 327.

[127]- المصدر نفسه، ص:185.

[128]- المصدر نفسه، ص :27، 421، 427.

[129]- المصدر نفسه، ص:363.

[130]- المصدر نفسه، ص :91، 378، 381، 383، وكتاب: إلى القرآن الكريم، دار الكتاب العربي ، د.م، د.ت، ص:11.

الإلهية[134]، بين النبوة والرسالة[135]، الحجاب وحقيقته[136]،وبعض المسائل الغيبية[137].

الفرع الثاني: اللغة والبلاغة في تفسيره.

اعتنى الشيخ شلتوت في تفسيره بقضايا اللغة العربية، وعلوم البلاغة، وبيان أسرار التعبير القرآني، و إبراز أساليبه ومزاياه عناية خاصة[138]، و لم لا؟! وهو تلميذ مدرسة المنار والتي اشترط في المفسّر لكتاب الله أن يكون ضليعا في فهم حقائق الألفاظ المفردة التي أودعها القرآن، واستعمالاتها في اللغة العربية، عالما بالأساليب الرفيعة، مزاولا للكلام البليغ مع التفطن لنكته ومحاسنه[139]، وذلك وجه من وجوه إعجاز القرآن الكريم و هدايته للناس إلى مصدر هذا الكلام البليغ.

يقول الشيخ شلتوت-عند تعرضه للتفريق بين أسلوبي السؤال والاستفتاء في سورة الأنفال-: «هذه سبع ملاحظات عامة، و يجدر بنا أن نذكر كلمة عن كل واحدة منها قضاء لحق البحث، وتنويرا للباحثين في فهم القرآن والوقوف على أسرار أسلوبه واعتباراته البلاغية»[140].

وقد حفل تفسير الشيخ بكثير من مسائل اللغة والتراكيب اللفظية، والصور البيانية، والدراسات البيانية، والمباحث البلاغية العديدة، والأساليب الرفيعة؛ بل تطرق إلى بعض العلوم اللغوية الحديثة كعلم الدلالة، وإلى بعض المناهج الأدبية الحديثة كالمنهج الحركي في تشخيص مواقف القرآن يوم القيامة وغير ذلك.

فمن المسائل النحوية الواردة في تفسيره تناوله لمعاني الفعل المبني للمجهول في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ﴾[141].

---

[131]- المصدر نفسه، ص:52.

[132]- المصدر نفسه، ص:211، 437، 405، 440، 441.

[133]- المصدر نفسه، ص:69، وكتاب: إلى القرآن الكريم، ص:146.

[134]- المصدر نفسه، ص:495.

[135]- المصدر نفسه، ص:96.

[136]- المصدر نفسه، ص:381.

[137]- المصدر نفسه، ص:57، 423.

[138]- ينظر: فهد الرومي: منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير، ط مؤسسة الرسالة، 199/1.

[139]- محمد رشيد رضا: تفسير القرآن الحكيم أو تفسير المنار: 21/1 وما بعدها.

[140]- محمود شلتوت: تفسير القرآن الكريم، ص:419.

[141]- سورة التوبة: الآية 38.

يقول في توجيه ذلك: «وإنما بني الفعل للمجهول-وإن كان القائل معلوما وهو الرسول- للدلالة على أن التثاقل عن دعوة الجهاد في سبيل الله من أي داع كان لا ينبغي أن يكون من المؤمنين»[142]، وأما فعل (اثاقلتم) فيقول عنه: «ضمن الفعل معنى الميل والإخلاد وهو يحمل معنى الرضا بحياة الذل والاستعباد عن حياة العز والقوة»[143].

كما تناول معاني الحروف كثيرا، ومن ذلك حديثه عن قوله تعالى: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾، عن سر التعدية بالباء هنا؛ فيقول في ذلك[144]: «ومما يجدر التنبه له أن الإحسان في هذه الآيات: عدي بالباء،وتعديته بالباء-وهي تدل على معنى الإلصاق- يفيد أن المطلوب أن يتصل البر والإحسان بمن طلب له البر والإحسان دون انفصال ولا مسافة بينهما، وهذا فيه من الدلالة على تأكيد طلب الإحسان بالوالدين والعناية به ما ليس في التعدية بكلمة "إلى" ويضم إلى هذا أن الأمر به جعل تاليا للأمر بعبادة الله وحده، أو النهي عن الإشراك به، وفي هذا رفع أيما رفع لمقام الأبوة والأمومة»[145].

وكذلك اهتم بشرح المفردات والتراكيب كثيرا؛ فمن الأولى مثلا شرحه للمفردات التالية، فيقول تحت عنوان "تنبيه":

«المعادن: ما يوجد من الحديد والفضة والذهب والنحاس.

الركاز: ما يوجد مدفونا من الكنوز....

العشور: هي عشر ما يسقى بالأمطار.....

الخراج: ما يوضع على الأرض الخراجية، ومنه ما يفرض على الأرض في كل سنة، ويسمى خراج توظيف أخرجت أم لم تخرج»[146].

ومن الثانية مثلا شرحه لإقامة الصلاة بقوله: «وإقامتها عبارة عن أدائها مقومة الأركان، ظاهرة من قيام وركوع وسجود وذكر، و باطنة من خشوع ومراقبة وتدبر»[147].

---

[142]- محمود شلتوت: تفسير القرآن الكريم، ص:489.

[143]- المصدر نفسه، ص:488.

[144]- المصدر نفسه، ص: 163، 316، والآية في سورة النساء: الآية36.

[145]- المصدر نفسه، ص:163.

[146]- المصدر نفسه، ص:431، 432.

[147]- المصدر نفسه، ص:441، 442.

ومن المسائل البلاغية الواردة في تفسيره-وهي كثيرة جدا- بلاغة الأساليب القرآنية كالحديث عن سر تعلق النهي بالقرب دون تعلقه بالمنهي عنه في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾[148].

يوجه ذلك بقوله: «وقد تعلق النهي في هذه الوصية بالقربان من مال اليتيم دون التصرف فيه بما يفسده، وإن كان هذا هو المراد، نظرا إلى أن المال من الشئون التي تتعلق بها الشهوات، وتميل إليها الأهواء بدوافع نفسية، فاتجه بالنهي إلى الدوافع نفسها،وإلى محاربتها ... حتى لا تدفع صاحبها إلى مد يده بالإفساد إلى مال اليتيم..... أما المحرمات التي لم يؤلف ميل النفوس إليها، ولا اقتضاء الشهوات لها، فإن الغالب فيها أن يتعلق النهي عنها بنفس الفعل لا بالقربان منه كالشرك بالله...» [149].

ثم يقول بعد ذلك: «ومن هنا يظهر السر البلاغي الحكيم في مجيء النهي عن الشرك وأمثاله بنفس الفعل، ومجيء النهي عن المال والفواحش متعلقا بالقربان منها...» [150].

ومن مسائل علم الدلالة واللسانيات الحديثة، حديثه عن العلاقة التلازمية بين الدال والمدلول في قوله تعالى:﴿ وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى﴾[151].

يقول: «والقول وإن كان ظاهرا، أو خاصا في المتعارف العام بالكلام ينطق به الإنسان، إلا أنه في واقعه يجري مجرى الأفعال والألفاظ، وكل ما يدور في النفس من معان تعلن بالقول، ويتصل أثرها بالحياة... وإذن فالقول من هذه الجهة تناول كل ما يعبر به الإنسان عما استقر في نفسه من أخبار أو أحكام أو إرادات»[152].

و عموما يمكننا حصر واستقراء المسائل اللغوية في تفسيره كما يلي:

شرح المفردات[153]، الحقيقة والمجاز[154]، السياق[155]، بلاغة الكلمة[156]،بلاغة العطف[157]،

---

[148]- سورة الأنعام: الآية 152.

[149]- محمود شلتوت: تفسير القرآن الكريم، ص: 335. ط دار الشروق، ط12، 2004م.

[150]- المصدر نفسه، ص: 336.

[151]- سورة الأنعام: الآية 152.

[152]- محمود شلتوت: تفسير القرآن الكريم، ص:340.

[153]- المصدر نفسه،ص: 20، 26، 71، 80، 157، 159، 176، 181، 195، 208، 225، 234، 235، 271، 312، 324، 339، 340، 361، 400، 420، 431، 432، 471، 472، 504، 505.

[154]- المصدر نفسه، ص:40، 52، 216؛ ويراجع: عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، مكتبة الخانجي، ص: 66.

الكناية[158]، بلاغة التوكيد[159]، بلاغة التقديم والتأخير[160]، معاني الحروف[161]، معاني الفعل[162]، شرح التراكيب[163]، بلاغة الإضافة[164]، الاستفهام[165]، النكرة والمعرفة[166]، بلاغة الخبر[167]، الاستعارة[168]، العدول من الغيبة إلى الحضور (الالتفات)[169]، بلاغة الأسلوب[170]، الإثبات والحذف[171]، الإفراد والجمع[172]، بلاغة الإسناد[173]، مواقع الكلمات[174]، بلاغة النداء[175]، والتصوير الحركي[176].

الفرع الثالث: الأحكام الفقهية في تفسيره.

تعرض الشيخ شلتوت لآيات الأحكام الفقهية كثيرا في تفسيره، وكان تناوله لها حسب ما يستدعه جو السورة العام في التطرق إلى الموضوعات الفقهية المتعلقة بالسورة المفسّرة، وكانت بذلك

---

(155)- المصدر نفسه،ص: 62، 332، 392، 411، 422، 424، 438، 483.

(156)- المصدر نفسه، ص:141، 491.

(157)- المصدر نفسه، ص:472، 475. يراجع: عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص:243 وما بعدها.

(158)- المصدر نفسه، ص: 109، 366، 367، 477، وكتاب دلائل الإعجاز، ص :70، 431.

(159)- المصدر نفسه، ص:504.

(160)- المصدر نفسه، ص: 157، 321، 322، كتاب دلائل الإعجاز، ص: 121.

(161)- المصدر نفسه، ص: 163، 316، 376، 421، 478، 492، 501.

(162)- المصدر نفسه، ص: 211، 488، 489.

(163)- المصدر نفسه، 309، 328، 330، 334، 335، 367، 375، 385، 391، 434، 440، 441، 490، 498

(164)- المصدر نفسه، ص:375، 472.

(165)- المصدر نفسه، ص:360، 483.

(166)- المصدر نفسه، ص:378، 476، ودلائل الإعجاز، ص:116 وما بعدها.

(167)- المصدر نفسه، ص: 353، و دلائل الإعجاز، ص:177.

(168)- المصدر نفسه، ص:102.

(169)- المصدر نفسه، ص:473، 475؛ وعبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص:74، 432.

(170)- المصدر نفسه، ص: 312، 315، 334، 335، 336، 338، 496، 304، 306.

(171)- المصدر نفسه، ص: 335. وكتاب دلائل الإعجاز، ص :147 و ما بعدها.

(172)- المصدر نفسه، ص: 345.

(173)- المصدر نفسه، ص:377، 474، 475.

(174)- المصدر نفسه، ص:310، 311.

(175)- المصدر نفسه،ص: 94، 101، 364، 365.

(176)- المصدر نفسه، ص:372

أيضا نواة التفسير الموضوعي الفقهي في تفسير الشيخ، وقد تطرق في ذلك لغالب الأبواب الفقهية المعروفة عند الفقهاء كالعبادات والمعاملات وأحكام المال والأحوال الشخصية، وأحكام الحلال والحرام في الأطعمة والذبائح، وأحكام جنائية خاصة، وأحكام الحرب والسلم، كما تعرض للقواعد الفقهية، والأحكام القضائية الدستورية وغير ذلك، وهو لا يكتفي في ذلك بترديد القديم من الآراء بل يتعرض إلى الآراء المعاصرة ويناقشها مناقشة علمية متخصصة ويرجح ما يراه موافقا لروح التشريع العام، ومسايرا للدليل الشرعي دون تعصب ولا انحياز.

من المسائل الفقهية والتشريعية التي تناولها في تفسيره أحكام العبادات؛ كحديثه عن أحكام الوضوء، والغسل والتيمم في سورة المائدة[177]، فتحدث عن فرائض الوضوء وأركانه، وعن الغسل ومما يجب، كما خصصّ بحثا خاصا حول أحكام التيمم للمقيم والمسافر خاصة؛ فيقول مثلا تحت عنوان «بم تتحقق الجنابة: هل هي من الالتقاء أومن الماء؟»: «...ذهب جمهور العلماء إلى أن الوصف الموجب للغسل يتحقق بمجرد غيبوبة العضو في العضو الآخر واستدلوا بمنقول ومعقول: أما المنقول فما روى عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «إذا جلس بين شعبها الأربع ثم جهدها فقد وجب الغسل»[178].

...قال شُراح الحديث: «وقد ذهب إلى ذلك الخلفاء الأربعة، والعشرة، والفقهاء، وجمهور الصحابة والتابعين ومن بعدهم»[179].

وبعد أن يعدد استدلالات الجمهور النصية والعقلية، يذكر بعده رأي المخالفين بقوله: «واستدل غير الجمهور ومنهم أبو سعيد الخدري، وزيد بن خالد، وابن أبي وقاص، ومعاذ بالحديث: «إنما الماء من الماء »[180]....ثم يورد اعتراضات الجمهور على هذا الحديث وأنه منسوخ بأدلة كثيرة وقوية....»[181].

---

[177]- ينظر: محمود شلتوت: تفسير القرآن الكريم، ص:240-249.

[178]- أخرجه البخاري في كتاب الغسل ، 1/ 76 ، ومسلم بشرح النووي في كتاب الحيض ، 4/ 41 ، والنسائي في كتاب الطهارة ، / 110- 111 ، وغيرهم .

[179]- ينظر : ابن بطال : شرح ابن بطال على صحيح البخاري ، ط1 ، دار الكتب العلمية ، 1/ 403 ، وابن العربي : عارضة الأحوذي بشرح صحيح الترميذي ، سوريا ، دار العلم ، د.ت ، 1/ 169- 170.

[180]- مسلم بشرح النووي في كتاب الحيض ، 4/ 37، و الترميذي في كتاب الطهارة ، 1/ 183 ، وغيرهما.

[181]- محمود شلتوت : تفسير القرآن الكريم، ص: 246-247.

ثم يلخص الترجيح كقاعدة نهائية في هذه المسألة بقوله: «وبهذا ثبت نسخ الماء بطريق النص والعقل، ومثل هذا لا سبيل إلى القول بإنكاره»[182].

وبنفس المنهج في تصوير المسائل الخلافية، وذكر الآراء فيها وأدلة المذاهب، ثم المناقشة والترجيح يتناول باقي المسائل الفقهية، وأحيانا يستنبط منها قواعد فقهية وتشريعية كاستنباطه قاعدة اليسر ونفي الجرح في تشريع التيمم بدل الوضوء، فيقول في ذلك:«فهذه هي قاعدة الدين، وهذا هو شأن الرسول ﷺ في علاج الأمة وتعليمها، فإن كنتم تحبون الله فاتبعوه.....» [183]، وكاستنباطه قاعدة «ارتكاب أخف الضررين» من مسألة القتال في الشهر الحرام، ثم يقول بعد ذلك: «وقد كان لهذا المبدأ آثار عظيمة في التشريع الإسلامي، فقد أبيح أكل الميتة وشرب الخمر لإساغة اللقمة....ونرى هذا المبدأ مطبقا في كثير من أفعال الإنسان في أوقات الضرورة والحاجة»[184].

كما لم يفته في كل ما يعرض أن يبرز حكمة التشريع وأهدافه ومقاصده العامة، وقواعده الكلية، وصلاحيته لكل زمان ومكان.

و من أهم الأبواب الفقهية التي تناولها في تفسيره ما يلي:

أحكام الطهارة[185]، أحكام الزكاة[186]، أحكام المال والضرائب[187]، الضمان الاجتماعي[188]، الحلال والحرام[189]، الأطعمة والذبائح[190]، نظام الأحوال الشخصية[191]، العهود والمواثيق[192]، أحكام الحرب والجهاد[193]، أحكام أهل الذمة[194]، أحكام القتل والقصاص[195]،

---

[182]- المصدر نفسه، ص:247.

[183]- المصدر نفسه، ص:258.

[184]- المصدر نفسه، ص:427-428.

[185]- المصدر نفسه، ص:239-257.

[186]- المصدر نفسه، ص:70، 501

[187]- المصدر نفسه،ص: 143-146، 158، 71.

[188]- المصدر نفسه، ص: 162.

[189]- المصدر نفسه،ص :227، 229، 230، 231.

[190]- المصدر نفسه، ص :139-143، 146-147-177، 133-134.

[191]- المصدر نفسه، ص :222-224، 261، 262، 343، 482، 484.

[192]- المصدر نفسه،ص: 191، 202، 404، 412، 486، 494، 497.

[193]- المصدر نفسه، ص: 322-324، 329-330.

[194]- المصدر نفسه، ص: 151-158.

أحكام المواريث[196]، أحكام الفيء والغنائم[197]، أحكام اللباس[198]، القضاء والعدل[199]، القواعد الفقهية[200]، مصادر التشريع[201]، أحكام الصيد[202]، والحيل[203]،وغيرها.

-روح الاجتهاد في تفسيره:

والشيخ على ما طبع عليه من روح التحرر من التقيد بالمذاهب والآراء، فإنه دعا في تفسيره إلى فتح باب الاجتهاد في كل المجالات، فيقول: «ونؤكد أن نعمة الله على المسلمين بفتح باب الاجتهاد لا يمكن أن تكون عرضة للزوال بكلمة قوم هالهم أن يكون في الأمة من يرفع فيها لواء الحرية في الرأي والتفكير»[204].

اعتمد الشيخ منهج الاجتهاد الترجيحي في تفسيره، فلم يكن- رحمه الله-مجتهدا مطلقا؛ وإنما كان يختار من الأقوال الفقهية، ويرجّح ما يراه مقتضيا للدليل ولمقاصد الشريعة كما شهد له بذلك العام والخاص[205]، لكنه لم يترك الأمور مميعة؛ بل حدد مفهوم الاجتهاد المطلوب بأنه: «النظر في تعريف حكم الحادثة عن طريق القواعد العامة، وروح التشريع التي عرفت من جزئيات الكتاب وتصرفات الرسول...وذلك عن طريق الرأي وتقدير المصالح»[206]، وهذا طبعا بالقياس على النصوص القطعية المتشابهة و المتماثلة العلة.

ويقول بعد إيراد فتوى لجنة الفتوى بالأزهر بحكمين فيها مختلفين يخص حكم الأطعمة

---

[195]- المصدر نفسه، ص:430-432.

[196]- المصدر نفسه، ص:367.

[197]- المصدر نفسه، ص:165، 170، 173، 174، 264، 340.

[198]- المصدر نفسه، ص: 245، 251، 252، 258، 424، 428.

[199]- المصدر نفسه، ص: 166-167.

[200]- المصدر نفسه، ص:251،245، 252، 258، 424، 428.

[201]- المصدر نفسه، ص:166-167.

[202]- المصدر نفسه، ص:229.

[203]- المصدر نفسه، ص: 169-170.

[204]- المصدر نفسه، ص: 167، ويراجع، ص: 51، 256.

[205]- أسهب الدكتور عبد العزيز عزت عبد الحكيم في الشهادة له بذلك نصوصا ووقائع للشيخ شلتوت، وذلك في رسالة للدكتوراه: الشيخ شلتوت ومنهجه في التفسير، مخطوط: ص :607-636.

[206]- محمود شلتوت: تفسير القرآن الكريم، ص:166 .

المستوردة من بلاد الكتابيين؛ وذلك تحت عنوان"دلالة هذا على وجود روح الاجتهاد في علماء العصر" يقول: «فهذا الذي صدر من لجنة الفتوى أقوى دليل على تركز روح الاجتهاد الترجيحي في نفوس علماء العصر وإن حاول المرجحون أنفسهم أن ينكروه، وما دامت الحادثة تتعلق بأمر مجتهد فيه، والرأي يتبع الترجيح، والترجيح يتبع قوة الإدراك واختلاف المدارك، فإن الاجتهاد بابه مفتوح مهما قالوا ومهما أنكروا»[207].

ثم يدلي الشيخ في هذه المسألة برأيه، ويرجح حرمة الأطعمة بعد المقارنة بين الفتوتين ومناقشتها مناقشة علمية، ويقول بعدها: «هذا موقفنا بين الفتوتين ، وبعبارة أخرى بين الرأيين،ولكل مجتهد نصيب»[208].

ونتيجة لهذه النزعة اللامذهبية في تفسيره، فإنا نرى أن الشيخ يكثر من ذكر الآراء والأقوال المذهبية المتعارضة في المسألة الواحدة، ثم يناقشها مناقشة متحررة من العصبية والمذهبية ويرجح ما يراه مقتضيا للدليل ولروح الشريعة العام وذلك في أكثر من موضع في تفسيره[209].

من ذلك مثلا ترجيحه حرمة الإجهاض قبل نفخ الروح في الجنين، معتمدا في ذلك على دلائل علم الطب الحديث من أن مادة التلقيح فيها حياة يجب أن تحترم، «وأما الحياة التي لا تكون إلا في الشهر الرابع فهي حياة الحس والحركة، وهي متولدة من حياة النمو والتطور»[210].

«وهو في ذلك كله يصيب حينا، ويخطئ حينا آخر؛ إذ لا يلزم من صحة العرض والبيان صحة الفكرة وسلامة الرأي»[211]؛ بل قد يشذ أحيانا ويشطط، كخروجه على إجماع المسلمين في أن المسافر لا يجوز له التيمم مع وجود الماء[212].

---

[207]- المصدر نفسه، ص:231.

[208]- المصدر نفسه، ص :231-232.

[209]- يراجع: المصدر نفسه، ص :18، 23، 172-173، 230-231، 233، 242، 244، 246، 248، 253-257، 320، 322، 324، 392-393، وغيرها. ط12 دار الشروق 2004.

[210]- المصدر نفسه، ص:322-323.

[211]- فهد الرومي: منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير،200/1.

[212]- يراجع: محمود شلتوت: تفسير القرآن الكريم، ص:253-257.

الفرع الرابع: الاتجاه العقلي في تفسيره.

وهذا ناتج عن روح الاجتهاد الذي سلكه الشيخ، واحتكم العقل فيه أساسا للتحليل والتفسير، وقد كان –رحمه الله– من مدرسة المنار التي حكمّت العقل في أفكارها وفي تفسيرها لكتاب الله، وكانت تحليلاته العقلية بذلك نواة للتفسير العقلي الذي «يقوم على الاجتهاد في فهم النصوص القرآنية، وإدراك مقاصدها ومراميها من مدلولها ودلالتها... بعد معرفة المفسر لكلام العرب ومناحيهم في القول، ووقوفه على الناسخ والمنسوخ وما يتبع ذلك من الأدوات التي يحتاج إليها المفسر»[213].

من المسائل التفسيرية التي ظهرت من خلالها عقلانيته، أنه جعل من نور العقل المتدبر سببا في استحقاق الثواب، ومن عدمه استحقاق العقاب؛-إذ يفسّر قوله تعالى: ﴿وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[214]، قائلا: «فقد نظر في هذا التعبير إلى أن الناس جميعا- بما أودع فيهم من العقل وقوة النظر وفطرة الإيمان، وما يسر لهم من دلائل في أنفسهم... حتى صاروا بذلك متمكنين من الإيمان والعمل الصالح- كأنهم قد مكنوا من جزاء الإيمان، واستحقوا دار النعيم، فلما أعرض بعضهم وكذبوا وأهملوا النظر والاستدلال ....حرموا ذلك الجزاء....»[215].

ونراه يستخدم قواعد عقلية منطقية حينما يرد على الشبهات التي يثيرها خصوم الإسلام ضد الإسلام؛ كاستخدامه علاقة السببية وأثرها، ومحققا للعلة فيها، وأنها ليست دائما متلازمة؛ إذ يرد في ذلك على من يرمون الإسلام بالعنف-مستدلين بتعرض المسلمين لقافلة أبي سفيان-بقوله: «إن اقتران شيء بشيء في الوجود لا يدل بمجرده على سببية أحدهما للآخر: يعلم هذا أصحاب العقول المتوسطة كما يعلمه أصحاب العقول الراجحة، وإن الشأن في معرفة الأسباب والمسببات إنما هو الفحص والتعمق، وعدم الاكتفاء بالنظرة السطحية»[216].

و لا يعني هذا أنه ينفي النقل، وإنما يفهمه في ضوء العقل كما نرى ذلك في بيانه للصراع

---

[213]- خالد عبد الرحمان العك: أصول التفسير وقواعده، ط2، بيروت ، دار النفائس، 1986م، ص:167.

[214]- سورة الاعراف: الآية 43.

[215]- محمود شلتوت: تفسير القرآن الكريم، ص:375.

[216]- المصدر نفسه، ص:405.

الحتمي بين الشيطان و بين بني الإنسان[217].

كما أن توظيفه للعقلانية يختلف من موضع إلى آخر من تفسيره غلوا واعتدالا، فمن الأول مغالاته في إعطاء العقل سلطة التحسين والتقبيح الذاتي للأشياء من دون الشرع[218]، ومن الثاني بيانه أن النعمة الإلهية قد كَمُلت على عباد الله بالهداية التشريعية والنور العقلاني، وأن هذا الأخير لا بد له من عون هداية السماء «حتى لا يتأثر في أعماله وأفكاره بشهوة ولا رغبة، فتسلم عقائد الناس من الضلال، وتصلح أعمالهم وتبرأ من الفساد»[219].

الفرع الخامس: التفسير بالمأثور في تفسيره.

يعرّف محمد حسين الذهبي التفسير بالمأثور أو النقلي بقوله: «يشمل التفسير بالمأثور: ما جاء في القرآن نفسه من البيان والتفصيل لبعض آياته، وما نقل عن الرسول ﷺ، وما نقل عن الصحابة والتابعين، من كل ما هو بيان وتوضيح لمراد الله من نصوص كتابه»[220]، ويستبعد صلاح عبد الفتاح الخالدي تفسير القرآن بالقرآن عن دائرة المأثور لأنه ثابت يقينا لا يحتاج إلى تمحيص[221]، ويرد عليه بالتسمية الأخرى "التفسير النقلي"[222].

وعموما فالشيخ شلتوت اعتمد على التفسير بالمأثور في تفسيره بطرقة الثلاثة، لكن بدرجة متفاوتة، ومرتبة فيما بينها، فالأصل القرآن ثم السنة ثم أقوال الصحابة والتابعين.

يقول عن هذه المصادر: «وهذه المصادر في الرجوع إليها مرتبة على هذا النحو، فلا نرجع إلى السنة إلا بعد عدم العثور على الحكم في القرآن، فنرجع إلى السنة حينئذ إما لمعرفة الحكم الذي لم يرد في القرآن، أو لبيان المراد مما ورد في القرآن ....» [223].

وقد أخطأ فهد الرومي حكمه حينما قال: «وقد درج علماء المدرسة العقلية الاجتماعية على

---

[217]- المصدر نفسه، ص:375.

[218]- المصدر نفسه، ص:327.

[219]- المصدر نفسه، ص:31.

[220]- محمد حسين الذهبي: التفسير والمفسرون، مكتبة مصعب بن عمير، 2004م : 112/1.

[221]- صلاح عبد الفتاح الخالدي : تعريف الدارسين لمناهج المفسرين،ص:200.

[222]- خالد عبد الرحمان العك: أصول التفسير وقواعده، ص:111-112.

[223]- محمود شلتوت: تفسير القرآن الكريم، ص:166.

التقليل من شأن التفسير بالمأثور،والتشكيك فيه ،وعدم الاحتجاج به»[224]، وهذا زعم يشوبه التحقيق والاستقراء.

صحيح أن معظم رجال المدرسة هم كذلك[225]؛ لكن هناك من يكثر من الاحتجاج به، ولا يشكك فيه، كالشيخ شلتوت الذي أكثر من الاحتجاج بذلك؛ فلو أحصينا له احتجاجه بالأحاديث والآثار فقط لوجدنا له في تفسيره لثلث القرآن أكثر من سبعة وأربعين حديثا[226]، وأكثر من عشرين آثارا[227]، وأما تفسير القرآن بالقرآن فهذا هو الأصل في تفسيره،ولا تكاد تخلو صفحة منه.

مثال تفسير القرآن بالقرآن ما فسّر به طوائف الناس المذكورين في سورة الفاتحة ﴿أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾[228]، فسّرهم بأصناف أخرى في سورة البقرة على التوالي:

-المؤمنون ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ ...﴾ [229].

-الكافرون ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ﴾[230].

-المنافقون ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا... ﴾[231].

ومثال تفسير القرآن بالسنة، بيانا لمجمل[232]، أو تقييدا لمطلق، أو تخصيصا لعام[233]، أو بيانا

---

[224]- فهد الرومي: اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، ط3، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1997م: 743/2.

[225]-كالشيخ محمد عبده، والشيخ محمد رشيد رضا: تفسير المنار، 1/7-8.، 9/465-467، وتفسير المراغي، 19/1 وغيرهم.

[226]-ينظر: محمود شلتوت:تفسير القرآن الكريم، ص:67، 73، 96، 106، 109 مرتين، 118، 127، 128، 134، 148، 153، 157، 170، 178، 218، 246، مرتين، 247، 249، 250، 252، مرتين، 255، 257، 265، مرتين، 271، 307، 308، 223، 329، 345، 346، 407، 410، 426، 430، 459، 460، 461، 469، 478، 479، 488، 492، 494، 497، 503، سنة قولية وفعلية وتقريرية.

[227]-ينظر: المصدر نفسه، ص:94، 107، 151، 218، 227، 271، 323، 329، 334، 375، 407، 431، 435، 448، 457، 464، 468، 478، 496، ط12 دار الشروق 2004م.

[228]- سورة الفاتحة: الآية7.

[229]- سورة البقرة: الآية03.

[230]- سورة البقرة: الآية6.

[231]- سورة البقرة: الآية14.

[232]- محمود شلتوت:تفسير القرآن الكريم، ص:257.

[233]-ينظر: محمد كبير يونس: دراسات في أصول التفسير: ص:187 وما بعدها.

لنسخ[234]، أو استقلالا[235]، وأحيانا يوردها إذا كانت ظنية[236]، أو غير تشريعية[237]، ما ورد في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾[238]، قال: «وحبل الله كما روى مرفوعا عن النبي ﷺ هو القرآن الكريم»[239].

وفي الوصية الأخيرة لسورة الأنعام يقول: «هذا وقد شرح رسول الله ﷺ هذه الآية شرحا تصويريا بيده الكريمة فيما يحدث به عبد الله بن مسعود، قال: خط رسول الله ﷺ خطا بيده، ثم قال: «هذا سبيل الله مستقيما»، ثم خط خطوطا عن يمين هذا الخط وعن شماله، ثم قال: « وهذه السبل ليس منها سبيل إلا عليه شيطان يدعو إليه»[240] ثم قرأ الآية كلها: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[241].

ومثال تفسير القرآن بأقوال الصحابة والتابعين، ما فسّر به قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ﴾[242]، حيث نقل عن ابن عباس ﷺ أنه: «سئل عن ذئب عدا على شاة فشق بطنها ثم انتثر قصبها (أمعاؤها)، فأدركت ذكاتها فذكيت؟ فقال: كل وما انتثر من قصبها فلا تأكل، ومثله عن إسحاق بن راهويه»[243].

الفرع السادس: منهجه في علوم القرآن.

أولا: وجوه الإعجاز في تفسيره.

من عبارات الشيخ شلتوت المشهورة في هذا المجال «إن القرآن الكريم معجز بما هو به قرآن»، يقول عنه في ذلك عباس محمود العقاد: «ولقد عرفنا الشيخ الأكبر سنوات في مجمع اللغة العربية،

---

[234]-تفسير القرآن الكريم، ص:246.

[235]-المصدر نفسه، ص:249.

[236]- المصدر نفسه، ص:333.

[237]- المصدر نفسه، ص:436.

[238]- سورة آل عمران: الآية103.

[239]- الشيخ شلتوت: تفسير القرآن الكريم والحديث، ص109، والحديث رواه أحمد في المسند، ط دار الفكر، 2/ 327 وغيره.

[240]- محمود شلتوت: تفسير القرآن الكريم،ص:346، والحديث رواه ابن ماجة في سننه في المقدمة، 1/ 6 ، وأحمد في المسند ، 1/ 435.

[241]-سورة الأنعام: الآية153.

[242]-سورة المائدة: الآية3.

[243]- محمود شلتوت: تفسير القرآن الكريم، ص:227.

فتعودنا أن نعرفه "قرآنيا" في دراسته لأسرار اللغة قبل أن نعرفه "لغويا" في دراسته لأسرار القرآن، وكنا نسمعه يقول: «إن القرآن معجز بما هو به قرآن»، ويعني بذلك نسقه الذي ينتظم ألفاظه ومعانيه و يوحي من معانيها بما ليس في مفردات الكلام ولا في أجزائه...فليست الكلمة الواحدة هي محل الإعجاز، وليست الكلمتين أو الكلمات الثلاث ...و لكنه نسق دقيق يتخطى لوازم العلاقة بين الألفاظ في النحو والصرف إلى لوازم العلاقة بين المعنى والوجدان...» [244].

فالشيخ يركز في هذا على روعة أساليب القرآن وعلى بلاغته من دقة التعبير وحسن السبك وإحكام النظم[245].

يقول الزركشي: «وهذا العلم أعظم أركان المفسر فإنه لا بد من مراعاة ما يقتضيه الإعجاز من الحقيقة والمجاز وتأليف النظم... وأن يعتمد ما سيق له الكلام حتى لا يتنافر...» [246].

وهو يوافق الإمام عبد القاهر الجرجاني في أن إعجاز القرآن إنما يكمن في نظمه الذي يعرّفه عبد القاهر بقوله: «اعلم أن ليس النظم سوى تعليق الكلم بعضها ببعض، وجعل بعضها بسبب بعض»[247]؛ الذي تتعلق فيه الألفاظ والمعاني في سياق واحد؛ إذ يستحيل«أن تعرف للفظ موضعا من غير أن تعرف معناه، ولا أن تتوخى في الألفاظ من حيث هي ألفاظ ترتيبا ونظما، وأنك تتوخى الترتيب في المعاني وتعمل الفكر هناك»[248].

لذلك اهتم الشيخ شلتوت بإظهار المسائل البلاغية، وروعة الأساليب القرآنية، وهي بكثرة في تفسيره، ومن ذلك بيانه روعة أسلوبي التقرير والتلقين في سورة الأنعام[249]؛ إذ يشرح النظم القرآني في قوله تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ...﴾[250]، تحت عنوان "هدي جامع في أسلوب

---

(244)- عباس العقاد: "الموَّفق الموَّفق الإمام المصلح محمود شلتوت"، مجلة الأزهر، شعبان 1383هـ، مرجع سابق،ص:650.

(245)- عبد العزيز عزت عبد الحكيم محمود: الشيخ شلتوت ومنهجه في التفسير، مخطوط، رسالة دكتوراه بجامعة الأزهر، ص:374.

(246)- بدر الدين الزركشي: البرهان في علوم القرآن، النوع 21: 311/1.

(247)- عبد القادر الجرجاني: دلائل الإعجاز، تحقيق محمود شاكر، ص:4.

(248)- المصدر نفسه، ص:53-54، ويراجع: السيوطي: معترك الأقران في إعجاز القرآن: 5/1.

(249)- محمود شلتوت: تفسير القرآن الكريم،ص:303-306.

(250)- سورة الأنعام: الآية151.

بارع"[251]، وبعده بعنوان "من أسرار التعبير"[252]، ويحلل أساليب سورة الأعراف الأربعة: التذكير بالنعم، والتخويف بالعذاب وأسلوب الحجة التي توجه إليها العقول، ودفع الشبهة التي تثار للتشكيك[253].

و من ذلك أيضا إظهاره براعة المطلع في سورة الأنفال بقوله: «تظهر فائدة-هنا- للبدء بمسألة الأنفال وهي المسارعة من أول الأمر بنتائج النصر...و ليس من تربية النفوس أن نبدأ الكلام معها بما يدل على الاضطراب و الفزع....فجاء البدء بالحديث عن الأنفال أشبه بما يقولون من « براعة المطلع» التي تشوق السامع وتدفعه إلى التحلي بالأوصاف المذكورة...» [254].

والشيخ بعد هذا يثبت وجوها كثيرة لإعجاز القرآن[255]، ولا يكتفي بأسرار البلاغة القرآنية؛ إذ يقول في ذلك –بعد الحديث عن معارضة القرآن للعرب بالتحدي-: «طلبت منهم الآيات أن يأتوا من عند أنفسهم بحديث مثل القرآن، يجمع إلى البلاغة التي قرت لها الجباه، وإلى الإخبار بالغيوب النفسية والكونية والماضية والمستقبلية، قوانين الأخلاق، ونظم الاجتماع، وسنن الكون، وأصول التشريع التي لا ينقضها علم، ولا تنبو عنها حياة...» [256].

يقول محمد حسين الذهبي في ذلك: «ثم إن هذه المدرسة التي نهجت بالتفسير منهجا أدبيا واجتماعيا كشفت عن بلاغة القرآن وإعجازه، وأظهرت ما فيه من سنن الكون الأعظم، ونظم الاجتماع، وعالجت مشاكل الأمة الإسلامية بما أرشد إليه القرآن من هداية وتعاليم...» [257]، فلا شك بعد ذلك أن يجعل الشيخ هداية القرآن أعظم مظاهر إعجازه والتي قال عنها الدكتور محمد الصادق عرجون بأنها «عمود إعجاز القرآن المعنوي الأصيل»[258].

هذا هو معنى الإعجاز، وهذه هي وجوهه في تفسير الشيخ محمود شلتوت-رحمه الله-.

---

[251]- محمود شلتوت: تفسير القرآن الكريم، مصدر سابق، ص:309.

[252]- المصدر نفسه، ص:321-322.

[253]- المصدر نفسه، ص:354.

[254]-ا لمصدر نفسه، ص:414.

[255]- مما حدى بالسيوطي إلى أن يقول: «والصواب أنه لا نهاية لوجوه إعجازه»، معترك الأقران في إعجاز القرآن، تحقيق: علي محمد البجاوي. ط. دار الفكر: 1/ 3.

[256]-محمود شلتوت: تفسير القرآن الكريم، ص:61.

[257]-محمد حسين الذهبي: التفسير والمفسرون: 2/ 232.

[258]-محمد الصادق عرجون: القرآن العظيم: هدايته وإعجازه في أقوال المفسرين، مكتبة الكليات الأزهرية، د.ت، ص:14.

ثانيا: موقفه من أسباب النزول.

يعرّف سبب النزول غالبا بأنه هو «الحادثة التي نزلت الآية أو الآيات متحدثة عنها، أو مبينة لحكمها وقت وقوعها»[259].

و هذا يعني أنه أحد قسمي نزول القرآن، والثاني ما نزل من الله ابتداء غير مرتبط بسبب من الأسباب، وهذا أكثر القرآن[260].

ولسبب النزول فوائد جمة أهمها: الاستعانة على فهم الآية[261].

قال الواحدي: «لا يمكن معرفة تفسير الآية وقصد سبيلها دون الوقوف على قصتها وبيان نزولها»[262].

وقال ابن تيمية: «معرفة سبب النزول يعين على فهم الآية؛ فإن العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب»[263].

ومنهج الشيخ شلتوت عموما في تفسيره، أنه لا يعوّل كثيرا على أسباب النزول، ولا يوليها اهتماما، على أساس أن القرآن نزل عاما خالدًا شاملا، "والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب"[264]، «فلا يجوز أن تعتبر الحادثة الخاصة التي كانت سبب نزول النص مخصصة لدلالة النص العامة؛ بل هي ونظائرها داخلة في عموم الحكم دخولا أوليا»[265].

ولا يعني هذا أن الشيخ يغفل تماما عن أسباب النزول؛ بل يرى وجوب رعايتها حين النظر في القرآن من حيث توقف فهم المعنى على معرفتها، وقد سار-رحمه الله- على كلا النهجين.

فمثال الأول الذي يعرض فيه عن سبب النزول، ما ذكره من روايات في سبب نزول قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾[266].

---

[259]- ينظر: السيوطي: الإتقان في علوم القرآن: 1/ 28، وعبد العظيم الزرقاني: مناهل العرفان في علوم القرآن: 99/1.

[260]-ينظر: محمد عبد الكريم الجزائري: مقدمة في علوم القرآن وعلوم التفسير، ط1، ليبيا ، جمعية الدعوة العالمية،ص:41-42.

[261]-ينظر: الشاطبي: الموافقات في أصول الشريعة، 3/ 294،ومحمد الطاهر بن عاشور: مقدمة التحرير والتنوير ، 1/ 48- 49.

[262]-الواحدي: أسباب النزول،ص:4.

[263]-أحمد بن تيمية: مقدمة في أصول التفسير، ص: 22.

[264]-ينظر: عبد المنعم النمر: علوم القرآن الكريم، ط2، القاهرة ،دارالكتاب المصري، 1983م، ص: 100 وما بعدها.

[265]-عبد الرحمان حسن حبنكة الميداني: قواعد التدبر الأمثل، ص:203.

[266]-سورة المائدة : الآية 11.

يورد تلك الروايات تحت عنوان «روايات المفسرين في سبب نزول آية»، ولا يرتضي منهم ذلك بقوله: «ويحاول المفسرون كعادتهم أن يجعلوا الآية إشارة إلى حادثة معينة»[267].

وبعد أن يورد الروايات المروية في ذلك، يعقب عليها تحت عنوان "الآية تذكير بوقائع الاعتداء على المؤمنين عامة" بقوله: «والذي نفهمه أن الآية تذكر عام بوقائع الاعتداء على المؤمنين، وما كان من الأعداء من محاولة قتلهم...» [268].

ومثال الثاني الذي يذكره لتوضيح المعنى العام للآيات، ما ذكره من حادثة (طعمة) المعروفة في كتب التفسير[269]؛ هذا الرجل الذي سرق درعا وخبأها عند يهودي، وأرادت عصبته – بعد العثور على الدرع عند اليهودي وإخباره لهم بالقصة–إلصاق السرقة باليهودي، وتناجوا بينهم في ذلك، وأرادوا تمويه الرسول ﷺ بالجدال عن باطلهم، فنزلت الآيات في ذلك، وهي من قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ﴾ إلى قوله : ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا﴾[270]، فارتضى الشيخ هذا واعتبره موضحا لمعنى تلك الآيات[271].

والذي يبدو من خلال استقراء تفسير الشيخ شلتوت أنه يعتمد كثيرا على مناسبات النزول، ويعتبرها موافقة للقاعدة الأصولية «العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب»، ومثال ذلك ما أورده من مناسبة نزول سورة الأنفال في خروج الرسول ﷺ والصحابة الكرام ﷺ يعنون ذلك بعنوان "الجو الذي نزلت فيه السورة"[272].

ثالثا: التحذير من الإسرائيليات والروايات الموضوعة.

الإسرائيليات هي مجموعة الأخبار التي أصلها من اليهود، وهذه قد تكون من التوراة على ما دخلها من تحريف، أو مما كتبوه عليها من شروح وزيادات وسمّوه بالتلمود[273].

والموضوعات هي الأحاديث المكذوبة المختلقة على رسول الله ﷺ أو على من بعده من

---

[267]– محمود شلتوت: تفسير القرآن الكريم، ص:265.

[268]– المصدر نفسه، ص:266، وينظر أيضا، ص:104-105.

[269]– ينظر : القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، مصدر سابق ، 5/ 375 ، وغيره.

[270]– سورة النساء: الآيتين 105-108.

[271]– محمود شلتوت: تفسير القرآن الكريم، ص:169-170، وينظر أيضا، ص: 134، 248.

[272]– المصدر نفسه، ص: 399-400، وينظر أيضا، ص:114-115، 124، 218، 412، 429، 454، 467.

[273]– ينظر: الذهبي: التفسير والمفسرون، 121/1. ومحمد أبو شهبة: الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، ص:12-14

الصحابة والتابعين[274].

وقد«شن رجال المدرسة العقلية الحديثة-ومنهم الشيخ شلتوت-حملة شعواء على الإسرائيليات، وحذروا من تناولها في تفسير القرآن الكريم، وعابوا على المفسرين السابقين تداولهم لها، واعتبروا أن هذا خطأ لا يغتفر[275].

يشير الشيخ شلتوت في مقدمة تفسير لذلك -لما تحدث عن العهد الذي أوّل فيه القرآن وفق المذاهب- بقوله: «وظهرت في أثناء ذلك ظاهرة خطيرة، هي تفسير القرآن بالروايات الغريبة، والإسرائيليات الموضوعة التي تلقفها الرواة من أهل الكتاب، وجعلوها بيانا لمجمل القرآن وتفصيلا لآياته»[276]، ثم يقول بعد ذلك: «قيّد هذا التراث العقول والأفكار بقيود جنت على الفكر الإسلامي، فيما يختص بفهم القرآن، والانتفاع بهداية القرآن»[277].

ولما تحدث عن صفة المائدة المترلة على حواري عيسى -عليه السلام- أورد قول العلماء فيما احتوت عليه من ألوان الطعام والشراب، ثم يعقب عليه بقوله: «وحسبك في معرفة ما قالوه في هذا الأخير أن ترجع إلى أي كتاب من الكتب التفسير المتداولة لتقرأ في أوصافها، وأوصاف ما وضع عليها الشيء الكثير، مما يجعلك تؤمن أن كل ما قيل حولها من افتراء المفترين، وأساطير الإسرائيليين»[278].

وقد أدى تطرفه في تحكيم العقل في فهم النصوص إلى رد الأخبار الإسرائيلية كلها جملة وتفصيلا، وإلى ذم الرواة الإسرائيليين الثقاة كعبد الله بن سلام[279] وكعب الأحبار[280] وغيرهما.

والحق يقال: «أن المكثرين من هذه الإسرائيليات وضعوا الشوك في طريق المشتغلين بالتفسير، وذهبوا بكثير من الأخبار الصحيحة بجانب ما رووه من قصص مكذوب، وأخبار لا تصح، كما أن نسبة هذه الإسرائيليات إلى بعض من آمن من أهل الكتاب التي لا تكاد تصح شيء منها، جعلت

---

(274)- محمد أبو شهبة: المصدر نفسه، ص:14.

(275)- فهد الرومي: اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر : 755/2.

(276)- محمود شلتوت: تفسير القرآن الكريم، ص:10.

(277)- المصدر نفسه:، ص:11.

(278)- المصدر نفسه، ص:212، 213.

(279)- ينظر: ابن حجر: تهذيب التهذيب، دار الفكر ، 219/5 - 220.

(280)- المصدر نفسه: 393/8-394.

بعض الناس ينظر إليهم بعين الاتهام والريبة»[281]، فما علمنا بصحته أخذنا به شريطة «أن يناسب روح القرآن، وأن يتفق مع النقل والعقل وألا ينقل إلا بقدر الحاجة استئناسا به لا احتجاجا»[282].

يقول الشيخ أحمد شاكر: «إن ذكر ذلك (الإسرائيليات) في تفسير القرآن، وجعله قولا أو رواية في معنى الآيات، أو في تعيين ما لم يعين فيها ... شيء آخر...فأي تصديق لرواياتهم أقوى من أن نقرنها بكتاب الله، ونضعها منه موضع التفسير أو البيان...» [283].

رابعا: المكي والمدني والقراءات.

اعتنى الشيخ شلتوت كثيرا بالمكي والمدني في القرآن الكريم تأصيلا وتطبيقا، وجعل من موضوعاتها أساسا في تفسير الآيات والسور القرآنية؛ بل وفي التوصل إلى وحدة موضوع السورة كما بينا فيما قبل[284]، ولذلك نراه يعوّل كثيرا على المكي والمدني وموضوعاتهما في تقرير المعاني العامة والجزئية.

يتعرض لمفهوم وخصائص المكي والمدني، فيقول: «ومن المعلوم أن المكي-وهذا ما نزل قبل الهجرة-يتضمن أصول الدعوة، وهي قضايا التوحيد، والوحي، والبعث، كما يتضمن الإرشاد إلى أمهات الأخلاق الفاضلة.... والمكي بعد هذا يعرض كثيرا لقصص الأولين، ونتائج تكذيبهم لرسلهم، وأخذا بالقوم إلى مواضع العظة والعبرة....» [285].

و يقول أيضا: «أما السور المدنية، فإنها قد عنيت-فيما يتصل بالمخالفين-بمجادلة أهل الكتاب الذين كانوا يجاورون الرسول في المدينة....كما عنيت فيما يختص بالمؤمنين بتفصيل كثير من الأحكام التي ينظمون بها شئونهم الداخلية والخارجية....» [286].

و هو في سبيل ذلك يذكر نوع كل سورة وعدد آياتها قبل أن يبدأ في عملية التفسير[287]، كما يتناول تحليل الموضوعات القرآنية بناء على ذلك؛ كحديثه عن عناية القرآن باليتيم، فيقول:

---

[281]- محمد حسين الذهبي: التفسير والمفسرون: مرجع سابق: 130/1.

[282]-المرجع نفسه: 131/1-132.

[283]- أحمد شاكر: عمدة التفسير، المنصورة ، دار الوفاء: 15/1.

[284]- في هذه الرسالة ، ص78.

[285]- محمود شلتوت: تفسير القرآن الكريم، ص:399، وينظر، ص:348، 306.

[286]- المصدر نفسه،ص:399-400.

[287]- المصدر نفسه، ص:36، 76، 132، 206، 274، 348، 399، 451. ط12. دار الشروق 2004م.

«وبعد، فقد عني القرآن الكريم بشأن اليتيم عناية كبيرة...ولقد ظهرت تلك العناية في مكي القرآن ومدنيه...» [288].

وأما عن القراءات، فلم يكثر منها في تفسيره، إلا عند الحاجة إليها في التحليل أو استنباط المعاني القرآنية، وأحيانا يردها ولا يعتمدها، و كل ذلك واقع في ثلاثة مواضع من تفسيره:

الأول: في الاستدلال بها على أن الفعل "استطاع" يأتي أحيانا بمعنى "أطاع" في الحديث عن حقيقة إيمان حواري عيسى عليه السلام ويقر المعنى بقوله: «ويكون المعنى على هذا «هل يطيعك ربك إن سألته إنزال المائدة؟»، وقد تلتقي مع هذا المعنى قراءة: «هل تستطيع ربك»، أي: «هل تستطيع أن تسأله وأنت على اطمئنان من أنه يستجيب لك ؟ وهذه القراءة مروية عن علي وعائشة وابن عباس وغيرهم» [289].

الثاني: في آية الوضوء؛ حيث بنى الخلاف في مسألة غسل أو مسح الرجلين بناء على القراءتين المشهورتين "وأرجلكم" «فقرأ ابن كثير وحمزة وعاصم في رواية حفص عنه بالنصب» [290].

الثالث: لم يعتمد عليها، وردها في مسألة السؤال الوارد في بداية الأنفال، حيث رجّح بأنه سؤال استعطاء لا سؤال استفهام، ورد بذلك القراءة الشاذة ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ﴾ [291].

ووصفه- سؤال الاستفهام- بأنه «اعتماد على شاذ لا تنهض به حجة» [292].

خامسا: قضايا النسخ، المحكم والمتشابه في تفسيره.

يعرف النسخ في اصطلاح الأصوليين بأنه «بيان انتهاء حكم شرعي بطريق شرعي متراخ عنه» [293]، أو عبارة «عن طريق شرعي يدل على أن الحكم الذي كان ثابتا بطريق شرعي لا يوجد

---

[288]- المصدر نفسه، ص:366-337.

[289]- المصدر نفسه، ص:211، وهي قراءة الإمام الكسائي، ينظر: عبد الفتاح القاضي: البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة من طريق الشاطبية و الدرى ، ط1، بيروت، دار الكتاب العربي،2004م، ص:99.

[290]- محمود شلتوت:تفسير القرآن الكريم، ص242-243، وينظر: عبد الفتاح القاضي: البدور الزاهرة، مصدر سابق. ص:89

[291]- الأصح أنها من غير حرف الجر "عن" ، ولعل إثباتها في تفسير شلتوت خطأ مطبعي ، يراجع : عبد اللطيف الخطيب : معجم القراءات القرآنية ، دار سعد الدين للطباعة و النشر والتوزيع ، 3/ 257 .

[292]- محمود شلتوت: تفسير القرآن الكريم، ص:430.

[293]- جمال الدين الأسنوي: نهاية السول شرح منهاج الوصول، عالم الكتب ،د.ت،: 2/548.

بعد ذلك مع تراخيه عنه على وجه لولاه لكان ثابتا»[294].

و يطلق النسخ على معنيين: إما النسخ الكلي؛ أي رفع الحكم الشرعي بدليل شرعي آخر، وإما تخصيصه لعامه، أو تقييده لمطلقه، أو زيادة شرط أو مانع، وبذلك يرفع الحكم الشرعي عن بعض أفراده، لا عنهم جميعا كما في الأول.

يقول ابن القيم الجوزية: «والنسخ بالمعنى العام الذي يسميه السلف نسخا هو رفع الظاهر بتخصيص أو تقييد أو زيادة شرط أو مانع أو حال أو صفة، فهذا كثير من السلف يسميه نسخا؛ حتى سمي الاستثناء نسخا»[295].

و يقول أيضا: «مراد عامة السلف بالناسخ والمنسوخ: رفع الحكم تارة، وهو اصطلاح المتأخرين، ورفع دلالة العام والمطلق والظاهر وغيرها تارة، بتخصيص عام أو تقييد مطلق...» [296]

وقد اختلف العلماء قديما وحديثا في إثبات النسخ ونفيه[297]، وما يهمنا منه موقف الشيخ شلتوت من ذلك في تفسيره؛ فالشيخ شلتوت لا يميل إلى القول بالنسخ ولا يقبله في الأخبار والمبادئ الأخلاقية، وأما في الأحكام فلا يقبله إذا كان التعارض غير حقيقي بين النصوص الشرعية قرآنا وسنة.

«فالأصل اعتبار النص القرآني محكما غير منسوخ، ولا يلجأ إلى الحكم بالنسخ إلا عند تعذر حمله على أنه محكم، أو عند ثبوت النسخ بدليل صحيح صريح غير قابل لحمله على فكرة مقبولة بموجب مفاهيم أحكام الشريعة بوجه عام»[298].

فعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾[299]، يوضح أن نسخ المبادئ الخلقية غير مقبول؛ لأنها من أصول الشريعة العامة التي لا تقبل التغيير ولا الرفع؛ إذ يقول تحت عنوان "القول بالنسخ غير مقبول" : «ولا يعرف معنى المبادئ الخلقية التي يضعها الإسلام

---

[294]–الفخر الرازي: التفسير الكبير: 227/3. و المحصول في علم الأصول، دار الكتب العلمية، 1/ 526.

[295]– ابن القيم الجوزية: أعلام الموقعين عن رب العالمين، مكتبة الكليات الأزهرية، د.ت:316/2.

[296]– المصدر نفسه: 35/1.

[297]– وهبة الزحيلي : أصول الفقه الإسلامي ، دار الفكر ، 2/ 933 وما بعدها .

[298]– عبد الرحمان حبنكة الميداني: قواعد التدبر لكتاب الله عز وجل: ص139، وينظر للتوسع في هذه القاعدة: خالد بن عثمان السبت: قواعد التفسير، القاهرة ، دار ابن عفان ،1421هـ : 730/2-741.

[299]– سورة الأعراف: الآية 199.

لكل زمان ومكان ومع كل الجماعات .... من يرى أن هذه الآية ومثيلاتها مما نسخته آيات القتال، وإن تقرير مبدأ الناسخ والمنسوخ في القرآن الذي رأى بعض الناس أن مثل قوله تعالى ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[300]، كان في صدر الإسلام ثم نسخ لجدير من العلماء بإعادة البحث والنظر فيه»[301].

ويوضح هذا أكثر عند تعرضه لجريمة القتل في وصايا سورة الأنعام[302]، وذكره لقول ابن عباس ﷺ أن توبة القاتل غير مقبولة، وأن قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [303]، ناسخة لقوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا﴾[304]، يعقب عليه برد النسخ لإمكان الجمع يقول: «وسواء أصح هذا الرأي...أو لم يصح كما يقتضيه النظر الصحيح في المقارنة بين الآتيين»[305]، ثم يضع في ذلك قاعدة عامة للنسخ بقوله: «وأصل نظرية النسخ من وقوعها في القرآن عامة وفي آيات الأخبار خاصة التي منها آيات الجزاء الأخروي، والتي بطبيعتها لا تعرض لتكليف ينسخ أو لا ينسخ، وإنما تعرض لبيان ما أعد من الجزاء....» [306].

وعلى ذلك يوضح عدم نسخ قوله تعالى: ﴿ لايُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾[307] لقوله تعالى: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾[308]، ويؤكد على أنه ليس هناك تعارض حقيقي بين آية النفير العام[309] وآية الرخصة[310] حتى يحكم بنسخ الأولى للثانية[311].

---

[300]- سورة فصلت: الآية 34.

[301]- محمود شلتوت: تفسير القرآن الكريم، ص:391.

[302]-في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ الآية 105 من سورة الانعام، وينظر: تفسير القرآن الكريم، ص:388

[303] -سورة النساء: الآية 93.

[304]- سورة الفرقان: الآية70.

[305]- محمود شلتوت: تفسير القرآن الكريم، ص:330.

[306]- المصدر نفسه، ص:330.

[307]- سورة البقرة: الآية 286.

[308]- سورة آل عمران: الآية 102.، وتفسير القرآن الكريم: ص108.

[309]- في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً﴾ سورة التوبة: الآية

[310]- في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ...﴾ سورة التوبة: الآية 91.

[311] – محمود شلتوت:تفسير القرآن الكريم، ص:498.

والشيخ بهذا كله يقر بأصل النسخ في الأحكام التكليفية[312]، ولكنه يضيق من دائرته عمليا في تفسيره.

و أما عن المتشابه الذي يعرف عند الأصوليين بأنه «اللفظ الذي خفي المراد منه، فلا تدل صيغته على المراد منه، ولا سبيل إلى إدراكه، إذ لا توجد قرينة تزيل الخفاء»[313] وعكسه المحكم.

وفي الحقيقة أنه اختلف العلماء في تعريف المتشابه إلى أقوال عدة أوصلها محمد عبد العظيم الزرقاني إلى أحد عشر قولا[314].

والشيخ شلتوت لا يذكر في تفسيره إلا قولين ويرجح ثانيهما: «**الأول**: أن المحكم ما فهمه الناس، وعرفوا دلالته ومعناه وأن المتشابه ما لم يفهمه الناس و لم يعرفوا دلالته ومعناه ككنايات الصفة مثلا.

الثاني: أن المتشابه ما تعددت جهات دلالته، وكان موضعا لخلاف العلماء، ومحلا لاجتهادهم، إما في معنى مفرد، أو إلى تحكيم صح عند الفقيه بينما غيره لم يحكمه لسبب من الأسباب»[315].

ويصل الشيخ إلى أن التشابه ليس مما استأثر الله بعلمه؛ وإنما يرجع إلى اجتهاد العلماء في بيان إحدى دلالاته المختلفة، وأما عن قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾[316] فيخرجها على أساس أنها «قاعدة كلية في تعرف منشأ الشبهات التي تميل بالناس عن الحق في أصول الدين وفروعه، وتجعلهم شيعا وأحزابا... و أن عليهم أن يرجعوا إلى ظاهر دلالة النصوص دون أن يحمّلوها ما لا تحتمل... ومن السهل أن يتتبع الدارس مواضع المحكم والمتشابه، ويعرف ما كان ينبغي أن يسلك فيها بحمل المتشابه على المحكم والإيمان بهما....» [317].

---

[312]-ومثاله نسخ أحاديث إيجاب الغسل من التقاء الختانين، لأحاديث إيجابه من خروج الماء، تفسير القرآن الكريم، ص:247.

[313]- محمد أبو زهرة: أصول الفقه، القاهرة ،دار الفكر العربي، 1997م، ص:128، 129.

[314]- محمد عبد العظيم الزرقاني: مناهل العرفان في علوم القرآن: 2/227-231.

[315]- محمود شلتوت: تفسير القرآن الكريم: ص50-52.

[316]- سورة آل عمران: الآية 07.

[317]- محمود شلتوت: تفسير القرآن الكريم، ص:90-91.

سادسا: الحروف المقطعة في أوائل السور.

قد أطال الباحثون الكلام حول حروف التهجي المقطعة التي افتتح الله بها أوائل بعض سور القرآن الكريم، وتحدثوا عن أربعة وجوه:

«**الوجه الأول**: تشير إلى تحدي القرآن للعرب أن يأتوا بمثله[318].

الوجه الثاني: أنها أسماء للسور القرآنية، أو أن لها معاني أخرى، كل يؤولها حسب فهمه.

الوجه الثالث: أنها بمثابة أدوات التنبيه في استفتاح الكلام، لاستثارة انتباه السامع إلى ما يراد إلقاؤه إليه.

الوجه الرابع: أنها جميعا مما استأثر الله بعلمه»[319].

يعرض الشيخ شلتوت لبعض هذه الأقوال، ويلخصها في مذهبين:

الأول: قائل بإثبات المعاني لها، **والثاني**: يتوقف، ويناقش الشيخ الآراء واحدا واحدا، ويقصي منها ما هو بعيد عن التحقيق العلمي، فالقول مثلا بأنها أسماء السور «يرده اشتهار السور بأسماء أخرى غير هذه الحروف... فلو كانت أسماء للسور كما يقولون لتواترت على ألسنة أصحاب الرسول ﷺ، وعلى ألسنة المؤمنين جيلا بعد جيل»[320].

ثم يقر الشيخ أن الرأي الذي يصح أن يطمئن إليه هو القول بالتوقف، مؤكدا بأن سنن الله في خلقه لا تخلو من أسرار لا يعلمها إلا هو سبحانه «تنبيها على القدرة التامة في جانب الربوبية، والقصور في جانب العبودية»[321]، ولا يعني هذا أن القرآن غير واضح ولا مفهوم؟،إذ يؤكد الشيخ أن هذه الحروف ليست من المتشابه الذي يدل على اختلاف الدلالة واحتمال المعاني المتساوية كما رأينا من قبل، لأنها «ليست قضايا ذات موضوع ومحمول، وليست مفردات ذات معان مفيدة، تستعمل في معان مجازية تصرف إليها بالقرائن»[322].

وأما وجه التنبيه لشد انتباه العرب، فيوجهه على أنه أثر في السماع فقط، وليس له معنى، وذلك بعد استقرائه للسور التي بدئت بهذه الحروف، ورأيه أنها مقترنة-في أغلبها- بالقرآن الكريم أو

---

[318]- ينظر: محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، مؤسسة التاريخ العربي ، 8/11.

[319]- عبد الرحمان حبنكة الميداني: تفسير معارج التفكر ودقائق التدبر: 1/205-208.

[320]- محمود شلتوت: تفسير القرآن الكريم،ص:48.

[321]- المصدر نفسه، ص:49.

[322]- المصدر نفسه،ص:52.

ما يدل عليه، وليس في ذلك دليل على إثبات معناها؛ بل إنه يقول: «أما معناها فلا أستطيع أن أقول فيه سوى هذه الكلمة المأثورة التي تعبر عن إيمان سلف صالح يؤمن حق الإيمان بعظمة الله وكتاب الله: (الله أعلم)» [323].

وما أحسن قوله وهو يوجهنا إلى أن البحث عن معـــاني هذه الحروف، لم يكلّـــف به الشرع، ولم يتعلق به علم، يقول في ذلك: «ولعل من الخير للناس بعد الذي قررناه في هذا المقام أن يوفروا على أنفسهم عناء البحث في معاني هذه الحروف، وأسرار ترتيبها واختيارها على هذا النحو، وأن يكفوا عن الخوض فيما لا سبيل إلى علمه....» [324].

سابعا: منهجه في فهم القصص القرآني.

تعرض الشيخ شلتوت في تفسيره للقصص القرآني، ولمناهج المفسرين في فهمه؛ حيث عرضها لنا عرضا علميا أمينا، ثم ناقش أصحابها مناقشة دقيقة استخلص بعدها منهجه المختار في فهم القصص القرآني.

المنهج الأول الذي عرض له، وهو منهج التأويل الذي «هو صرف الكلام عن مدلوله اللغوي إلى معنى آخر دون ما يدعو إلى هذا التأويل» [325]، وهو رأي للشيخين محمد عبده ومحمد رشيد رضا حيث رأيا أن حادثة ذبح البقرة هي لبيان حكم تشريعي كان سائدا عندهم وليس لبيان تاريخي؛ حيث «تذبح بقرة غير ذلول في واد دائم السيلان، ويغسل جميع شيوخ المدينة القريبة من المقتل أيديهم... فمن لم يفعل ثبتت عليه الجناية»، وأولوا الإحياء بأنه حفظ للدماء التي كانت عرضة لأن تسفك [326].

رد الشيخ هذا المذهب بأنه خارج عن إطار اللغة العربية التي تنص على أن الإحياء في الآية إحياء حقيقي، وأن الإراءة في قوله تعالى: ﴿وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ﴾ إراءة بصرية للآيات الكونية، وليست إراءة عقلية للأحكام الشرعية [327]، ويحدد أن التأويل المقبول هو الذي «لا يقضي على أصل ديني، ولا يمس عقيدة ثابتة، وهو في الوقت نفسه يحتفظ للعبارة القرآنية بواقع تعبر عنه تعبيرا صادقا ،

---

[323]- المصدر نفسه، ص:55.

[324]- المصدر نفسه، ص:52.

[325]- ينظر : ابن تيمية : مجموع الفتاوى ، مصدر سابق ، 4/ 69 ، ومحمد أبو زهرة : أصول الفقه ،ص: 121.

[326]- محمد رشيد رضا: تفسير المنار، مصدر سابق ،1/ 351.

[327]- محمود شلتوت: تفسير القرآن الكريم، ص:39-40.

وكانت اللغة تسمح به »[328]،أما إذا كان مخلا بهذا فهو تأويل باطني غير مقبول.

والمنهج الثاني الذي عرض له وهو منهج التخييل؛ وهو صرف للفظ عن ظاهرة ومعناه الحقيقي إلى خيال غير واقع، لا يلزم فيه الصدق ولا يكون إخبارا بما حصل؛ للإيحاء بمغزى الحكايات من الإرشاد إلى فضيلة، أو التحذير من رذيلة والتنفير منها[329].

يرد الشيخ على هذا المنهج بقوله: «ولا شك أن القرآن إذا استقبلت دراسته على هذا النحو من الخلط والخبط والادعاء، فقد اقتحمت قديسته وتزلزلت قضاياه في كل ما تناوله من عقائد وتشريع وأخبار»[330].

و يقول تحت عنوان «رأي بعض المتفلسفة العصرين في القصص القرآني»[331]: «هذه الآراء فضلا عما لها من النتائج السلبية هي فاسدة في ذاتها؛ لأن القرآن عربي، نزل بلغة العرب، وقانون اللغة المتواتر يقضي بحمل الكلام على ظاهره...» [332].

وأما المنهج الثالث فهو منهج المفسرين في إيراد الروايات القصصية، حتى وإن كانت ضعيفة وموضوعة في ميزان النقد العلمي، والشيخ يرد على هذا بقوله: «فهذا المنهج فيه إفراط أي إفراط»[333]، ثم يقرر الشيخ المنهج المختار الذي يقول فيه: «وخلاصته الوقوف عندما ورد في القرآن الكريم، مع الاحتفاظ بدلالة الألفاظ العربية على معانيها وإفادتها لواقع هي تعبير صحيح عنه، دون تزيد عليه بما لم يرد فيه أو تحيف لمعانيه...» [334].

مثال ذلك تعرضه لقصة نزول المائدة وآراء المفسرين في ذلك، واختلافهم أيضا في إيمان حواري عيسى عليه السلام؛ إذ نراه في ذلك يرجع ما وافق ظاهر القرآن ولغته وواقعه، ويرى أن لا تعارض بين نصوص القرآن في ذلك، «فالإيمان يبدأ مترددا ثم يتدرج أفقا في مراتب اليقين إذا لاحت لصاحبه دلائله، وكذلك كان الشأن للحواريين[335]، على أن في قراءة: «هل تستطيع ربَّك» معنى آخر،

---

[328]- المصدر نفسه، ص:40-41.

[329]- المصدر نفسه، ص:41.

[330]- المصدر نفسه.

[331]- ردا على محمد أحمد خلف الله وكتابه: الفن القصصي في القرآن الكريم، ينظر مثلا، ص: 188.

[332]- محمود شلتوت: تفسير القرآن الكريم، ص:216.

[333]- المصدر نفسه، ص:42.

[334]- المصدر نفسه، ص:44.

[335]- المصدر نفسه، ص:210-211.

وهو: هل تستطيع أن تسأله فيجيبك»[336].

وأما عن نزول المائدة، فإنه يتردد في ذلك؛ لأنه يرى ظنية دلالة القرآن في ذلك[337]، لكنه يؤكد على أنها سئلت لصريح القرآن الذي يجب أن يكون مهيمنا على ما قبله، وناسخا له، ثم يوجه الحكمة في كلا الرأيين، «إذ أنها على رأي الجمهور آية ونعمة لبني إسرائيل يمتن بها الله على خلفهم الذين كانوا في عهد النبي ﷺ ...وهي على رأي الحسن ومجاهد وقتادة تنبيه أمة محمد إلى أنه لا ينبغي أن يحكموا الآيات التي يقترحونها في إيمانهم بمحمد..» [338].

و من منهجه في ذلك أنه بيّن أن من منهج القرآن في عرض قصصه ذكر العبر والمواعظ، وما تتطلبه من الأحكام والحكم، من دون أن تذكر الأماكن والأشخاص، أو تعرض للحوادث مرتبة حسب وقوعها[339]؛ «لأن القرآن كتاب هداية وإرشاد.... يفرق القصة الواحدة في أماكن متعددة وفي سور مختلفة باعتبار المناسبات والعبر التي يدعو إليها المقام الذي يتحدث عنه...» [340]، وضرب لنا مثلا بتقديم قصة البقرة في قصة بني إسرائيل[341].

ثامنا: موقفه من التفسير العلمي والتفسير المذهبي.

اشتهر الشيخ شلتوت بأنه من أشهر المعارضين للتفسير العلمي[342]، فقد ذكر في تفسيره ناحيتين يجب تنزيه التفسير عنهما، من بينهما تفسير القرآن على مقتضى النظريات العلمية.

قال- رحمه الله- «.....فإن طائفة أخرى هي طائفة المثقفين الذين أخذوا بطرق من العلم الحديث...أخذوا يستندون إلى ثقافتهم الحديثة، ويفسرون آيات القرآن على مقتضاها..وظنوا أنهم بذلك يخدمون القرآن، ويرفعون من شأن الإسلام... نظروا في القرآن على هذا الأساس، فأفسد ذلك عليهم أمر علاقتهم بالقرآن، وأفضى بهم إلى صور من التفكير لا يريدها القرآن، ولا تتفق مع الغرض الذي من أجله أنزله الله»[343]،وهي غاية الهداية والإصلاح والإيمان، ولذلك ادعى محمد الصادق

---

(336)- المصدر نفسه، ص:211.

(337)- المصدر نفسه، ص:215.

(338)- المصدر نفسه، ص: 217.

(339)- المصدر نفسه، ص:413، 415.

(340)- المصدر نفسه، ص:415.

(341)- المصدر نفسه، ص:414.

(342)- محمود شلتوت: تفسير القرآن الكريم، ص:11، 12.

(343)- المصدر نفسه، ص:12 .

عرجون «أن الجانب الكوني لم يفسر في القرآن»[344].

يقول الشيخ شلتوت عن هذا الاتجاه العلمي: «هذه النظرة خاطئة من غير شك؛ لأن الله لم ينزل القرآن ليكون كتابا يتحدث فيه إلى الناس عن نظريات العلوم ودقائق الفنون وأنواع المعارف.

وهي خاطئة من غير شك؛ لأنها تحمل أصحابها والمغرمين بها على تأويل القرآن تأويلا متكلفا يتنافى مع الإعجاز ...وهي خاطئة؛ لأنها تعرض القرآن للدوران مع مسائل العلوم في كل زمان ومكان، والعلوم لا تعرف الثبات ولا القرار ولا الرأي الأخير، فقد يصح اليوم في نظر العلم ما يصبح غدا من الخرافات.

فلو طبقنا القرآن على هذه المسائل العلمية المقلبة لعرضناه للتقلب معها..ولأوقفنا أنفسنا بذلك موقفا حرجا للدفاع عنه.

فلندع للقرآن عظمته وجلالته... ولنعلم أن ما تضمنه من الإشارة إلى أسرار الخلق وظواهر الطبيعة إنما هو لقصد الحث على التأمل والبحث والنظر، ليزداد الناس إيمانا مع إيمانهم، وحسبنا أن القرآن لم يصادم-ولن يصادم-حقيقة من حقائق العلوم تطمئن إليها العقول»[345].

و لنبدأ ممّا انتهى به، فالحقيقة العلمية القطعية هي «أنه لا يمكن أن يوجد نص ديني قطعي الثبوت قطعي الدلالة يتناقض مع حقيقة علمية مقطوع بها، قد قال العلم الإنساني فيها كلمته الأخيرة، استنادا إلى أدلة قطعية.... أثبتتها أدوات المعرفة الإنسانية ووسائلها»[346].

أما إذا كانت «ظنا مترددا بين احتمالين أو احتمالات متكافئة، أو ظنا مرجوحا لم يقترن بعد بأي دليل يقويه حتى يجعله مساويا لنقيضه أو راجحا عليه، وهذان الظنان يعرفان باسم "الفرضية" أو كان ظنا راجحا قابلا للتعديل، وهو ما يعرف باسم "النظرية"[347]،فلا يمكن لها أن تقف في مواجهة الوحي، أو حتى أن تفسره.

والغالب على الظن أن الشيخ شلتوت ما اتخذ هذا الموقف إلا كرد فعل لتجرأ كثير من المفسرين على آيات القرآن يفسرونها بكل ما ينسب إلى العلم صح في ذلك أم لم يصح؟[348].

إلا أن هذا لا يعدم قوله بأن القرآن خالٍ تماما من ذكر الإشارات العلمية، ودقائق الصنائع

---

(344)- محمد الصادق عرجون: القرآن العظيم: هدايته وإعجازه في أقوال المفسرين، ص:284.

(345)- محمود شلتوت: تفسير القرآن الكريم، ص:13-14.

(346)- عبد الرحمان الميداني: قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عز وجل، ص:236.

(347)- المصدر نفسه، ص:233.

(348)- ينظر فهد الرومي: اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر : 580/2.

وغيرها من أمور الدنيا والعلوم، ولكنه -رحمه الله- يرى أن هذه الإشارات العلمية لا تخرج القرآن الكريم عن غايته الأساسية التي أنزل من أجلها؛ وهي تحقيق الهداية الإلهية، وإصلاح أحوال البشر، وما يذكر بعد ذلك من الإشارات العلمية فهو لون من ألوان الهداية القرآنية، إذا توفرت فيه شرط الحقيقة العلمية القاطعة؛ إذ القرآن الكريم كتاب هداية وليس موسوعة علوم[349].

ففي تفسيره للوصية الثالثة من وصايا سورة الأنعام؛ وهي قتل الأولاد مخافة الفقر، يتعرض لمسألة فقهية، وهي مسألة إسقاط الجنين قبل أربعة أشهر، ثم يرد هذا الرأي بما توصل إليه علم الطب الحديث، يقول في ذلك: «ومن هنا نرى أن علماء الشريعة يرون كما يرى الطب أن مادة التلقيح فيها حياة، و أنهم يقدرونها ويعتدون بها، ويرتبون عليها الآثار....» [350].

ثم يرتب على ذلك نتيجة علمية بقوله: «والقرآن دائما يدور محور إرشاده حول المرئيات والمشاهدات التي تقع عليها أبصار الناس جميعا...أما ما وراء ذلك من خفيات السنن التي لا يدركها إلا أرباب البحث والنظر، فإنه يتركها للبحث والنظر، ومتى ظهرت عن طريق البحث الصادق والنظر المكتنه للحقائق، أوجب عليهم أن يرتبوا الأحكام والآثار»[351].

وأما عن موقفه من التفسير المذهبي، فيقول فيه عنه: «...ومنهم من عني بتنزيل القرآن على مذهبه أو عقيدته الخاصة، وبذلك وجدت تحكمات الفقهاء والمتكلمين وغلاة المتصوفة وغيرهم ممن يروجون لمذاهبهم، ويستبدون في سبيل تأييدها والدعاية لها أن يقتحموا حمى القرآن، فأصبحنا نرى من يؤول الآيات لتوافق مذهب فلان، ومن يخرجها عن بيانها الواضح لكيلا تصلح لمذهب فلان، وبهذا أصبح القرآن تابعا بعد أن كان متبوعا، ومحكوما عليه بعد أن كان حاكما!»[352].

ولا شك أن التفسير المذهبي بهذا الوجه يطمس هداية القرآن،وسننه في إصلاح البشر، كما أنه يعطل العقل عن الإبداع، والفكر عن التجديد والانتفاع بهداية القرآن، كما قال الشيخ، ويحصره في إطار التقليد بدل حريته في الاجتهاد، وفهم القرآن مباشرة دون واسطة، أو تقليد غير مبصر لغيره.

مثال ذلك ما أورده من خلافات مذهبية بين العلماء في فرائض الوضوء، ثم وجّه هذا الخلاف بما يتوافق وروح الشريعة الإسلامية وبساطتها، فيقول: «هذا ما أردنا أن نسوقه للقراء فيما يختص

---

(349)- يراجع: يوسف القرضاوي: كيف نتعامل مع القرآن العظيم، ص:386-398،و منيع عبد الحليم محمود: مناهج المفسرين،القاهرة ، دار الكتاب المصري ، 2000م، ص:351-354.

(350)- محمود شلتوت: تفسير القرآن الكريم، ص: 323.

(351)- المصدر نفسه ،وينظر أيضا ، ص: 425،383، 426.

(352)- المصدر نفسه، ص:10.

بالوضوء، ومواقف الأئمة بالنسبة للآية الكريمة، وهي مواقف تدل دلالة واضحة على أن الإسلام لم يرد في تشريعه حتى في العبارات أن يرهق أتباعه أو يقيدهم بحكم معين فيما يرى أن القصد منه يحصل على أي احتمال ذهب إليه الفقيه وراء ما يظهر من قرائن وأدلة...أما المخالفة عن طريق التشهي أو طريق التعصب المذهبي فليست من الإسلام، ولا يعرفها الإسلام...» [353].

فهو يستنطق الدليل في كل الموضوعات الخلافية التي يطرقها سواء أكانت فقهية ،كالوضوء أو التيمم أو الغسل أو أحكام الحلال والحرام في الأطعمة والذبائح وغيرها، أو كانت كلامية ينعى فيها تعصب الفرق الكلامية الذين «صرفوا الناس بنقاشهم في المذاهب عن العمل الذي طلبه الله من عباده...و ما كان الله-وآياته بينات واضحات-ليقيم لهم وزنا فيما وقفوا عنده....» [354].

المطلب الثاني: المنهج الموضوعي في تفسيره.

كما كتب الشيخ شلتوت في التفسير التحليلي، فإنه كان له دور بارز في الكتابة في التفسير الموضوعي والتأصيل له.

ولا نعدو الحقيقة إذا قلنا أن الشيخ شلتوت كان من أوائل من كتبوا في التفسير بهذه الطريقة، وكان من فرسانها الأوائل الذين وضعوا نماذج قيمة لها؛ بل وكان مدركا لنوعيه ومنبها على ذلك.

يقول الشيخ شلتوت في مقدمة كتابه "القرآن والقتال" -متحدثا عن الطريقة المثلى في تفسيره القرآن-: «لتفسير القرآن الكريم طريقتان:

الطريقة الأول: وتحدث فيها عن التفسير التحليلي.

الطريقة الثانية: أن يعمد المفسر أولا إلى جميع الآيات التي وردت في موضوع واحد، ثم يضعها أمامه كمواد يحللها ويفقه معانيها، ويعرف النسبة بين بعضها وبعض، فيتجلى له الحكم ويتبين المرمى الذي ترمى إليه الآيات في الموضوع..» [355].

ثم يبيّن نجاعة هذه الطريقة بقوله: «وهي تمكن المفسر من علاج موضوعات عملية كثيرة، كل موضوع منها قائم بنفسه لا يتصل بسواه...فيعرف الناس موضوعات القرآن بعناوينها الواضحة، ويعرفون مقدار صلة القرآن بحياتهم الواقعية: القرآن وأصول التشريع، القرآن والعلم، القرآن

---

[353]- المصدر نفسه، ص:245.

[354]- المصدر نفسه، ص: 184.

[355]- محمود شلتوت: القرآن والقتال ضمن كتاب"من هدي القرآن"، ص:323.

والأسرة...الخ»[356].

و يقول أيضا: «وأرجو أن يجد الناس في هذا النحو الجديد من التفسير ما تصبو إليه نفوسهم من تعرف هداية القرآن، والوقوف على أسراره وحكمه...» [357].

والظاهر مما كتبه الشيخ شلتوت أنه كان يدرك الألوان الثلاثة للتفسير الموضوعي، لكنه لم يقتصر اصطلاحيا إلا على لونين فقط هما: الموضوع القرآني، والسورة القرآنية.

أما عن الموضوع القرآني فقد مرّ بنا نصه الدال على ذلك؛ بل إنه في رسالته "الوصايا العشر" يصرّح بذلك؛ إذ يقول: «ولما تضمنته هذه الوصايا العشر، اخترت آياتها الثلاث لأن تكون أول أحاديثنا في التفسير الموضوعي للقرآن الكريم»[358].

وأما عن السورة القرآنية فيقول فيها: «وقد سلكنا بهذا الصنيع سبيلا غير التي ألفها الناس في التفسير، لنضع بين يدي القارئ الموضوعات التي عرضت لها السورة فيما قبل هذه الآية[359]، والموضوعات التي عرضت لها فيها بعدها، في سلك واحد يجمع بين حبات كل جانب، ويعطي للناظر إليه صورة كاملة لجميع ما احتوت عليه تلك السورة الكريمة..» [360]، بل وتناولها بتعريف أشبه بتعريف الشيخ محمد عبد الله دراز[361]، والشيخ محمد الغزالي[362]، وهو أن التفسير الموضوعي للسورة هو الذي يتناول السورة كلها تناولا «يؤكد آخرها أولها، ويؤسس أولها لآخرها، وتصير السورة كتلة واحدة...» [363].

وأما عن المصطلح القرآني، فلم يكن واضحا لديه، بقدر الموضوع القرآني، وإن لم يخل تفسيره من إشارات لذلك؛ كتناوله لمصطلح الفاحشة ومشتقاتها[364]، ومصطلح السؤال في القرآن الكريم[365].

---

(356)- المصدر نفسه، ص:324.

(357)- المصدر نفسه، ص:325.

(358)- محمود شلتوت: الوصايا العشر، ص:12.ط3، دار الشروق 1980م.

(359)- هي آية البر في سورة البقرة: الآية177.

(360)- محمود شلتوت: تفسير القرآن الكريم، ص:66.

(361)- محمد عبد دراز: النبأ العظيم، ص:176، 192، ط4، دار القلم ،1977م..

(362)- محمد الغزالي: نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم، الجزائر ، منشورات بغدادي ، د.ت، ص:5.

(363)- محمود شلتوت: تفسير القرآن الكريم، ص:46.

(364)- ينظر: المصدر نفسه، ص:327-328.

(365)- المصدر نفسه، ص:415-420.

وقد نبه إلى أن الشيخ شلتوت من أوائل من دعوا وكتبوا في طريقة التفسير الموضوعي محمود بسيوني فوده : «وفي عصرنا الحاضر جاء فارس هذه الحلبة فضيلة الأستاذ الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر-رحمه الله-، وقد بدأ بإصدار رسالتين بعنوان"القرآن والمرأة" و"القرآن والقتال"، وكان ذلك نواة لأبحاث مستقلة ألفها فيما بعد، وسار على منواله كثير من علماء الدراسات القرآنية»[366].

ويقول عنه أيضا محمد علي الحسن: «كل هذا لم يمنع من ظهور علماء قاموا بتقديم أعمال مضيئة في التفسير الموضوعي: منهم الشيخ محمود شلتوت الذي فسر الأجزاء العشرة الأولى ثم أفرد آيات السلم والقتال بكتيب خاص...» [367].

وكذلك شهد له بذلك مصطفى رجب[368]، وغيره كثير[369]، وأهم مفردات المنهج الموضوعي في تفسير الشيخ محمود شلتوت ما يلي :

الفرع الأول: اعتماد التناسب وأنواعه.

لا شك أن علم التناسب يكشف عن وجه من وجوه إعجاز القرآن الكريم، بما يساعد على إبراز ما بين أجزاء القرآن من ترابط وتناسق-كما علمنا من قبل-، وبما يجمعه من شتات الموضوع الواحد في طول القرآن الكريم وعرضه.

ولا غرو بعد هذا أن يعتمده الشيخ في تفسيره الموضوعي، وأن يكثر من ذكر الروابط الوشائجية بين آيات القرآن وسوره، على أوجه متنوعة، وأنواع كثيرة، بعضها متفق عليها، والبعض الآخر يعد مما جدّ به الشيخ واستحدثه من أنواع المناسبات كما سنعلم.

تنوعت هذه الأوجه وتوزعت في تفسيره؛ فمنها التناسب بين الآيات[370]، والتناسب بين

---

[366]- محمود بسيوني فوده: التفسير الموضوعي: نشأته وأطواره ومعالمه، مقال بمجلة كلية الشريعة وأصول الدين أبها،العدد 3، 1401هـ، ص:79.

[367]-محمد علي حسن:أصول المنهج في التفسير الموضوعي:مقال بمجلة كلية الآداب بجامعة الإمارات،العدد1989،5م،ص:288.

[368]- مصطفى رجب: التفسير الموضوعي وحاجة عصرنا إليه، مقال بمجلة المنهل السعودية، عدد صفر 1421هـ، مايو 2000م، ص:24.

[369]- علي حسن العريض: تاريخ علم التفسير ومناهج المفسرين، دار الاعتصام ، د.ت، ص:96-97.

[370]- ينظر: محمود شلتوت: تفسير القرآن الكريم، ص:25، 26، 55، 62، 115، 165، 167، 174، 191، 195، 199، 226، 258، 272، 278، 340، 367، 373، 390، 393، 484، 497.

الألفاظ والكلمات[371]، والتناسب بين الآيات وفواصلها[372]، وحتى بين الفاصلة وموضوع السورة[373]، وبين آيات ونظائرها في سور أخرى[374]، وبين مقاطع السورة[375]، وبين مقاطع السورة واسمها[376]، وبين مقاطع السورة وآياتها[377]، وبين المقطع والمطلع[378]، وبين المقاطع والكلمة الواحدة[379]، وبين المقطع والخاتمة[380]، وبين المقطع وموضوع السورة[381]،وبين مقاطع السورة والأهداف[382]، وبين مطلع السورة وآياتها[383]، وبين المطلع والموضوع[384]، وبين المطلع والخاتمة[385]، وبين المطلع والهدف[386]، وبين مطالع السور وهذا نهج جديد[387]، وبين التسمية والموضوع[388]، وبين المنهج والخاتمة[389]، وبين الخاتمة والموضوع[390]، وبين أهداف السورة وواقع التنزيل[391]، وبين موضوع السورة وواقع التنزيل[392]، وهذان نهجان جديدان لدى الشيخ، وبين

---

(371)- المصدر نفسه، ص:69، 111، 135، 212، 235، 244، 251، 339، 386، 442، 478،474، 493.

(372)- المصدر نفسه، ص :119، 178، 238، 258، 269، 271، 436، 444، 448، 483، 498.

(373)- المصدر نفسه، ص:180.

(374)- المصدر نفسه، ص:103، 113، 117، وغيرها مما سنبيّنه لا حقا.

(375)- المصدر نفسه، ص:63-64، 127، 159، 165، 169، 197، 203، 225، 288، 338، 503.

(376)- المصدر نفسه،ص:78، 206-207، 380.

(377)- المصدر نفسه،ص:141، 297، 365، 368، 378.

(378)- المصدر نفسه، ص:145، 296، 401، 414.

(379)- المصدر نفسه، ص:362.

(380)- المصدر نفسه،ص: 283، 309.

(381)- المصدر نفسه، ص:64، 114، 164، 464، 468.

(382)- المصدر نفسه، ص:79، 86، 137.

(383)- المصدر نفسه، ص:357، 386، 433، 504.

(384)- المصدر نفسه، ص:19، 188، 295.

(385)- المصدر نفسه، ص:66، 277، 303، 359، 388، 403، 506.

(386)- المصدر نفسه، ص:352.

(387)- المصدر نفسه، ص:136، 285، 288، 21-23.

(388)- المصدر نفسه،ص: 76-77، 399، 463.

(389)- المصدر نفسه، ص:287.

(390)- المصدر نفسه، ص:128، 129، 279، 281، 283، 403.

(391)- المصدر نفسه، ص:45، 77، 328، 400، 412، 486.

(392)- المصدر نفسه، ص:217-218، 454، 488.

وسط السورة وأغراضها، وهذا نهج جديد أيضا[393]، وبين مضمون سورتين متجاورتين[394].

وأمثلة ذلك في تفسيره كثيرة، ولكن نقتصر على أهمها ونؤجل الأخرى في الحديث عن ملامح الوحدة الموضوعية في تفسيره.

من أمثلته بيانه التناسب[395] بين فاتحة السورة وخاتمة ما قبلها في تفسيره لسورة الفاتحة؛ حيث ربط بين الآية الأخيرة لسورة الفاتحة التي تتحدث عن طوائف الناس أمام الحق (المنعم عليهم، المغضوب عليهم، الضالين) وبين الآيات الأولى لسورة البقرة التي تتحدث عن طوائف ثلاثة أخرى (المؤمنون، الكافرون، المنافقون)، وفسّر الطوائف الأولى بالطوائف الثانية بناء على هذا التناسب[396].

ومن لطائف التناسب بين الآيات ما ذكره في سورة الأعراف رابطا بين قوله تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ .....﴾[397]، و بين قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ .....﴾[398] بقوله: «....وليس من ريب في أن ثلاثتها (الأكل والشرب ولزينة) ضرورة بشرية، وعماد قوى لقيام الإنسان بواجبه في هذه الحياة، وهداية الله فيها كهدايته في كل شيء... الاقتصاد مع مراعاة الأحوال والظروف، أما الحرمان والإسراف فكلاهما ينكره الله ويمقته ولا يرضاه، وقد كشف عن ذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ﴾ كما أرشد من الآيات نفسها إلى ما حرمه الله حقيقة ...بقوله: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾[399]»[400].

ومن التناسب بين الآيات وفواصلها ما فسّر به أول سورة الأنفال في قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾[401]، بقوله-موضحا العلاقة بين الآية وفاصلتها-: «أما تعليق هذه الأوامر الثلاثة بقوله تعالى: ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ فذلك أن الإيمان يقضي بكل واحد من هذه الأمور...، و قد أوجب الله

---

[393]- المصدر نفسه، ص:46، 66.

[394]- المصدر نفسه، ص:288-290، 453، 456، 466، 450.

[395]- من تسمياته عند الشيخ التناسق: ينظر: المصدر نفسه، ص:388.

[396]- المصدر نفسه، ص:32.

[397]- سورة الأعراف: الآية 31.

[398]-سورة الأعراف: الآية32.

[399]- سورة الأعراف الآية: 33.

[400]-محمود شلتوت: تفسير القرآن الكريم، ص:367-368.

[401]- سورة الأنفال: الآية01.

تعالى التقوى، وإصلاح ذات البين، وإطاعته، وإطاعة رسوله، فالإخلال بواحد منها إخلال بتقديس الأوامر، والإخلال بتقديس الأوامر إخلال بتصديق الأمر، وبعظمته، وهو إخلال بالإيمان....» [402].

ومن أوجه التناسب بين منهج السورة وخاتمتها، ما ذكره في التعريف بمنهج سورة الكهف في بيان سر افتتاحها بالحمد، وأنها تقر بذلك التربية التشريعية، حيث يبين الصلة بين منهج مقاطعها القصصية التشريعية وبين خاتمتها بقوله: «...وتذكر قصة الفتية الذين آمنوا بربهم، وقصة موسى وفتاه مع العبد الصالح، وقصة ذي القرنين... وكل هذه القصص مما لا سبيل إلى معرفته والاعتبار بمغزاه إلا عن طريق الوحي، وإنزال الكتاب، ثم يكون ختام السورة مقررا منهجها الخاص، بنوع التربية ﴿أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾[403]. [404].

ومن أمثلة التناسب بين المقاطع القرآنية في تفسيره وأروعها، ما ربط بين الآيات التي تعالج الجهاد، وبين الآيات التي تعالج انحراف أهل الكتاب ربطا ينتقل فيه من الأعلى إلى الأدنى أو من المعنى العام إلى المعنى الخاص؛ إذ يقول في ذلك: «وبعد أن عالجت السورة- النساء - في هذه الآيات وسائل الدفاع من الوجهة المادية على النحو الذي ذكرنا، خلصت إلى نوع آخر من العلاج في ناحية الحرب الفكرية.....وفي هذا الجانب تعرض السورة للكثير من فتن أهل الكتاب الدينية، وأساليبهم في صرف المؤمنين عن حق الله وهدايته» [405].

بل إنه يرجح ويختار المعاني القرآنية للآيات بناء على التناسب بينهما، كاختياره أن السؤال عن الأنفال سؤال عن كيفية قسمتها، وعمن ترجع إليه قسمتها، لا سؤال عنها من جهة حلها أو حرمتها معتمدا في ذلك على قوله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾[406]؛ إذ يقول: «يشير(هذا) إلى أنهم ارتكبوا ما ينافي التقوى، ووقع بسببه نزاع فيما بينهم، وخرجوا عن طاعة الله والرسول، ولا شك أن السؤال عن حلها أو حرمتها ليس مما ينافي التقوى، ولا مما يقع بسببه...» [407].

---

[402]- تفسير القرآن الكريم، ص:436.

[403]- سورة الكهف: الآية110.

[404]-محمود شلتوت: تفسير القرآن الكريم، ص:287.

[405]- المصدر نفسه،ص:203.

[406]- سورة الأنفال: الآية01.

[407]-محمود شلتوت: تفسير القرآن الكريم، ص:429.

ثم يقسّم الشيخ البر في القرآن الكريم إلى ثلاثة أنواع جامعة، يكتمل بها موضوع البر تام العناصر، وهي: البر في العقيدة[420]، والبر في العمل[421]، والبر في الخلق[422].

ومن ذلك أنه سلك نفس المنهج مع موضوعات عضوية داخل السورة، كحديثه عن النجوى في سورة النساء التي لها صلة هامة بالمقطع الذي وردت فيه، وهو التمرد على التشريع عن طريق النجوى المتحايلة على الحق، يورد في ذلك بالحديث عن النجوى في القرآن الكريم مبينا-من خلال مواضعها في القرآن الكريم- خيرها وشرها، ولا بأس -بعد ذلك- أن يستدل بالأحاديث المروية عن النبي ﷺ مدعمًا بها الموضوع المدروس، كخطوة مرحلية في التفسير الموضوعي، ومستنتجا بها بعض الدروس والعبر في ذلك «كالتحدث بلغة أجنبية مع حضرة ثالث لا يعرفها، فالحكم هو الحكم، والإثم هو الإثم»[423].

و قل مثل ذلك في موضوعات: البر بالوالدين[424]، والعدل في القرآن الكريم[425]، والوزن والميزان[426]، ورعاية مال اليتيم[427]، والعناية بالنساء[428]، وغير ذلك كثير جدا في تفسيره[429].

إن الشيخ شلتوت يؤكد لنا-من خلال هذه السمة المنهجية-أن الموضوع لا يذكر بتمامه في السورة القرآنية الواحدة؛ وإنما يستوفي عناصره في باقي سور القرآن الكريم، توضح معالمه-وإن كان واضحا في ذاته-؛ بله وهو القائل-في الحديث عن أخذ الحيطة للمؤمنين في القتال-: «وفي سبيل شرع القتال، وحث عليه في كثير من سوره»[430].

---

(419)- محمود شلتوت: تفسير القرآن الكريم، ص:66-67.

(420) -المصدر نفسه، ص:68-70.

(421)- المصدر نفسه، ص:70-71.

(422) -المصدر نفسه، ص:72-73.

(423)- المصدر نفسه، ص:177-178.

(424)- المصدر نفسه، ص:163-164، 315-320.

(425)- المصدر نفسه، ص:341-343.

(426)- المصدر نفسه، ص:361-363.

(427)- المصدر نفسه، ص:144-149، 334-338.

(428)- المصدر نفسه، ص:132-136.

(429)- ينظر في المصدر نفسه، ص:21-23، 28، 56، 66-68، 71، 72، 103، 113، 117، 120، 158، 163، 189، 193، 195-196، 200، 208، 225، 236، 259، 270، 284، 301، 313، 316-319، 355، 370، 389، 406، 431، 433، 457، 461، 489، 494، 499.

(430)- المصدر نفسه، ص:192.

و ذلك راجع كما قال محمد محمود حجازي إلى خاصيتين مترابطتين فيما بينهما: «تنجيم الوحي في ثلاث وعشرين سنة، ووحدته الكاملة في التاريخ، والتشريع، والتربية السليمة»[431].

و إنما قلنا: وإن كان واضحا في ذاته؛ لأن الموضوع قد يتحدد في القرآن الكريم، ويكون بذلك مظهر من مظاهر كمال الوحدة الموضوعية وتناسقها في جميع السور التي تكرر فيها الموضوع[432]، وإن كان أصلها واضحا من خلال السورة الواحدة[433].

الفرع الثالث: بين الترتيب النزولي والترتيب المصحفي.

رأينا من قبل أن الترتيب النزولي يحقق وحدة كاملة في التاريخ، والتشريع، والتربية «حتى لا يقع (المفسر) في خطا اعتماد آية سابقة النزول في تدرج التشريع مع أنه قد نزل بعدها تكميل أو بيان كاشف لأحكام المرحلة اللاحقة.... وحتى يكشف الباحث عن التدرج في الخطوات التربوية، والتاريخية، والتكرير في استعمال العلاج التربوي... »[434].

يرى الشيخ شلتوت بدءا أن الترتيب المصحفي كان توقيفا ووحيا، وهو الذي استقر عليه المسلمون، وهو الذي يجب أن يتبع في عملية التفسير لحكم وغايات في ذلك[435].

يقول الشيخ شلتوت: «ونحن نؤمن من بعد دراسة كتاب الله أنه في تفصيل سوره وآياته، وترتيب سوره وآياته، لم يكن أثرا لاجتهاد مجتهد، وإنما كان توقيفا ووحيا أمر به النبي ﷺ ونفذه قبل أن يلحق بالرفيق الأعلى»[436].

ويؤكد الشيخ شلتوت أن الترتيب المصحفي هو الأولى والأوفق في التفسير الموضوعي، ويبرر ذلك بقوله: «والواقع أن للترتيب المصحفي شأنا آخر غير شأن ما يدعو إلى النزول، ويتصل الشأن بتأليف الكتاب بعد مراحل الدعوة التي استجاب لها فريق كبير استقرت أقدامهم، وتكونت جماعتهم، وصار الكتاب بهم كتاب أمة، ترجع إليه في حفظ عقائدها، واستخراج أحكامها ومبادئ حياتها الفردية والاجتماعية، وليس من شك في أنه وضع جديد يستدعي ترتيبا غير ترتيب النزول الذي كان

---

(431)- محمد محمود حجازي: الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم، ص:79.

(432)- المرجع نفسه، ص:87، وينظر : محمد رأفت سعيد : الترتيب والتناسب في آيات القرآن وسورة ودلائل الإعجاز،ص: 24.

(433)-ينظر: محمود شلتوت: تفسير القرآن الكريم، ص:415.

(434)- عبد الرحمان حنبكة الميداني: قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عز وجل، ص:152.

(435)- يراجع: الزركشي: البرهان في علوم القرآن: 258/1 وما بعدها. والسيوطي: الإتقان في علوم القرآن: 179/1 وما بعدها. و أحمد حسن فرحات: في علوم القرآن، عمان ، دار عمار ،2001م، ص:48-97.

(436)- محمود شلتوت: تفسير القرآن الكريم، ص:465.

يراعى فيه حالة المدعوين ومعالجتهم لقبول الدعوة، وهو الترتيب الذي نقل به القرآن إلينا نقلا متواترا عن النبي ﷺ والذي يظهر به القرآن أنه كتاب المؤمنين»[437].

إذن فظاهر من كلام الشيخ أنه يحدد الترتيب المصحفي في المعالجة القرآنية لأحوال المسلمين، ولا يعني هذا أنه نفى الترتيب النزولي، وإنما يعتمده في معالجة حال المشركين قبل تمام الوحي لقبول الدعوة الإسلامية.

ولذا نراه يكثر من انتهاج الترتيب المصحفي في التفسير الموضوعي، من غير أن يغفل الترتيب النزولي الذي يراه متمما للفائدة، ومستوفٍ لمراحل الدعوة الإسلامية.

مثال الأول أنه اعتمده في الحديث عن عناية القرآن الكريم ببر الوالدين؛ فبدأ بسورة البقرة، ثم النساء، ثم الأنعام، ثم الإسراء، ثم العنكبوت، ثم لقمان، ثم الأحقاف[438]، وفي الحديث عن نعمة الله عز وجل لعباده بالتمكين في الأرض[439]، وفي تصوير حيرة الكافرين بعد الموت[440]، وفي ذكر أوصاف المؤمنين[441]،وكذلك في موضوع السكينة في القرآن[442]، وفي غيرها[443].

ومن أمثلة الترتيب النزولي ما اعتمده في الحديث عن عناية القرآن باليتامى[444]، وعن تقرير الجو الذي نزلت فيه سورة التوبة، فبالرغم من أنه ذكر ترتيبها المصحفي إلا أنه عقّب ذلك بالحديث عن الترتيب النزولي وأفاض الحديث في ذلك[445].

يقول مثلا-في الحديث عن المهمة التاريخية، والجهادية المرحلية التي قامت بها كل من سورتي الأنفال والتوبة-: «ولعل قيام السورتين بالإرشاد إلى هذه المراحل كان هو الحكمة في وضعها مقترنتين في الترتيب المصحفي، ولعل قيام سورة التوبة بمهمة التصفية النهائية بين المؤمنين والطوائف المعارضة... يحقق أنها آخر سورة أحكامية نزلت من القرآن الكريم، وأنه لم يترل بعدها سورة كاملة

---

(437)- المصدر نفسه، ص:292-293. ويراجع: عدنان محمد زرزور: مدخل إلى تفسير القرآن وعلومه، ص:140-141.

(438)- محمود شلتوت: تفسير القرآن الكريم، ص:163-164، 315-319.

(439)- المصدر نفسه، ص:355.

(440)- المصدر نفسه، ص:369-372.

(441) - المصدر نفسه، ص:437-438.

(442)- المصدر نفسه، ص:494.

(443)-.المصدر نفسه، ص:415-418، 413

(444)- المصدر نفسه، ص:144-146، 336، 338.

(445)- المصدر نفسه، ص:452-462

يراعى فيه حالة المدعوين ومعالجتهم لقبول الدعوة، وهو الترتيب الذي نقل به القرآن إلينا نقلا متواترا عن النبي ﷺ والذي يظهر به القرآن أنه كتاب المؤمنين»[437].

إذن فظاهر من كلام الشيخ أنه يحدد الترتيب المصحفي في المعالجة القرآنية لأحوال المسلمين، ولا يعني هذا أنه نفى الترتيب النزولي، وإنما يعتمده في معالجة حال المشركين قبل تمام الوحي لقبول الدعوة الإسلامية.

ولذا نراه يكثر من انتهاج الترتيب المصحفي في التفسير الموضوعي، من غير أن يغفل الترتيب النزولي الذي يراه متمما للفائدة، ومستوفٍ لمراحل الدعوة الإسلامية.

مثال الأول أنه اعتمده في الحديث عن عناية القرآن الكريم ببر الوالدين؛ فبدأ بسورة البقرة، ثم النساء، ثم الأنعام، ثم الإسراء، ثم العنكبوت، ثم لقمان، ثم الأحقاف[438]، وفي الحديث عن نعمة الله عز وجل لعباده بالتمكين في الأرض[439]، وفي تصوير حيرة الكافرين بعد الموت[440]، وفي ذكر أوصاف المؤمنين[441]،وكذلك في موضوع السكينة في القرآن[442]، وفي غيرها[443].

ومن أمثلة الترتيب النزولي ما اعتمده في الحديث عن عناية القرآن باليتامى[444]، وعن تقرير الجو الذي نزلت فيه سورة التوبة، فبالرغم من أنه ذكر ترتيبها المصحفي إلا أنه عقّب ذلك بالحديث عن الترتيب النزولي وأفاض الحديث في ذلك[445].

يقول مثلا-في الحديث عن المهمة التاريخية، والجهادية المرحلية التي قامت بها كل من سورتي الأنفال والتوبة-: «ولعل قيام السورتين بالإرشاد إلى هذه المراحل كان هو الحكمة في وضعها مقترنتين في الترتيب المصحفي، ولعل قيام سورة التوبة بمهمة التصفية النهائية بين المؤمنين والطوائف المعارضة... يحقق أنها آخر سورة أحكامية نزلت من القرآن الكريم، وأنه لم يترل بعدها سورة كاملة

---

(437)- المصدر نفسه، ص:292-293. ويراجع: عدنان محمد زرزور: مدخل إلى تفسير القرآن وعلومه، ص:140-141.

(438)- محمود شلتوت: تفسير القرآن الكريم، ص:163-164، 315-319.

(439)- المصدر نفسه، ص:355.

(440)- المصدر نفسه، ص:369-372.

(441) - المصدر نفسه، ص:437-438.

(442)- المصدر نفسه، ص:494.

(443)-.المصدر نفسه، ص:415-418، 413

(444)- المصدر نفسه، ص:144-146، 336، 338.

(445)- المصدر نفسه، ص:452-462

إلا سورة النصر...»[446].

وقد يغفل الشيخ عن الترتيب المصحفي أو النزولي، ولا يراعيهما في تفسيره، وهذا نادر، كحديثه عن موضوع الصد عن سبيل الله[447].

الفرع الرابع: الموازنة بين السور القرآنية المكية والمدنية.

وهذا منهج أصيل من مناهج الشيخ شلتوت في التفسير الموضوعي عموما، وفي بيان الوحدة الموضوعية للسورة القرآنية خصوصا، ويتخذ الشيخ في ذلك طرقا عدة، ويعتمد الموازنة في أكثر من وجه؛ يعتمده في السورة القرآنية في أكثر من وجه؛ فأحيانا يوازن بين سورتين فقط ليستنبط منها الموضوع المحدد لإحدى السورتين[448]، إما أن تكون السورتان متجاورتين[449]، أو غير متجاورتين[450]، وأحيانا يوازن بين سورة معينة وبين سور عديدة سبقتها في الترتيب المصحفي[451]، إما أن تكون هذه السور مكية ومدنية[452]، وإما أن تكون الموازنة بين سور مدنية فقط[453]، أو بين سورتين مكيتين[454]؛ بل وبين سور مكية عديدة اشتركت في مطلع واحد، والموازنة بين مناهجها[455]، ليستخلص بعد سلسلة من الموازنات موضوع السورة[456].

ولا يقتصر الشيخ في منهج الموازنة بين السور القرآنية فحسب، وإنما يتعدى ذلك إلى الموازنة بين الموضوعات العضوية لكل سورة[457]، وبين مناهج السور وأسلوبها[458]، بل إلى الموازنة بين المصطلحات القرآنية[459]، والأساليب كأسلوب النداءات في القرآن الكريم[460]، بل ويتعدى ذلك

---

(446)- المصدر نفسه، ص:453

(447)- المصدر نفسه، ص:379

(448)- المصدر نفسه، ص:136-137.

(449)- المصدر نفسه، ص:288-292.

(450)- المصدر نفسه، ص:136-137، 399، 452.

(451)- المصدر نفسه، ص:274-282.

(452)- المصدر نفسه، ص:398-400، 450، 454، 460.

(453)- المصدر نفسه، ص:218-219، 274، 281، 493.

(454)- المصدر نفسه، ص:288-292.

(455)- المصدر نفسه، ص:21-25، 285-288.

(456)- المصدر نفسه، ص:219، 293، 294، 400، 464.

(457)- المصدر نفسه، ص:288-292.

(458)- المصدر نفسه، ص:285-288.

(459)- المصدر نفسه، ص:418-420.

إلى الموازنة بين الآيات القرآنية لنفس السورة لاستنباط المعاني القرآنية المختارة من خلالها[461].

من أمثلة الموازنة بين السورتين المتجاورتين ما ذكره من الموازنة بين سورتي الأنفال والتوبة؛ إذ يذكر من خلال الموازنة أوجه الاتفاق والاختلاف بينهما؛ إذ يقول: «وقد جاءت سورتا الأنفال والتوبة تعالجان بعض النواحي الحربية التي ظهرت إثر بعض الغزوات، وقد تضمنتا كثيرا من التشريعات الحربية...» [462].

ثم يبين أوجه الاختلاف بقوله: «وبينما نرى سورة الأنفال تشير إلى هذه الأحداث الأولى (الهجرة)، نرى سورة التوبة تشير إلى مشاهد النصر، وتخص منها يوم حنين بالذكر....كما تذكر صراحة حادث الهجرة....، ثم تصف مواقف المشركين أهل الكتاب، وتصف بالتفصيل مواقف المنافقين...» [463].

ثم يقول: «ولعل قيام السورتين بالإرشاد إلى هذه المراحل كان هو الحكمة في وضعهما مقترنين في الترتيب المصحفي»[464].

ومن أمثلة الموازنة بين سورة واحدة، وسور عديدة سبقتها في الترتيب المصحفي، والتي تساعد على كشف موضوع السور ومنهجها ما ذكره في تفسيره لأول سورة الأنعام، بقوله تحت عنوان "منهجنا في دراسة السورة" : «...ومن هنا رأينا زيادة في تشخيصها وتوضيحا لمنهجها أن نعود فنضع أمام القارئ صورة إجمالية لما عرضت له كل سورة من السور الأربع المدنية السابقة عليها في الترتيب، ثم نضع بإزاء ذلك صورة إجمالية لما عرضت هي له، وبذلك يتضح سبيل الموازنة بين المنهجين»[465].

و بعد أن يبرز اشتراك هذه السور الأربع المدنية في تنظيم شئون المسلمون، يعقب ذلك بإبراز تميز سورة الأنعام عن هذه السور؛ إذ يقول: «وسورة الأنعام لم تعرض لهدف من الأهداف الأصلية التي تميزت بها السور الأربع المدنية قبلها... إنما نجد الحديث فيها يدور بشدة حول العناصر الأولى

---

[460]- المصدر نفسه، ص:92، 103، 128، 187، 191، 219، 268، 443، 448 ليشكل من خلالها ما يسمى بالوحدة الأسلوبية كما سنبين ذلك لاحقا،ص:193.

[461]- المصدر نفسه، ص:372-374.

[462]- المصدر نفسه، ص:399.

[463]- المصدر نفسه، ص:453.

[464]- المصدر نفسه، ص:293.

[465]- المصدر نفسه، ص :274.

للدعوة...»[466].

ومن أمثلة الموازنة بين النداءات، ما ذكره من النداءات الواردة في سورة المائدة، وبعد تحليله لما احتوته يبرز تميز النداء السادس منها، الذي هو في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[467] بقوله تحت عنوان«ميزة هذا النداء على ما قبله وما بعده من نداءات السورة»: «وإذا قورن هذا النداء بغيره من النداءات التي وردت في هذه السورة، فإنه يظهر له مكانة خاصة تأخذ به عن مستوى النداءات كلها ....ذلك أن النداءات السابقة عليه، واللاحقة له تتعلق كل واحد منها بناحية معينة من نواحي التشريع....أما هذا النداء فإنه يتعلق بملاك الأمر كله، وأساس الامتثال في جميع النداءات...وهو تقوى الله وابتغاء الوسيلة إليه، والجهاد في سبيله»[468].

ومن أمثلة الموازنة بين الآيات للسورة الواحدة ما ذكره من الموازنة بين الآيات التي تتحدث عن المؤمنين، والآيات التي تحدثت عن الكافرين ومصيرهم، ثم يصل إلى المغزى من خلال هذه الموازنة بقوله تحت عنوان «الموازنة بين مصير المؤمنين ومصير الكافرين»: «ولا شك أن للموازنة على هذا النحو تأثيرا عظيما؛ فإن الإنسان مطبوع على حب الخير لنفسه، وعلى الرغبة في إبعاد السوء عنها، وإذا علم أن أحدا فاز أو سيفوز بالخير دونه، تحركت في نفسه عوامل الغيرة والتنافس، وكذلك إذا شعر بأن أحدا سينجو من السوء حين يقع هو فيه، فإنه يفكر في ذلك تفكيرا يسوقه إلى شيء من الحذر....»[469].

الفرع الخامس: اعتماد السياق والاستقراء في تفسيره.

لا شك أن مراعاة السياق للآية وللجملة في موقعيهما من الضوابط المهمة في صحة تفسير القرآن عموما، وفي التفسير الموضوعي خصوصا، فيجب «أن تربط الآية بالسياق الذي وردت فيه، ولا تقطع عما قبلها وما بعدها، ثم تجرّ جرّا، لتفيد معنى، أو تؤيد حكما لا يقصده قاصد»[470].

---

[466]- المصدر نفسه،ص282 .

[467]- سورة المائدة: الآية35.

[468]-محمود شلتوت: تفسير القرآن الكريم،ص:268-269.

[469]- المصدر نفسه، ص:372-373.

[470]- يوسف القرضاوي: كيف نتعامل مع القرآن العظيم، ص:238.

يقول الزركشي: «الرابع: دلالة السياق: فإنها ترشد إلى تبيين المحمل، والقطع بعدم احتمال غير المراد..... وهو من أعظم الدلالة على مراد المتكلم: فمن أهمله غلط في نظره...» [471].

ولهذا اعتمده الشيخ شلتوت كثيرا في تفسيره؛ لأنه الأنسب في التفسير الموضوعي بما ينبه على عموم الآيات، وانسجامها مع غرض السورة، أو موضوعها، فبه رد أحكاما شرعية غير منسجمة مع السياق[472]، وبه أيضا ربط بين الآيات المتجاورة[473]؛ بل وشرح المفردات بما يوافق السياق القرآني[474]، ورجّح به بعض المعاني القرآنية المختارة[475].

من أمثلة ذلك أنه رد استنباط الفقهاء تحريم الكلام في الصلاة، أو وجوب السكوت عند الخطبة، أو تحريم القراءة خلف الإمام، من قوله تعالى:﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[476].

فهو لا يرى ذلك منسجما مع سياق السورة كلها؛ إذ يقول عن هذه المسائل الفقهية المستنبطة: «فإنها على أي وجه من هذه الوجوه لا تلتئم مع السياق، ولا مع وقت النزول، والقراءة خلف الإمام سرا أو جهرا من المسائل الجزئية التي تختص بالمؤمنين في صلاتهم، ويبعد كل البعد أن يوكل بيان عدد الركعات و الكيفيات الأولى للصلاة إلى بيان الرسول عن طريق الوحي الباطني دون أن يتعرض القرآن لشيء من ذلك، ثم يعنى القرآن بخصوص القراءة خلف الإمام سرا أو لا سرا ولا جهرا !! فما أبعد هذه الآية عن هذه المسألة، وما أبعد هذه السورة في موضوعها وفي وقت نزولها عن الاهتمام بمثل هذا !! »[477].

وأما عن الاستقراء فهو عمدة التفسير الموضوعي بما يجمعه من آيات في القرآن الكريم التي تعالج الموضوع نفسه.

وقد اعتمده الشيخ محمود شلتوت كثيرا ، و بنى عليه منهج تجميع آيات الموضوع

---

[471]- بدر الدين الزركشي: البرهان في علوم القرآن: 2/200-201.

[472]- محمود شلتوت: تفسير القرآن الكريم، ص:181-182، 392.

[473]- المصدر نفسه،ص:62، 219، 301، 438.

[474]- المصدر نفسه، ص:128.

[475]- المصدر نفسه، ص:332، 411، 422، 424، 483.

[476]- سورة الأعراف: الآية204.

[477]- محمود شلتوت: تفسير القرآن الكريم، ص:392-393.

الواحد في طول القرآن الكريم وعرضه[478]، أو لتحديد موضوعات عضوية وردت في سورة واحدة[479]،أو لتجميع نداءات السورة داخلها فقط[480]، أو داخلها وخارجها معا[481]، أو حتى لاستقراء ما يتعلق بالموضوعات القرآنية كاستقراء التاريخ وسنن الاجتماع البشري[482].

وأحيانا يكون هذا الاستقراء كاملا، كاستقرائه لمصطلح السؤال في القرآن الكريم[483]، وأحيانا أخرى يكون غير كامل، كعدم تتبعه لكل الآيات التي تتحدث عن الصد عن سبيل الله، بدليل قوله بعد أن أورد مجموعة من الآيات في ذلك-: «إلى غير ذلك من الآيات»[484].

والشيخ –بعد ذلك-يستخدم تعبيرات عدة للدلالة على تتبعه منهج الاستقراء، كالتصريح بالعدد مثل قوله: «وإن المتتبع للنداءات الإلهية في القرآن يجدها ...قد بلغت نداءاتهم (المؤمنين) تسعة وثمانين نداء، وأنه لم يقع نداء واحد منها في آية مكية»[485]، وكقوله: «والمعنى في هذا وأمثاله وهو كثير في القرآن »[486]، وكقوله: «ونحب أن نضع هذه النداءات جميعها أمام المسلم»[487]، وكقوله: «ومن يتتبع آيات القرآن الواردة في القتال يجدها جميعا واردة على هذا المبدأ: تقر أن سبب القتال في الإسلام ينحصر في رد العدوان»[488].

وكقوله عن سر تعلق النهي بالقرب من مال اليتيم: «وضابطه بالاستقراء؛ أن كل منهي عنه، وكان من شأنه أن تميل إليه النفوس ...جاء النهي فيه عن "القربان"»[489] ، وكقوله: «استطراد في تتبع السؤال والجواب»[490]، وكقوله عن آيات المشركين في سورة التوبة: «وقد استغرقت هذه

---

(478)- المصدر نفسه، ص:49، 66-67، 184، 316، 325، 341، 350، 351، 409، 423، 426.

(479)- المصدر نفسه، ص:451-452، 470، 482.

(480)- المصدر نفسه، ص:220-221.

(481)- المصدر نفسه، ص:99، 190، 335، 417.

(482)- المصدر نفسه، ص:126، 180.

(483)- المصدر نفسه،ص:415-418، ومحمد فؤاد عبد الباقي: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن،ص:336-338.

(484)- المصدر نفسه، ص:379، و المعجم المفهرس: لألفاظ القرآن الكريم، ص:403-404.

(485)- المصدر نفسه،ص:98-99.

(486)- المصدر نفسه،ص:184.

(487)- المصدر نفسه، ص:187.

(488)- المصدر نفسه،ص:409-410.

(489)- المصدر نفسه،ص:335.

(490)- المصدر نفسه،ص:415.

الموضوعات من أول السورة إلى نهاية الآية الثامنة والعشرين...» [491].

الفرع السادس: استخلاص الدروس والعبر.

يؤكد الداسون والباحثون في التفسير الموضوعي، أن استخلاص الدلالات، واستنباط الدروس والعبر، وتسجيل الحقائق القرآنية من أهم خطوات البحث في منهج التفسير الموضوعي، مصطلحا، أو موضوعا، أو سورة قرآنية[492].

ولا غرو أن يعتمد الشيخ شلتوت استخلاص الدروس والعبر المستفادة من التفسير؛ لأنه يرى أن ذلك هو غرض التفسير، وهو الذي يستجلي هداية الله عز وجل في خلقه، وأن المنهج الحق هو الذي يقصد إلى وضع تفسير يعمد إلى بيان الهداية القرآنية [493]، وهو الذي لام على المفسرين انصرافهم عن الانتفاع بالهداية القرآنية بالتأويلات المذهبية والعلمية[494].

ويقول عنهم أيضا: «و سلخوه (القرآن) عما أراد الله به من تطهير النفوس، وتزكية القلوب، وإصلاح المجتمع»[495].

فما من آيات يتعرض لها بالتفسير إلا ويعقبها-غالبا- بالدروس والعبر المستفادة منها، وجعل من ذلك قاعدته في التفسير الموضوعي.

يقول مبيّنا ذلك- أثناء الحديث عن غزوة تبوك-: «قبل التحدث عن هذه الآيات وما تضمنته من العظات والعبر، والأحكام والآداب، يحسن بنا أن نستذكر ما أجملنا من قبل...» [496].

من أمثلة ذلك الكثيرة في تفسيره ما استخلصه من دروس عند الحديث عن أحكام المال في سورة النساء كما يأتي: (حرمة الأحوال العامة، أنواع أكل الأموال بالباطل، لا خير في المال إلا إذا اكتسب عن طريق مشروع، التضامن المالي والأمة، أكل الأموال بالباطل يغرس الحقد ويفضي إلى التقاتل، إشارة السورة إلى فكرة الضمان الاجتماعي...الخ) [497].

---

[491]- المصدر نفسه،ص: 470.

[492]-ينظر: صلاح الخالدي: التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق، ص:67، 71، 75. مصطفى مسلم: مباحث في التفسير الموضوعي، ص:38-40. عبد الجليل عبد الرحيم: التفسير الموضوعي في كفتي الميزان،ص:72-73.

[493]- ينظر:محمد الصادق عرجون: نحو منهج لتفسير القرآن، ص:91.والقرآن العظيم هدايته وإعجازه في أقوال المفسرين،ص:17

[494]- محمود شلتوت: تفسير القرآن الكريم، ص:10-11.

[495]- المصدر نفسه، ص:384.

[496]- المصدر نفسه، ص:486.

[497]- المصدر نفسه، ص:159-162.

ولما تحدث عن الصد عن سبيل الله استنبط الدروس الآتية:

-يقول: «وإذا تأملنا هذه الآيات وجدنا أن الذين يصدون عن سبيل الله هم:

1-أرباب الأموال يستخدمونها في إغراء الناس بالتكذيب.

2-وأصحاب الآراء والتوجيه، من الأحبار و الرهبان وأرباب الشغب.

3-المنافقون الذين يلقون في روع الناس أن أحكام الله ودينه ليست كفيلة بإسعاد المجتمعات....

4-المعوقون للحركات الإصلاحية جمودا منهم على ما ألفوا، أو خوفا على أنفسهم من ضياع مصالح لهم»[498]، وغير ذلك[499].

الفرع السابع: عدم تفسير كل آيات السورة.

والشيخ شلتوت –بعد ذلك–لا يفسر كل آيات السورة كما هو معهود في التفسير التحليلي، وإنما يركز في تفسيره على ما يخدم الموضوع، ويتوافق مع غرض السورة العام.

والمتصفح في تفسير الشيخ شلتوت يجد أنه يذكر موضوعات السور القرآنية، ويوازنها بموضوع السورة المفسرة، ثم يتعرض لأهدافها ومقاصدها، مبينا من خلال منهج خاص به الوحدة الموضوعية للسورة القرآنية[500]، ثم يشرع في تفسيره أوائل السورة وفق منهجه الذي تحدثنا عنه من قبل، تحت عنوان «عود على بدء»[501]، أو في قوله: «عودة إلى مطلع السورة»[502]، مركزا في تحليل معانيها على ما يخدم موضوع السورة، ثم ينتقل إلى مقاطع قرآنية أخرى غير متصلة بمطلع السورة، ليفسرها هي أيضا وفق غرض السورة[503].

ففي سورة التوبة مثلا بعد أن يصل إلى موضوع السورة بعد سلسلة من الموازنات الموضوعية في ذلك، يشرع في تفسير أول السورة بما يوافق موضوعها، وهو: بناء الدولة الإسلامية داخليا

---

[498]- المصدر نفسه، ص:379.

[499]- ينظر: المصدر نفسه، ص:68-73، 104، 105، 148، 149، 170، 173، 192، 197، 198، 200، 202، 222، 223، 260، 263، 265، 367، 369، 370، 374، 385، 391.

[500]- كما سنبين ذلك لاحقا عند الحديث عن ملامح الوحدة الموضوعية في السورة القرآنية عنده،ص:205 من هذه الرسالة.

[501]- محمود شلتوت: تفسير القرآن الكريم، ص:432.

[502]- المصدر نفسه،ص:412.

[503]- المصدر نفسه، ص:443، وما بعدها.

وتحصينها وحمايتها خارجيا[504]، بدءا بذكر أسماء السورة وعلاقتها بالموضوع، ثم الحديث عن العلاقة بين المسلمين والمشركين في إلغاء المعاهدات، وفي تصفيتهم نهائيا من جزيرة العرب، وذلك لتحديد القانون الأساسي الذي تشاد عليه دولة الإسلام.

وبعد أن يشرحها شرحا وافيا، نراه يفصل في معانيها، ويجزئها إلى عناصر متعددة يتناولها بالشرح والتفسير، عكس منهج الإجمال الذي بدأ به في تفسيره للسورة، ويفيض في ذلك عدة صفحات[505].

ثم ينتقل مباشرة إلى الهدف الثاني للسورة، في الحديث عن الجهاد في وسط السورة، ويشرحها هي الأخرى بما يوافق غرض السورة، ثم يلخص باقي مقاطع السور تلخيصا عاما موجزا تحت عنوان "جولة في بقية السورة"[506] ليخلص بعد ذلك إلى خاتمة السور.

والملاحظ عليه أيضا أنه -وفق تحقيق غرض السورة- يفكك بعض جزئيات الآية، تفكيكا تفصيليا، كما في آية المشاهد الأخروية في سورة الأعراف[507].

المبحث الثالث: خصائص ومميزات تفسيره.

من خلال تعرفنا بمنهج الشيخ شلتوت في تفسيره، بشقيه التحليلي والموضوعي، تراءت لنا -من خلال ذلك- ميزات وخصائص معينة تميز بها الشيخ شلتوت عموما، وهذه الخصائص على نوعين:

1-خصائص منهجية ونظامية شكلية.

2-خصائص علمية ومعرفية على مستوى المضمون.

---

(504)- المصدر نفسه، ص:462.

(505)- المصدر نفسه، ص:466-485.

(506)- المصدر نفسه، ص:500.

(507)- المصدر نفسه، ص:374-384.

المطلب الأول: الخصائص المنهجية والنظامية لتفسيره.

الفرع الأول: التنظيم والتنسيق والترتيب للمعلومات والموضوعات ووضع فهرس لها[508].

تميز تفسير الشيخ شلتوت بحسن العرض، وتنظيم المعلومات والترتيب بينها، ووضع الفهارس التفصيلية للموضوعات التي اشتملت عليها السورة، هذا إلى جانب سعة بحوثه وعمقها وتنوعها، وذلك كما يقول أحد الباحثين: «شأن العالم المنظم والمعلم الحريص على بيان هداية القرآن وإفادة الناس بها....(فذلك) مما يحبب القارئ في البحث ويدفعه إلى مطالعة الموضوعات التي يريدها»[509].

وهذا المنهج يسّهل على الباحث التوصل إلى مطلوبه بأقل جهد وأسهل طريق ومختصره، وهذه ميزة من بين المزايا التي تميزت بها مؤلفات المدرسة الإصلاحية في العصر الحديث خاصة في تفاسيرهم، كتفسير المنار[510]، وتفسير الشيخ العلامة عبد الحميد بن باديس «مجالس التفكير من كلام الحكيم الخبير»[511]، وغيرها.

و نعرض نماذج للتنظيم والترتيب للمحاور التي وضعها الشيخ في أول كل سورة قبل البدء في عملية التفسير.

ففي أول تفسيره لسورة البقرة يضع المحاور الآتية:

1-قصة ذبح البقرة ومناهج الناس في فهم القصص القرآني.

2-عرض لمقاصد السورة.

3-الأحرف المقطعة في أوائل السورة.

4-طوائف الناس أمام هداية القرآن.

5-أصول الدين عند الله.

6-واسطة العقد من السورة "آية البر"[512].

وفي سورة آل عمران:

---

(508)- كلمة فهرس كلمة معربة في أكثر الحال في إجمال ما في الكتاب تستعمل. يقول الفيروز آبادي: «الفهرس الكتاب الذي تجمع فيه الكتب وقد فهرس كتابه، خلال ذلك على أنه يشتق من المصدر فعل فهرس وتجمع على فهارس» القاموس المحيط، باب السين، 247/2.

(509)- عبد العزيز عزت عبد الحكيم: الشيخ شلتوت ومنهجه في التفسير مخطوط. رسالة دكتوراه، ص:308.

(510)- محمد رشيد رضا: تفسير القرآن الحكيم، المقدمة .

(511)- عبد الحميد بن باديس: مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، ص:485-493.

(512)- محمود شلتوت: تفسير القرآن الكريم، ص:35، ط. دار الشروق.

1-الهدفان الأساسيان للسورة.

2-قضية الألوهية والمسرفون في شأن عيسى.

3-عبرة النصر في بدر والهزيمة في أحد.

4-النداءات الإلهية لجماعة المؤمنين.

5-تحريم الربا قليله وكثيره[513].

وفي سورة النساء:

1-سورة النساء تعنى بوضع الأسس للاستقرار الداخلي والاستقرار الخارجي.

2-العناية بشأن النساء وتنظيم الأسرة والزواج.

3-أحكام المال وقواعد الميراث.

4-مصادر التشريع كما بينتها السورة.

5-ألوان من التمرد على التشريع.

6-أساس الاستقرار الخارجي.

7-القتال في الإسلام وأهدافه.

8-النداءات الإلهية في السورة: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ..... يَا أَهْلَ الْكِتَابِ..... يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾[514].

وفي سورة المائدة:

1-قصة المائدة وما أثير حول نزولها من آراء.

2-النداءات الإلهية في السورة.

3-العقود وسعة مدلولها ووجوب الوفاء بها.

4-الشعائر التي أمر الله باحترامها، وحكمتها.

5-أطعمة أهل الكتاب والتزوج بنسائهم.

6-الطهارة في الصلاة وما لها من أحكام وآثار.

---

[513]- المصدر نفسه، ص:75.

[514]- المصدر نفسه،ص:313.

7-التيمم وأسراره التشريعية.

8-مواثيق الله مع الناس[515].

وفي سورة الأنعام:

1-موازنة بين سورة الأنعام والسور المدنية التي سبقتها.

2-موازنة بين سورة الأنعام والسور المبدوءة بالحمد في القرآن.

3-موازنة بين سورة الأنعام وسورة الأعراف.

4-السورة تعالج القضايا الكبرى التي شغلت العقول: الألوهية، الوحي، البعث.

5-التحليل والتحريم شأن الله وحده.

6-تحليل علمي تفصيلي للوصايا العشر[516].

وفي سورة الأعراف:

1-مقصد سورة الأعراف، وأساليبها في الدعوة.

2-الوزن والميزان وموارهما في القرآن وما يراد بهما.

3-الموازنة بين مصير المؤمنين ومصير الكافرين.

4-النداءات الأربعة التي اختصت بها السورة "يا بني آدم".

5-كلام المفسرين في الحجاب والأعراف وأصحاب الأعراف والرأي الذي نختار.

6- التنادي بين أصحاب الجنة وأصحاب النار.

7-موقف المكذبين من الرسل، ومصيرهم في الدنيا[517].

وفي سورة الأنفال:

1-سورة "بدر".

2-السورة تحل مشكلات المؤمنين بعد بدر.

3-مبادئ حربية تضعها السورة.

---

[515]- المصدر نفسه، ص:205.

[516]- المصدر نفسه، ص:273.

[517]- المصدر نفسه، ص:347.

4-شبهتان لخصوم الإسلام والجواب عنهما.

5-"يسألونك" في القرآن.

6-مبادئ توجيهية وتشريعية مستنبطة من تتبع آيات السؤال والجواب في القرآن.

7-صفات المؤمنين وحكمة تفريقها على سور القرآن.

8-نداءات إلهية للمؤمنين[518].

وفي سورة التوبة:

1-هدفان أصليان للسورة.

2-مهمتها التاريخية مع سورة الأنفال.

3-التصفية النهائية للشرك في جزيرة العرب.

4-وضع الأساس في معاملة أهل الكتاب.

5-الدعوة العامة للجهاد في سبيل الله.

6-كلمة في معنى "سبيل الله".

7-كشف الغطاء عن فتن المنافقين وأساليب النفاق وألوانه.

8-التعاقد بين الله والمؤمنين[519].

الفرع الثاني: توزيع العناوين وترتيبها.

قد وزع الشيخ شلتوت مادته العلمية التفسيرية على شكل عناوين فرعية جزئية تخدم ما يرمي إليه، ويتحدث عنه من موضوعات السورة القرآنية-التي هو بصدد تفسيرها-، وما يصبو إليه من أهداف وعبر، ودروس مستنبطة وفق أصول الهداية القرآنية، وهذه ميزة منهجية لها صلة بالخاصية الأولى، خاصية التنظيم والترتيب والتنسيق؛ غير أن ما يميز هذه الخاصية-توزيع العناوين- عن سابقتها، أنها لم تعنى بالعناوين العامة وبفهارس السور المفسَّرة فقط، وإنما كان التوزيع أعمق وأكثر تفصيلا من الفهارس العامة التي تقتضي الإيجاز والجمع لكل الجزئيات المتعلقة بذلك الموضوع العضوي المدروس في السورة القرآنية، وسواء كانت هذه العناوين التفصيلية مفرعة عن العناوين الكبرى المثبتة في أوائل السور، كحديثه عن أحكام النساء في سورة النساء من الإشارة إلى علاقتها بالرجل وقوامته عليها، وإلى أصنافهن تجاه الرجال، والحديث عن حقوقهن، وحرمة عضلهن، وأكل أموالهن بالباطل

---

[518]- المصدر نفسه، ص:397.

[519]- المصدر نفسه، ص:449.

وغير ذلك مما ورد في ثنايا سورة النساء، فهي وإن لم تذكر في فهرس أول السورة، إلا أنها لها صلة وثيقة من عنوان "نظام الزواج" المثبت في فهرس أول السورة، والذي يعد عنوانا جامعا لها، وكذلك الحديث عن أحكام المال وغيره[520].

أو كانت هذه العناوين التفصيلية غير مفرّعة من العناوين الكبرى –وإن كانت لها صلة بها عن طريق أنواع المناسبات الداخلية في السورة–، كاستفاضته عن بعض الموضوعات التي أشارت إليها السورة إشارة غير مفصلة، كتحويل القبلة من بيت المقدس إلى المسجد الحرام في سورة البقرة[521]، والحديث عن بعض المسائل العقائدية في سورة النساء كحال من لم تبلغه الدعوة، ومسألة الجبر والاختيار[522]، والحديث عن بعض الغزوات في سورة التوبة، كغزوة مؤتة، وبدر، وأحد والحديبية وفتح مكة، وإن كانت سورة التوبة قد نزلت في غزوة تبوك[523]، ومع هذا فكل ما ذُكر هنا له تناسب بما ذُكر في أوائل السور من عناوين كبرى؛ فموضوع تحويل القبلة له صلة بآية البر أو العقد كما هي مذكورة في أول سورة البقرة[524]، والموضوعات العقائدية لها صلة بآية النجوى وعنصر الاستقرار الخارجي المذكور في أول سورة النساء[525]، والغزوات لها صلة وثيقة بأجواء السورة أو المهمة التاريخية للسورة مع سورة الأنفال؛ حيث كانت هذه الغزوات واسطة واقعة بين نزول السورتين[526]، وأمثلة ذلك كثيرة.

وما ميّز هذه الخاصية التوزيعية، إحكام تنظيمها، وكثرة تفريعها، ودقة انسجامها مع موضوعات السور القرآنية المفسّرة، بألفاظ عذبة، وجميلة، وموحية بالغرض المقصود، وهو مع كل ذلك يلتزم ترتيبا معينا، بأسلوب موحّد بسيط، ومنسجم قلما لمسناه في كتب التفاسير، بهذا التنسيق، والتفريع، والتناسب،والتسلسل المنطقي كحديثه مثلا عن السؤال في سورة الأنفال، حيث جاءت عناوينه الفرعية كما يلي:

1-يسألونك في القرآن.

---

(520)- يراجع: تفسير الشيخ شلتوت، ص:138- 162.

(521)- المصدر نفسه، ص:64.

(522) -المصدر نفسه، ص: 182-183.

(523)- المصدر نفسه،ص: 454-460.

(524)- المصدر نفسه، ص: 64.

(525)- المصدر نفسه، ص: 137.

(526)- المصدر نفسه، ص: 454-460.

2-استطراد في تتبع السؤال والجواب.

3-مقارنات بين عبارات الأسئلة والأجوبة.

4-الفرق بين السؤال والاستفتاء.

5-الحكمة في خلو الجواب من كلمة "قل" في السؤال عنه سبحانه.

6-أسلوب الجواب عن سؤال الساعة في النازعات.

7-أكثر الأسئلة الواردة في الأحكام العملية.

8-قواعد تشريعية مستنبطة من الأسئلة وأجوبتها[527].....الخ.

الفرع الثالث: التلخيص والإجمال والختم بالدعاء.

وهذه خاصية شكلية بارزة في تفسير الشيخ محمود شلتوت، وتتمثل تلخيصاته في أوجه عدة، للمقاطع أو الآيات[528]، أو للمقاصد والأغراض[529]، أو للمواضيع القرآنية[530]، وغير ذلك[531].

والملاحظ في تلخيصه لموضوعات السور المفسرة، أنه يوزعها في بداية السورة، وفي وسطها، وفي خاتمتها؛ للتذكير بالموضوع عند كل مقطع يفسره، ولإظهار التناسب بين موضوع السورة وآياتها ومقاطعها؛ فعند تفسيره لسورة النساء يبدؤها بتلخيص مسبق لموضوعها[532]، ثم يعيد تلخيصه في وسطها بقوله مثلا: «وقد عرضنا فيما سبق»[533]، ثم لا ينسى أن يلخصه مرة أخرى عند خاتمة السورة بقوله: «من هذه الفصول التي كتبناها عن سورة النساء يتبين أنها عالجت أحوال المسلمين فيما يختص بتنظيم شئونهم الداخلية، وحفظ كيانهم الخارجي....»[534].

كما أنه يلخص موضوعات سور سابقة قبل أن يشرع في تفسير السورة المراد دراستها[535]، وأحيانا يعنوّن بعنوان لتلخيصه بقوله: «نتيجة»[536].

---

(527)- المصدر نفسه، ص: 415-425.

(528)- المصدر نفسه،ص: 80، 151، 193،171، 199، 239، 268، 276-279، 359، 400-403 وغيرها.

(529)-المصدر نفسه، ص: 85، 86، 88، 89، 137، 144، 158، وغيرها.

(530)- المصدر نفسه، ص: 133-135، 450 وغيرها.

(531)- المصدر نفسه، ص: 55، 62، 67، 73، 95، 112، 129 وغيرها.

(532)- المصدر نفسه، ص:137.

(533)- المصدر نفسه، ص:187.

(534)- المصدر نفسه، ص:204.

(535)- المصدر نفسه، ص:274-281، 398، 450 وغيرها.

(536)- المصدر نفسه، ص: 412.

وأما الإجمال في شرح الآيات المفسرة، فكثير في تفسيره ؛ وذلك بعد أن يشرح المفردات والتراكيب المتعلقة بها، يشرحها شرحا إجماليا عاما، يوثق به المعنى العام للآيات، ويربطه-بذلك- بموضوع السورة ربطا يؤكد به أهمية التفسير الإجمالي كخطوة هامة من خطوات البحث في التفسير الموضوعي كما عرفنا من قبل[537].

من ذلك مثلا تفسيره لقوله تعالى : ﴿فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ﴾ إلى قوله: ﴿بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ﴾ يشرحها شرحا إجماليا بقوله: «وقد نعت هذه الآيات إلى الحساب والجزاء عن طريق السؤال والوزن، وأرشدت فيما يختص بالسؤال إلى أن الأمم الذين أرسل إليهم، وبلغتهم دعوة الله يسألون الرسل....»[538].

وأما الختم بالدعاء، فتكاد تكون ظاهرة ملاحظة في تفسيره، فهو في أغلب الأحيان يختتم السورة المفسرة بما يراه مناسبا من أدعية في ذلك، وهذه خاصية شكلية كثيرا ما لاحظـــناها عند علاّمة الجزائر الشيخ الإمام عبد الحميد بن باديس في تفسيره "مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير"[539]،ومن أمثلة ما يختم به الشيخ شلتوت السور القرآنية بالدعاء، ما ختم به سورة الأعراف بقوله: «جعلنا الله من المسبحين بحمده، الساجدين له، المقتدين بأنبيائه، المتشبهين بالملأ الأعلى، إنه سميع قريب»[540].

المطلب الثاني: خصـــائص تتعلق بالمضـــمون والمحتوى.

وهي خصائص كثيرة جدا، لكننا نقتصر على أهمها في الفروع التالية:

الفرع الأول: دقة المناقشة والتعقيب على المفسرين.

فالشيخ شلتوت لا يسلّم لكل ما يقال في تفسير الآيات، ولا ينقل من أقوال المفسرين وآرائهم إلا ما يوافق المعنى العام للآيات؛ بل إنه إذا ذكر ما يعارض ذلك فإنه ينقد أقوالهم ويرد عليها، ويوجه بعضها توجيها علميا دقيقا، مما حدا بمحمد البهي عند تقديمه لتفسير الشيخ شلتوت أن يرى أن ميزة هذا التفسير هي التعقيب على المفسرين[541].

---

[537]- يراجع: تمهيد هذا البحث: في مناهج البحث في التفسير الموضوعي، ص:9-10- 11.

[538]- محمود شلتوت: تفسير القرآن الكريم، ص:360.

[539]- ينظر: تفسير ابن باديس: ط1، مطبوعات وزارة الشؤون الدينية، ص:187.

[540]- تفسير القرآن الكريم، ص:395.

[541]- محمد البهي: تقديم القرآن الكريم، مجلة الأزهر، السنة 31 ، يناير 1960م ، ص: 1016.

ويستعمل الشيخ شلتوت في ذلك أساليب عدة، وتصريحات مختلفة، كقوله: «يرى بعضهم»[542]، وقوله: «بيان اضطراب الجمهور في شأنها»[543]، وقوله: «وهكذا استدلوا على إبطال شيء أثبته القرآن»[544]، وقوله: «ولا يعجبني تخريجها على أنها تشريع كما ذهب إليه كثير من العلماء»[545]، وقوله: «هذا، وقد شغل جماعة من المفسرين والمؤرخين الناس بحديث المفاضلة بين أبي بكر وعلي»[546]، وقوله: «وإن أكثر فيه المفسرون»[547].

ومن أمثلته تعقيبه على المفسرين الذين أشغلوا أنفسهم بتفسير الحجاب الواقع بين الجنة والنار، يقول في ذلك: «وهكذا شغل بعض المفسرين الناس عن معاني العظمة والاعتبار، وصوروا لهم المعاني الغيبية التي استأثر الله بعلمها على نحو ما يشاهدون ..»[548].

الفرع الثاني: إبراز حكمة التشريع.

لقد وفق الشيخ شلتوت كثيرا في إبراز غايات القرآن، وفي تصوير أهدافه التشريعية في إصلاح الدين والدنيا، وأن هذا التشريع «الإلهي قائم على العدل المطلق، المبّرأ من الهوى والميل، ومن الجهل والجور، بل وهو التشريع الوحيد الذي يتحرر فيه الإنسان من العبودية للإنسان؛ ذلك أنه منهج قائم على العلم بحقيقة الإنسان وحاجاته، وما يصلحه وما يفسده»[549]، ولذا تميز هذا التشريع بالخلود كما تميز بالعدالة المطلقة، وبالمقاصد والغايات النبيلة.

يشير الشيخ إلى هذا بقوله: «وشرع الله ودينه وحدة قائمة في الوجود متميزة بذاتها، وحكمها وأسرارها واضحة جلية، تتلقاها العقول عن الطبيعة البريئة...وتتلقاها عن الوحي في الرسالات»[550].

---

[542]- تفسير القرآن الكريم، ص:208.

[543]- المصدر نفسه، ص:253، وينظر أيضا، ص:123، 181.

[544]- المصدر نفسه، ص:376، وينظر أيضا، ص:215-216.

[545]- المصدر نفسه،ص:392.

[546]- المصدر نفسه، ص:468.

[547]- المصدر نفسه، ص:473.

[548]- المصدر نفسه، ص:383.

[549]- محمود الدوسري، عظمة القرآن الكريم، ط1 ، السعودية ، دار ابن الجوزي ، 1426هـ ، ص:272-273.

[550]- الشيخ شلتوت: تفسير القرآن الكريم، ص:345.

ويؤكده أيضا بقوله: «وفي عناية الله بتوجيه هذا التشريع، وبيان حكمته إيحاء قوي بأن من تمام قيام الحجة على الناس، فيما يفرض عليهم من تشريع، أن يقدم التشريع إليهم مصحوبا ببيان حكمته والدواعي التي تقتضيه وتدعو إليه، أو الثمرات التي ترجى منه .....»[551].

ومن هذا المنطلق، فإن الشيخ لم يألو في تفسيره يبين حكم التشريع القرآني، وتفوقه على تشريعات البشر وأهوائهم.

والأمثلة على ذلك كثيرة جدا في تفسره، منها:

ما أظهره من حكمة الإسلام في التفاوت بين نصيبي الذكر والأنثى، والرد على خصوم الإسلام، واتهامهم للإسلام بظلم المرأة، يقول في ذلك ردا عليهم: «وفاتهم أن الذكر تتعدد مطالبه، وتكثر تبعاته في الحياة، فهو ينفق على نفسه، وعلى زوجه،وعلى أبنائه، ومن أصول الشريعة أنه يدفع المهر لمن يريد أن يتزوجها، أما الأنثى فإنها لا تدفع مهرا، ويلزم زوجها بنفقتها في مأكلها ومشربها ومسكنها..... ولو أنا قارنا الوضع الإسلامي لميراث المرأة بالأوضاع الأخرى لوجدنا أن الإسلام قد انتهج فيه الحد الوسط....»[552].

وما انتهجه في تفسيره هو من قبيل هذا النهج الدقيق[553].

و كما أن التشريع متميز بالخلود وبالعدالة، فإنه متميز كذلك بالشمول للزمان والمكان والأشخاص، وأحكام كل منها، فالشريعة الإسلامية بهذا «الرسالة التي امتدت طولا حتى شملت آباد الزمن، وامتدت عرضا حتى انتظمت آفاق الأمم، وامتدت عمقا حتى استوعبت شؤون الدنيا والآخرة»[554].

من أمثلته في تفسيره ما أبرزه من أن تحريم الفواحش بسبب ضررها مجبول عليه الإنسان يدركه في ذات الفعل المحرّم، عند تفسيره لقـــوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾[555].

---

[551]- المصدر نفسه، ص:481.

[552]- المصدر نفسه، ص:154-155.

[553]- ينظر: المصدر نفسه، ص116، 121-124، 136، 150، 152-153، 194، 245، 250-251، 394، 480.

[554]- يوسف القرضاوي: الإسلام دعوة شاملة، مجلة الأزهر، ذي القعدة 1396هـ، ص:1392.

[555]- سورة الأنعام: الآية 151.

فالشيخ يقرر أن ميزان الحل والحرمة فيما لا نص فيه، إنما هو لعلة في ذات الشيء المحرّم، وأنها لا تتغير بتغير الزمان والمكان؛ لأنه «لا سبيل إلى عموم الشريعة سوى النص على حكم ما عرف الناس من أحداث، ثم لإفراغ ذلك الحكم في عناوين عامة، وعلل تتحقق في غير هذه الأحداث كما تحققت فيها....»[556].

الفرع الثالث: الواقعية.

امتاز الشيخ شلتوت بالواقعية، وكان فعلا ابن عصره كما يقال، وكان أن تعرض كثيرا في تفسيره لمشكلات عصره، وواقعه، ومعالجا لها بما يراه من حلول قرآنية في ذلك.

وهو يعبر عن ذلك بتعبيرات عدة، كقوله: «في عصرنا الحاضر»[557]، وقوله: «التي يعتادها الناس اليوم»[558] ، وقوله: «وكثيرا ما رأينا»[559]، وقوله: «ولا يزال بعض الناس إلى يومنا هذا»[560]، وقوله: «كما يراه دعاة الحضارة الفاسدة»[561]، وقوله: «فيما بيننا»[562]، وقوله: «هي أشبه في وقتنا الحاضر»[563]، وفي غيرها.

ومن أمثلته البارزة ما أبرز به وجوب استحضار عظمة الله دائما في قراءة القرآن، وأن ذكر الله إنما يكون وفق ما شرّع الله، وأنكر في ذلك على الطرق الصوفية الذين ينافون هذه العظمة، ويبتدعون في دين الله ما ليس منه؛ إذ يقول في ذلك: «وليعتبر بهذا هؤلاء الأقوام الذين يزعجون أنفسهم، ويزعجون الناس بأصواتهم المنكرة، وحركاتهم العابثة، وأجسامهم الملتوية باسم ذكر الله في الطرقات، في الحفلات الصاخبة بالناي والعود، في المساجد، وقد بلغ العبث بذكر الله-الذي وضعه سبيلا لاطمئنان القلوب، واستحضار عظمته- أن يعرض في المذياع بالناي والعود تمثيلا لا حقيقة، وتلهية لا تصفية، فلا حول ولا قوة إلا بالله»[564].

---

[556]- محمود شلتوت: تفسير القرآن الكريم، ص:325-326.

[557]- المصدر نفسه، ص:120.

[558]- المصدر نفسه، ص:228.

[559]- المصدر نفسه، ص:318.

[560]- المصدر نفسه، ص:321.

[561]- المصدر نفسه، ص:367.

[562]- المصدر نفسه، ص:385.

[563]- المصدر نفسه، ص:455.

[564]- المصدر نفسه، ص:393.

الفصل الثاني: أنواع الوحدة للسورة القرآنية، مسمياتها، مواضعها، وملامحها في تفسير الشيخ محمود شلتوت.

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: أنواع الوحدة السورية ومواضعها ومسمياتها.

المبحث الثاني: ملامح الوحدة الموضوعية للسورة القرآنية عند الشيخ محمود شلتوت.

المبحث الثالث: تقييم وتقويم هذا المنهج.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

عرفنا من قبل أن الشيخ شلتـــوت أشار إلى مفهوم الوحدة الموضوعية للموضـــوع القرآني، وللسورة القرآنية كذلك، والتي يقول عنها "و بذلك يؤكد آخرها لأولها، ويؤسس أولها لآخرها، وتصير السورة كتلة واحدة" [1].

و هذا المفهوم الذي قدمه الشيخ شلتوت للوحدة الموضوعية في السورة القرآنية مما تقاربت فيه وجهات النظر، واتفق على مضمونه بعض العلماء المتخصصون في هذا المنهج التفسيري.

يقول الشيخ محمد الغزالي في تعريفه لها: «أما الأول- التفسير الموضوعي للسورة- فهو يتناول السورة كلها يحاول رسم " صورة شمسية" لها تتناول أولها وآخرها، وتتعرف على الروابط الخفية التي تشهدها كلها، وتجعل أولها تمهيدا لأخرها، وآخرها تصديقا لأولها»[2] .

وهذه الوحدة هي التي أدت بالشيخ شلتوت إلى القول بالوحدة العامة في القرآن الكريم؛ إذ يقول في ذلك:"و هكذا نجد القرآن في ذكره لآيات الأحكام، وكأنه في ذلك أشبه شيء ببستان فرقت ثماره وأزهاره في جميع نواحيه..... يعاون بعضها بعضا في الروح العام، وهو روح التغذية بالنافع والهداية إلى الخير"[3].

المبحث الأول:أنواع الوحدة السورية، مواضعها، ومسمياتها في تفسير الشيخ شلتوت.

إن المتمعن في نظام تفسير الشيخ شلتوت لكل سورة يجد أنماطا متميزة من الوحدة فيها، في كل سورة تميزها الخاص، كما يجد له في ذلك مسميات عديدة لها.

المطلب الأول:أنواع الوحدة السورية في تفسيره.

تبين لنا من خلال استقرائنا لتفسير الشيخ شلتوت، أن وحدة السورة تنفرد وتتميز بأنماط وأنواع ثلاثة: الوحدة الموضوعية، والوحدة المقاصدية، والوحدة الأسلوبية.

الفرع الأول: الوحـــدة الموضـــوعية.

علمنا من قبل أن قوام الوحدة الموضوعية في السورة القرآنية، لا يقتصر فقط على بيان موضوع السورة، وإنما يكون ذلك باكتشاف الروح الذي يسري في السورة كلها من بدايتها إلى نهايتها، مركزا في ذلك على سر توزيع المقاطع القرآنية وفق هذا الروح؛ فليس كل من صرّح بموضوع السورة يعد ذلك وحدة لها؛ وإنما يكون ذلك وفق التناسق العام في السورة، وربط أجزائها بعضها ببعض، لتشكّل لنا وحدة واحدة، تشد أجزاؤه كلها موضـــوع السورة وترتبط به.

---

(1) – محمود شلتوت: تفسير القرآن الكريم، ص: 46.

(2) – محمد الغزالي: نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم، منشورات بغدادي، ص: 5.

(3) – محمود شلتوت: الإسلام عقيدة وشريعة، مصدر سابق، ص: 487.

هذا وقد صرّح الدكتور عبد العزيز عزت عبد الحكيم محمود بأن تفسير الشيخ شلتوت لا يتضمن الوحدة الموضوعية للسورة القرآنية.

يقول في ذلك:«ومن خلال دراستي لمنهج الشيخ شلتوت، رأيت أنه لا يقول بوحدة الموضوع؛ وإنما يجعل للسورة موضوعات ولكل موضوع هدف؛ ومنهج الشيـــخ أنه يقول بالوحدة العضوية بين موضوعات السورة،والوحدة العضوية هي التي تجعل السورة متكاملة متناسقة مؤتلفة»[4].

و هذا الرأي لا يبدو- في نظرنا- دقيقا في ذلك؛ لأنه رأي تنقصه النظرة الفاحصة المستقرئة لتفسير الشيخ شلتوت للسورة القرآنية؛ إذ أن تصريح الشيخ شلتوت بتعدد الموضوعات للسورة القرآنية[5]لا يدل على ما ذهب إليه الأستاذ الفاضل؛ لأن التصريح بالموضوعات يكون على ضربين:

الضرب الأول: وهو تصريح بتعدد الموضوعات الجزئية للسورة، لا الموضوع الرئيسي لها.

و الأدلة على ذلك كثيرة، منها: ما صرّح به تفسيره لمطلع سورة النســـاء من ذكر موضوعاتها، وهو يقصد في ذلك موضوعاتها الجزئية الفرعية؛ إذ يقول في ذلك:« ... ونستطيع أن نرد ما عرضت له السورة إلى الموضوعات الآتية: الأسرة، المال، أسس الجماعة الإسلامية، مصادر التشريع، ألوان التمرد على التشريع، أسس الاستقرار الخارجي، مكافحة الآراء شبه الضالة، تتويج هذا كله بالدعوة إلى الإيمان بمحمد- صلى الله عليه وسلم- وما جاء به من هداية ونور» [6] .

ولاشك أن الأستاذ يتفق معي في أن الشيخ شلتوت لم يقصد بهذا التصريح للموضوعات تحديد موضوع السورة؛ وإنما يقصد موضوعاتها الجزئية الفرعية[7]، بدليل أنه صرّح بموضوع السورة بقوله:"سورة النساء تعالج الاستقرار الداخلي والخارجي"[8]وهذا أصل لما ذكره من هذه الموضوعات الفرعية الجزئية.

---

(4) – عبد العزيز عزت عبد الحكيم : الشيخ شلتوت ومنهجه في التفسير، رسالة دكتوراه من جامعة الأزهر، ص: 305.

(5) – ينظر: محمود شلتوت: تفسير القرآن الكريم، ص: 45،348،294،207،83،78،45، ط 12،دار الشروق القاهرة 2004 م.

(6) – المصدر نفسه، ص :137.

(7) – من العجيب أن الدكتور عبد العزيز يذكر ما ذكرناه من ذكر الشيخ شلتوت لهذه الموضوعات، ويستدل بها على امتناع تحقق الوحدة الموضوعية في السورة، مع أن الشيخ شلتوت لم يذكرها إلا كموضوعات جزئية لموضوع السورة: الاستقرار الداخلي والخارجي للمجتمع الإسلامي: محمود شلتوت: تفسير القرآن الكريم، ص:137.

(8) – المصدر نفسه.

الضرب الثاني: تصريح الشيخ شلتوت بموضوعات السورة قاصدا بها موضوعاتها الرئيسية، وعند التدقيق والنظر العميق في تحليل الشيخ للسورة نجد أن الشيخ لا يقول إلا بوحدة الموضوع، وأن هذه الموضوعات التي ذكرها متداخلة فيما بينها، وتعالج موضوعا واحدا ؛ولكن الشيخ جزأها وفصل بينها،و إن كان هذا الصنيع مما يعاب على الشيخ وينتقد عليه، لإبهامه في ذلك كما سنبين ذلك لاحقا[9].

و الأمثلة على ذلك كثيرة في تفسيره؛ منها ما تناوله في سورة آل عمران ؛إذ المطلع على مقدمة تفسيره لها يجزم بأن الشيخ شلتوت ذكر موضوعين رئيسيين للسورة، وهما: قضية الألوهية وتقرير الحق فيها[10]، وبيان العلة التي تحول بين الناس وبين اعتناق الحق[11].

فإذا تعمقنا في تفسيره لهاتين القضيتين لنجدهما متداخلتين فيما بينهما؛ فحينما يتحدث عن القضية الأولى يتناول فنون حيل أهل الكتاب في إضلال المؤمنين عن الحق؛ فمن بين فنون حيلهم «خلط الباطل بالحق عن طريق التأويل الفاسد لمتشابه الكتاب، ومنها إذاعتهم أن إبراهيم عليه السلام كان على دينهم...، ومنها الإيحاء بالإيمان بمحمد ﷺ، ثم العدول عنه والكفر به في وقت آخر، ليقول الناس إنه لو كان حقا ما رجع عنه هؤلاء بعد أن آمنوا...» [12].

إن الذي ذكره هنا هو عين القضية الثانية؛ أي: أن أهل الكتاب انصرفوا إلى هذه الحيل وكفروا بدين الله، لنفس العلة التي ذكرها؛وهي الغرور بما لهم من أموال وأولاد،وسلطان وجاه و أن هذا دائم لا يزول، مما أعماهم عن قبول الحق؛ أليست آية الشهوات في هذه السورة[13]، جاءت في سياق الحديث عن باطلهم في الإشراك مع الله، واقتراف المنكرات، ويبدأ ذلك من قوله تعالى:﴿ .. وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ....﴾ [14]، إلى قوله:﴿... يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ

---

[9] – في المبحث الثالث : تقييم وتقويم هذا المنهج، ص:219.

[10] – محمود شلتوت : المصدر نفسه، ص: 78.

[11] – المصدر نفسه، ص: 83.

[12] – المصدر نفسه، ص:81-83 .وينظر: شلتوت: تفسير آل عمران : مجلة رسالة الإسلام، ع4، السنة2،ص:344.

[13] – في قوله تعالى :﴿زين للناس حبّ الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة...﴾ سورة آل عمران: الآية14.

[14] – سورة آل عمران: الآية07.

كَافِرِينَ﴾[15]؛ بل وإلى آخر السورة؛ أليسوا هم القائلون في هذه السورة:﴿ إِنَّ اللهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾[16]، وهو وصف دقيق لعلة الغرور بالمال والولد.

ثم إن الشيخ شلتوت قد صرّح بأن أهل الكتاب قد غرهم الحياة الدنيا عن قبول الحق والإشراك بالله؛ إذ يقول:« ثم تعود السورة تؤكد أن أموال هؤلاء لا ترد عنهم من بأس الله شيئا... ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[17] »[18].

و إذا كان كذلك- التعدد- كما قال، فلم لا يلحق بهذين الأمرين أمرا ثالثا ذكره الشيخ؛ وهو الحديث عن المؤمنين، وغزوهم المذكورة في السورة، وقد استغرق الحديث عنهم صفحات عديدة من تفسيره[19].

إن النظرة الجزئية غير الشاملة في السورة، المقتصرة على قسم من السورة وتفسيرها، هي التي تغرقنا ضبابية عن تلمس الوحدة الموضوعية للسورة القرآنية[20]؛ حتى وإن قال بها الشيخ شلتوت، ولكن بشكل غير مباشر في هذه السورة؛ بله وهو القائل عن موضوع هذه السورة في موضع آخره من تفسيره: «ثم تجيء سورة آل عمران، فتصرف عناية خاصة إلى مناقشة النصارى في قضية الألوهية، وإلى كشف بعض صور التزييف التي كان يصطنعها أهل الكتاب إخفاء لحق الإسلام... »[21] .

إن ملاحظة الروح العام السار في السورة، ليسجل هذه الوحدة على حد قول محمد عبد الله دراز[22].

هذا وقد أشار الشيخ شلتوت إلى هذا الروح العام للسورة؛ وذلك بالحديث عن الجو التاريخي الذي جمع هذه القضايا؛ وهو حديثه عن هذه السورة التي «تقلبت فيها عليهم -المسلمين- أحوال من النصر والهزيمة في غزوات متعددة، واختلطوا على صورة واضحة بأهل الكتاب من

---

(15) - سورة آل عمران: الآية100.

(16) - سورة آل عمران: الآية 181.

(17) - سورة آل عمران: الآية 116.

(18) - محمود شلتوت: المصدر نفسه، ص: 84، 277-278.

(19) - المصدر نفسه، ص : 75-129.

(20) - ينظر: زياد الدغامين، منهجية البحث في التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ص: 134-135.

(21) - محمود شلتوت: المصدر نفسه، ص:277-278.

(22) - محمد عبد الله دراز: النبأ العظيم، مصدر سابق، ص: 155.

يهود ونصارى، وجرى بينهم كثير من الحجاج والنقاش...» [23]؛ بل وقد صرح الشيخ شلتوت بالوحدة الموضوعية كثيرا في تفسيره ؛كقوله :"كتلة واحدة"[24]، "سلك واحد"[25]، "صورة كاملة"[26]، وغيرها مما سنتناوله عند الحديث عن مسميات الوحدة الموضوعية.

و من هذا قوله عن سورة التوبة:« إنها سورة مستقلة»[27]، ويقول أيضا:« وإذ فرغنا من الكلام على أسماء السورة وعلى وحدتها واستقلالها...» [28]؛ بل ويصرح بموضوع السورة كما عرفنا من قبل.

ثم من الملاحظ أنه يصرح بموضوع واحد لسورتين، ولا يقصد ذلك؛ كقوله في بداية تفسير سورة الأنفال:«موضوع سورتي الأنفال والتوبة»[29]، وأحيانا يقول عن السورة أنها بنيت «على حرفين واضحين»[30].

و قد لاحظ الأستاذ عبد العزيز روح السورة العام في تفسير الشيخ شلتوت لسورة البقرة حينما وصفها بالعقد وبالسلك الواحد، فقال عنها إنها: «وحدة الفكر»[31]، كما عبر عن روح السورة العام بأنها: «الوحدة العضوية التي تجعل السورة متكاملة متناسقة»[32]، وهذا تصريح منه بتحقق الوحدة في تفسير الشيخ شلتوت؛ غير أنه يسميها بأسماء أخرى.

و قد عرفنا من قبل أن الوحدة العضوية متضمنة في الوحدة الموضوعية، وأنها كمثل تناسق أعضاء الجسم الواحد على حد قول محمد عبد الله دراز[33].

ثم إن ما يسميه هنا بوحدة الفكر، يسميها غيره بغير ذلك؛ كقول محمد البهي عن منهج الشيخ شلتوت في تفسيره: «إنه منهج جعل السورة وحدة واحدة، يوضح مراميها وأهدافها وما فيها من عبر ومبادئ إنسانية عامة»[34]، وهو رأي عباس محمود العقاد[35]، ومحمد محمد المدني[36].

---

[23] – محمود شلتوت: تفسير القرآن الكريم، ص: 77.

[24] – المصدر نفسه، ص :46.

[25] – المصدر نفسه، ص :66.

[26] – المصدر نفسه.

[27] – المصدر نفسه، ص: 464.

[28] – المصدر نفسه، ص: 465.

[29] – المصدر نفسه، ص :399.

[30] – المصدر نفسه، ص: 207.

[31] – عبد العزيز عزت عبد الحكيم: الشيخ شلتوت ومنهجه في التفسير، ص: 305.

[32] – المرجع نفسه.

[33] – محمد عبد الله دراز: النبأ العظيم، مصدر سابق، ص: 155.

بقي- في هذا- مناقشة رأي زياد الدغامين في قوله: « ورأيي أن تفسيره للأجزاء العشرة الأولى من القرآن لا يدل على التفسير الموضوعي القاضي بمعالجة وحدة الموضوع في السورة؛ بل كانت منهجية البحث عنده أن يفسر آيات السورة فصلا فصلا، ولكل فصل غرض مستقل، ولم يذكر الشيخ شلتوت الدقائق التفصيلية فيبرز معالم الوحدة الموضوعية، ولم يستكمل منهج البحث في السورة القرآنية، ولا ينبغي أن تعرف الوحدة الموضوعية بأنها إجمال ما في السورة من موضوعات ومقاصد وأهداف...» [37].

إن الشيخ محمود شلتوت لم يذكر الموضوعات بإجمال، ثم يدعها إلى تفسير تحليلي للسورة؛ وإنما من منهجه في ذلك ذكر الموضوع في بداية السورة، ثم السير في تفسير السورة مع ما يخدمه، وينسق بينه وبين مقاطع السورة، ثم يذكر الموضوع في خاتمة السورة[38].

صحيح أن الشيخ شلتوت لم يستكمل منهج البحث في السورة القرآنية[39]؛ لأنه لم يركز على مرحلة التأصيل، وإنما ركز على مرحلة التطبيق، ولم تكن منهجية البحث في السورة القرآنية واضحة لديه بكل معالمها، ولكنه كانت له منهجيته الخاصة في دراسة السورة كما صرح بذلك " منهجنا في دراسة السورة "[40]، وكانت له بذلك معالم في إبراز الوحدة الموضوعية في السورة القرآنية، وهو ما سنتناوله في المبحث القادم إن شاء الله"[41].

الفرع الثاني: الوحدة المقاصدية.

تبين لنا أنه غاب على البعض أن موضوعات السورة الواحدة تشكّل بمجموعها موضوعا واحدا تؤديه السورة أو تعرضه في عدة مراحل، وبهذا تتحقق الشخصية الكاملة،والخصائص المميزة لكل سورة من سور القرآن الكريم[42].

---

(34) - ينظر: عباس محمود العقاد: الموفق الموفق المصلح الإمام، محمود شلتوت، مجلة الأزهر، مرجع سابق، ص:647.

(35) - المرجع نفسه.

(36) - محمد محمد المدني: صفحة بيضاء من جهاد شلتوت، المرجع نفسه، ص:654.

(37) - زياد الدغامين: منهجية البحث في التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ص:108 .

(38) - ينظر مثلا: تفسير لسورة النساء، حيث ذكر الموضوع في المقدمة، تفسير القرآن الكريم، ص:137، وذكره في وسطها ص:180،186، وذكره في الخاتمة، ص :204.

(39) - وهذا ما سنتناوله في المبحث التقييم والتقويم، ص :215 .

(40) - محمود شلتوت : تفسير القرآن الكريم، ص: 274.

(41) - في المبحث الثاني من هذا الفصل، ص: 201 وما بعدها.

(42) - ينظر: زياد الدغامين: منهجية البحث في التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ص:128.

و من الملاحظ أن مقاصد السور وأغراضها شديدة الشبه بموضوعاتها، ومرتبطة بها ومتضمنة فيها؛ تسعى السور من خلال موضوعاتها لتحقيقها؛ فإذا قلنا مثلا: إن غرض وهدف سورة النساء هو تنظيم شؤون المجتمع الإسلامي، كان دالا على نفس موضوعها؛ أي: أن موضوع سورة النساء هو المجتمع الإسلامي، وأن غرضها هو تنظيم شؤون هذا المجتمع، ومثل هذا في باقي سور القرآن الكريم.

ولهذا فإنه من الخلط في تحديد موضوع السور التفريق بينها وبين أهدافها؛ بحيث لا يكون انسجام بين مقاصد السور وبين موضوعها الرئيسي وموضوعاتها الفرعية.

و قد لاحظنا أن الشيخ محمود شلتوت يستخدم ألفاظ المقاصد والأهداف والقضايا للدلالة على الانسجام والتداخل بين الأهداف وموضوع السورة.

يقول مثلا في الحديث عن موضوع سورة الأعراف ،تحت عنوان"مقصد السورة"[43]: «وتقصد سورة الأعراف إلى ما تقصد إليه كل السور المكية؛ وهو تقرير أصول الدعوة الدينية: توحيد الله في العبادة والتشريع، وتقرير البعث والجزاء، وتقرير الوحي والرسالة بوجه عام، وتقرير رسالة محمدﷺ بوجه خاص»[44].

و إذا كان هذا صحيحا، فلا بأس أن تتعدد أهداف السورة القرآنية وأغراضها مادامت كلها تصب في موضوع واحد، ترتبط بالروح العام الساري في السورة من أولها إلى آخرها وفق النظرة الكلية الشاملة للسورة بكاملها، وأن هذا التناسق بين هذه الأهداف والمقاصد ليحقق هو الآخر وحدة مقاصدية للسورة؛ ليتشكل بمجموع هذه الأهداف غرض عام تهدف السورة إلى تحقيقه.

وهذا ما طبقه الشيخ محمود شلتوت في تفسيره؛ حيث صرح بوجود أكثر من هدف للسورة الواحدة، وأن هذه الأهداف تؤدي بعد ذلك غرضا عاما تقصده السورة.

إذا كان كذلك، فلا معنى لما قاله الأستاذ عبد العزيز عزت عبد الحكيم محمود بأن تفسير الشيخ شلتوت لا يتضمن وحدة الهدف[45].

صحيح أن الشيخ شلتوت يصرّح بذلك؛ لكنه قد بيّن من خلاله سيره في تفسير السورة-غالبا- وحدة الغرض العام، كما أن الأهداف التي ذكرها، وصرّح بها متناسقة فيما بينها

---

[43] – محمود شلتوت: تفسير القرآن الكريم، ص:348.

[44] – المصدر نفسه، ص: 348.

[45] – عبد العزيز عزت عبد الحكيم محمود: الشيخ شلتوت ومنهجه في التفسير، ص: 301.

و مترابطة، ولا يفهم أنه لا رابط بينها، وأن تحقيق الوحدة المقاصدية في السورة القرآنية لا يكون إلا بهدف واحد؛ بل تتعدد الأهداف وتتحقق بها وحدة السورة وغرضها العام.

ففي تفسيره لسورة البقرة، يصرّح الشيخ شلتوت بأن للسورة غرضين أو مقصدين اثنين مبنيين على أمرين:

«**أحدهما**: أن المسلمين تركزوا جماعة مستقلة لأول دخولهم المدينة؛ فاحتاجوا إلى تشريع ينظم شؤونهم.

ثانيهما: أنه قد صار لهم جوار في المدينة غير جوارهم في ...

و أما الغرضان فهما: توجيه الدعوة إلى بني إسرائيل ومناقشتهم فيما كانوا يثيرونه حول الرسالة المحمدية من تشكيكات وشبه...

أما الغرض الثاني فهو التشريع الذي اقتضاه تكوّن المسلمين جماعة متميزة عن غيرها في عباداتها، ومعاملاتها، وعاداتها»[46].

من الملاحظ أولا على هذا الطرح، التوحيد والمزج بين الأهداف والموضوعات؛ إذ أن الأهداف الأخيرة متضمنة للأولى؛ وهذا ما يؤكد قولنا أن أهداف السورة يجب أن تنتزع وتستنبط من موضوع السورة في ذاتها.

هذا وإن النظر الظاهر الجزئي لهذا الطرح، يجزم بتعدد أهداف السورة، لكن الشيخ بعد ذلك يثبت يقينا وحدة الهدف؛ إذ يقول في ذلك[47]: «وبذلك يؤكد آخرها أولها، ويؤسس أولها لأخرها،وتصير السورة كتلة واحدة،ينتفع المسلمون الذين يهتدون بالكتاب بأحد غرضيها في معاملة أهل الملل الأخرى، وينتفعون بالغرض الأخر في تنظيم أحوالهم من عبادة ومعاملة...»؛ فغرض السورة إذن بهذا القول واحد غير متعدد.

و في سورة الأنعام، يذكر الشيخ أن أهداف السورة متعددة، حسب تعدد قضايا السورة: الألوهية، الوحي والرسالة، والبعث والجزاء[48]، ومع أن هذا التخريج غير سليم-كما سنبين ذلك لاحقا[49]-؛ إلا أنه يؤكد فيما بعد على تناسق هذه الأهداف وترابطها فيما بينها، مشكّلة بذلك وحدة الغرض؛ الذي قال عنه في نفس السورة: «أنها

---

(46) - محمود شلتوت: تفسير القرآن الكريم، ص:46.

(47) - المصدر نفسه.

(48) - المصدر نفسه، ص:282- 283، 294.

(49) - في المبحث الثالث من هذا الفصل، التقييم والتقويم، ص: 219.

نزلت بمكة لغايـــة واحـــدة؛ تركيز الدعوة بتقرير أصولها والدفاع عنها، على الوجه الذي رسمنـــاه»[50].

و قد أشار –من خلال هذا القول– إلى مسألة الدفاع عن الدعوة الإسلامية؛ خاصة وأنه نبّه من قبل أن هذه السورة كان «سلاحها في ذلك الحجة المتكررة، والآيات المصرفة، والتنويع العجيب في طريق الإلزام والإقناع»[51].

بل وأبرز منهجها الاستقلالي التميزي في مناقشة المنكرين للبعث عن باقي السور التي تعرضت لذلك؛ مما يدلنا على أن غرض السورة العام عند الشيخ شلتوت، وكما اختاره أحد الدارسين، هو أن هذه السورة هي « سورة الحجاج والبراهين»[52].

هذا وقد صرح الشيخ بوحدة الغرض العام للسور المدنية؛ حينما قال–عن– السور الأربع قبل سورة الأنعام–: « فهي بحكم مدنيتها تشترك كلها في هدف واحد؛ وهو تنظيم شؤون المسلمين بالتشريع لهم باعتبارهم أمة مستقلة...» [53].

فلو كان الاقتضـــاء في ذلك يرجع إلى الاحتـــكام الظاهري لتصريحات الشيـــخ شلـــتوت –دون اللجوء إلى النظرة العميقة لتحليلاته التفسيرية–، لكان الأولى القول بوحدة الهدف لمجموعة من السور؛ والتي لا تتضمن هدفا كاملا– تماشيا مع هذا القول الظاهر–؛ وإنما تتكامل مع غيرها من السور في تحقيق هذا الهدف العام.

و لكن الشيخ شلتوت نفسه ينفي هذا الافتراض، ويؤكد استقلالية كل سورة بغرض خاص بها، وإن كانت ترجـــع وغيرها إلى هدف كلـــي عام؛ إذ يقول– عن هذه السور المدنـــية –: «و هذه السور مع اشتراكها في أصل الهدف العام، تختلف قلة وكثرة فيما تتناوله من التشريع الداخلي الخاص بالمسلمين، والتشريع الخارجي الذي يرتبط بهم مع من يخالفهم في الدين»[54].

فهو ينبهنا – من خلال هذا القول – أن لكل سورة غرضها الخاص، وهو موضوعها التي تميزت به، والذي طرحته بأسلوبها الخاص، وبجانب معين خاص؛ حتى وإن شاركتها بعض السور في

---

[50] – محمود شلبتوت : المصدر نفسه، ص:306.

[51] – المصدر نفسه، ص: 272، 273.

[52] – عبد الحميد طهمار: بصائر الحق في سورة الأنعام، ط1، دمشق، دار القلم، 1990م، ص: 9.

[53] – محمود شلتوت: مصدر سابق، ص: 172.

[54] – المصدر نفسه، ص: 175.

نفس الموضوع والهدف- ظاهريا -؛ فلكل سورة طريقة مميزة، ومنهج خاص، فيفهم بذلك أن المقصود من قولنا: الوحدة الموضوعية والوحدة المقاصدية، هذا المعنى لا غير[55].

و هذا ما أكد عليه الشيخ شلتوت، بقوله مثلا عن سورة الأنعام«سورة الأنعام متميزة في أهدافها عما قبلها»[56]، وعما بعدها أيضا.

الفرع الثالث: الوحدة الأسلوبية.

كما أن سور القرآن الكريم متناسقة ومترابطة؛ تشكل كل واحدة منها وحدة موضوعية ومقاصدية، كذلك أسلوب هذه السورة، متميز بهذا التناسق، ومتصف بهذه الوحدة؛ فأسلوب القرآن كما قال عبد الله دراز: « ملتقى نهايات الفضيلة البيانية على تباعد ما بين أطرافها»[57].

و قد علمنا من قبل خاصية الأسلوب القرآني وأهميته في التماسك العضوي للسورة وفي تحقيق الوحدة الموضوعية لها[58].

ولقد أشار الشيخ شلتوت في تفسيره إلى جزئية من جزئيات الوحدة الأسلوبية القرآنية؛ وهي ما يتعلق بأسلوب النداء، أو الوحدة الندائية، وجعل ذلك من معالم تفسيره للسورة التي تضمنت النداءات الإلهية[59].

ومن خلال تناوله لهذه النداءات بالشرح والتفصيل، يبين بذلك المعنى العام، والغرض المقصود الذي تهدف إليه السورة وذلك بتوضيح العلاقات التكاملية، والتناسبية لهذه النداءات في تحقيق ذلك الغرض المنشود.

ففي تفسيره لسورة آل عمران، تناول نداءاتها بالبسط والتحليل، تحت عنوان"خمس نداءات إلهية لجماعة المؤمنين"[60]؛ بين من خلالها أهمية استجلاء هذا النوع من الأسلوب بقوله: « ولكننا بين يدي هذه الوقفة، نقدم كلمة عن النداءات الإلهية الواردة في القرآن الكريم، نراها مفيدة في استجلاء ناحية مهمة من أسلوب ذلك الكتاب الحكيم في التكاليف والإرشادات»[61].

---

(55) – ينظر: زياد الدغامين: منهجية البحث في التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ص: 119.

(56) – محمود شلتوت: مصدر سابق، ص:272.

(57) – عبد الله دراز: النبأ العظيم، مصدر سابق، ص108، ط دار القلم، 1993م.

(58) – عند الحديث عنه ضمن مبحث بنية السورة، من الفصل الثاني، ص :102.

(59) – ينظر محمود شلتوت: تفسير القرآن الكريم، ص: 114، 128، 129، 187، 189، 219، 234، 239، 258، 263، 268، 285، 305-306، 308، 353- 354، 363، 367، 443.

(60) – المصدر نفسه، ص :92.

(61) – المصدر نفسه، ص: 94.

ومن خلال سيره في شرح هذه النداءات الواردة في سورة آل عمران، وهي في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ﴾[62]، وفي قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾[63]، وفي قوله تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾[64]، وفي قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[65]، وفي قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[66].

و بعد ذلك يصل إلى الرابط بينها والغرض الذي يجمعها، وذلك في قوله[67]: « ...بثت عدة نداءات إلهية قوية للمؤمنين بعنوان الإيمان الذي اتصفوا به؛ كان من أبرزها خمسة تدور حول أساس واحد هو تركيز وحدتهم، وصيانة كتلتهم، والاحتفاظ بشخصيتهم كأمة متماسكة لا تختلف ولا تتفرق، ولا تسمح لعوامل الضعف والانحلال أن تتسرب إليها من داخلها أو خارجها»[68].

و يقول عنها أيضا: « هذه النداءات الخمسة التي ذكرنا أنها ترمي إلى هدف واحد في تركيز الأمة الإسلامية، وصيانتها من عوامل الضعف الداخلية والخارجية»[69].

و لا يفهم بهذا أن وحدة الأسلوب غير وحدة الموضوع والغرض للسورة القرآنية؛ بل إن هذه الوحدات الثلاث تتناسق فيما بينها، وتترابط لتبرز من خلالها الشخصية المستقلة لتلك السورة.

و الشيخ محمود شلتوت أوضح هذا في تفسيره، مبينا أن كل نداء من السورة له علاقة وطيدة بموضوع السورة وغرضها العام.

ففي تناوله للنداء الأخير من هذه السورة- آل عمران- يبين علاقته بموضوع السورة وغرضها، فيقول: « ونحن إذا تذكرنا ما عرضت له هذه السورة من مواقف المؤمنين مع أهل الكتاب يهودهم ونصرانيهم....إذا تذكرنا هذا كله، واستحضرناه أمام أعيننا، واستحضرنا أن

---

[62] – سورة آل عمران: الآية100.

[63] – سورة آل عمران: الآية 102

[64] – سورة آل عمران: الآية 118- 120.

[65] – سورة آل عمران: الآية 130.

[66] – سورة آل عمران: الآية 200.

[67] – محمود شلتوت: المصدر نفسه، ص: 92.

[68] – المصدر نفسه.

[69] – المصدر نفسه، ص:93.

القيام به ليس بالشيء الهين اليسير، عرفنا كيف قضت الحكمة بأن تختم هذه السورة بالإرشاد إلى العلاج فيما حدث، والوقاية مما عسى أن يحدث، ولا يكون هذا العلاج إلا بالصبر والمصابرة ولا تكون هذه الوقاية إلا بالرباط...» [70].

و يربط بين موضوع سورة الأنفال والنداءات الواردة فيها، فيقول:«.... و لم يفت السورة مع هذا كله- مشكلات المؤمنين في غزوة بدر- أن تعرّض لما يجب أن يكون عليه المؤمنين – وخاصة في وقت الجهاد- بالنسبة للأعداء من شجاعة وثبات وصمود، وبالنسبة لله ورسوله من الطاعة وسرعة الانقياد والأمانة والتقوى، وبالنسبة لأنفسهم من وحدة وتعاون وصبر وصدق نية حتى يظفروا بالنظر والفلاح.... وفي سبيل هذا ناداهم الله ست مرات بوصف الإيمان....» [71].

غير أن ما يلاحظ في إيراداته في تفسيره لهذه النداءات؛ أنه يرجعها إلى نداء واحد جامع لها، ومتضمن لمعانيها الخاصة بها.

ففي النداء الأخير لسورة آل عمران يقول عنه:« وقد ختمت السورة بهذا النداء الجامع القوي، الذي يدخل فيه كل ما سبقه من النداءات، والذي يعد برأسه مع هذا الاختصار دستورا للفلاح والنجاح لا يعادله دستور» [72].

و يبرز الجانب التميزي للنداء السادس من سورة المائدة في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[73]، وذلك بقوله: «وإذا قورن هذا النداء بغيره من النداءات التي وردت في هذه السورة، فإنه يظهر له مكانه خاصة تأخذ به عن مستوى النداءات كلها... ذلك أن النداءات السابقة عليه واللاحقة له يتعلق كل واحد منها بناحية معينة من نواحي التشريع...أما هذا النداء فإنه يتعلق بملاك الأمر كله وأساس الامتثال في جميع النداءات... و هو تقوى الله وابتغاء الوسيلة إليه، والجهاد في سبيله» [74].

إن الشيخ شلتوت يبيّن لنا- من خلال هذه النماذج وغيرها- تكامل أساليب النداء في السورة القرآنية في إطار وحدة بنائية عامة متناسقة مع موضوع السورة وغرضها المنشود، كما يبرز

---

[70] – المصدر نفسه، ص:129.

[71] – المصدر نفسه، ص: 128.

[72] – المصدر نفسه، ص: 128.

[73] – سورة المائدة: الآية 35.

[74] – محمود شلتوت، المصدر نفسه، ص:268-269.

– من خلال هذا التحليل- علاقات النداءات فيما بينها، وتفرد نداء واحد من بينها هو بمثابة الأساس لها، والجامع لمعانيها وأغراضها.

المطـــلب الثـــاني: مواضع الوحدة الموضوعـــية في تفسيره.

قد صرح الشيخ شلتوت في تفسيره بالوحدة الموضوعية لكل ســـورة من السور التي فســـرّها، وهي كالآتي:

الفـــرع الأول: الوحدة الموضوعـــية في سورة الفاتحة.

يقول الشيخ شلتوت:« ونحن إذا ألقينا إلى ما سبق نظرة إجمالية وجدنا هذه السورة الكريمة قد استوعبت ما يتوقف عليه كمال الإنسان وسعادته في الدنيا والآخرة؛ ذلك بأن كمال الإنسان إنما هو باستكمال قوتين: قوة النظر والعلم، وقوة الكسب والعمل؛ فبالأولى يدرك الحق ويؤمـــن به، ويغذي به نفسه وعقله،وبالثانية يسلك طريق الخير والفلاح والهدى والرشاد»[75].

ثم يشير إلى تناسب مقاطع السورة مع هذا الموضوع، فيقول في ذلك: « والفاتحة تكفل نصفها الأول ببيان الحقيقة التي هي أساس هذا الوجود، وأصل السعادة المطلقة بتقرير ربوبية الله للعالمين، ورحمته ورحمانيته، وتفرده بالسلطان في يوم الدين والجزاء، وهذا هو الحق الذي بإدراكه تكمل قوة العلم والمعرفة، وتكفل نصفها الثاني ببيان أساس الخطة العملية في الحياة ،سواء في العبادات، أوفي المعاملات ...، وإن المتتبع للقرآن جميعه، الواقف على مقاصده ومعارفه؛ يرى أنه جاء تفصيلا لما أجملته هذه السورة، وحددته من طريقي الكمال الإنساني في قوتيه »[76].

الفـــرع الثـــاني: الوحدة الموضوعـــية في سورة البقرة.

يقول الشيخ محمود شلتوت :«... ويأتي الغرضان في آية البر مجملين «ليس»و« لكن»، فتنـــفي«ليس» أن يكون البر شيئا مما درج عليه الحرفيون ،أصحاب المظاهر الجوفاء [77]...، وتثبت « لكن» أصول الإيمان الحق والعمل الصالح، على أنها هي البر الصحيح ...» [78].

---

[75] – المصدر نفسه، ص: 32 ،274.

[76] – المصدر نفسه، ص:33.

[77] – ينظر في تفصيل هذا الغرض : صابر طعيمة : بنو إسرائيل في ميزان القرآن الكريم، دار الجيل، ص:21 وما بعدها.

[78] – محمود شلتوت : مصدر سابق، ص: 46، 269- 270.

الفـــرع الثـــالث: الوحدة الموضوعـــية في سورة آل عمران .

يقول الشيخ محمود شلتوت :« ثم تجيء سورة آل عمران فتصرف عناية خاصة إلى مناقشة النصارى في قضية الألوهية، وإلى كشف بعض صور التزييف التي كان يصطنعها أهل الكتاب إخفاءً لحق الإسلام ودعوته، ثم ترشد المسلمين إلى ما يحفظ عليهم شخصيتهم، ويقيهم شر الوقوع في مخالب الأعداء...» [79].

الفـــرع الـــرابع: الوحدة الموضوعـــية في سورة النساء.

يقول في ذلك:« سورة النساء تعالج الاستقرار الداخلي والاستقرار الخارجي»[80] .

وقريب منه قول الشيخ محمد الغزالي :« فمحور السورة كلها العلاقات الاجتماعية وضرورة إحكامها وتسديدها »[81].

الفـــرع الخـــامس: الوحدة الموضوعـــية في سورة المائدة.

يقول في ذلك :«وهكذا تبنى السورة من أولها إلى آخرها على حرفين واضحين :

أحدهما: حث المؤمنين على التزام المواثيق والعهود ،وتحذيرهم عاقبة إهمالها، أو الإخلال بشيء منها.

والآخر: النعي على أهل الكتاب نقضهم مواثيق الله ...» [82].

ولقد وافق الإمام البقاعي في ذلك؛ والذي قال :« مقصودها الوفاء بما هدى إليه الكتاب ودل عليه ميثاق العقل من توحيد الخالق، ورحمة الخلائق، شكرا لنعمه، و استدفاعا لنقمه ،وقصة المائدة أدل ما فيها ... وتسميتها بالعقود أوضح دليل على مقصودها » [83].

الفـــرع الســـادس: الوحدة الموضوعـــية في سورة الأنعام.

يقول الشيخ محمود شلتوت :« إنما نجد الحديث فيها يدور بشدة، وقوة حول العناصر الأولى للدعوة، ونجد سلاحها في ذلك الحجة المتكررة، والآيات المصرّفة، والتنويع العجيب في طريقي الإلزام والإقناع ...» [84].

ويقول أيضا :« أن سورة الأنعام تعنى بتفصيل الشبه التي وُجهت إلى الدعوة، كما تعنى

---

[79] – المصدر نفسه، ص: 277- 278 .

[80] – المصدر نفسه، ص:137.

[81] – محمد الغزالي : نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم، مصدر سابق، ص: 47.

[82] – محمود شلتوت: المصدر نفسه، ص: 207، 281 .

[83] – برهان الدين البقاعي: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، مصدر سابق، 2/ 384.

[84] – محمود شلتوت : مصدر سابق، ص :282- 238، 293.

بتفصيل البراهين الدالة على صدقها، وبتفصيل ما أحل الله وما حرّم ...» [85].

الفـــرع الســـابع :الوحدة الموضوعـــية في سورة الأعراف.

يقول الشيخ محمود شلتوت :« وتقصد سورة الأعراف إلى ما تقصد كل السور المكية؛ وهو تقرير أصول الدعوة الدينية: توحيد الله في العبادة، وتقرير البعث والجزاء، وتقرير الوحي والرسالة بوجه عام ...» [86].

ويقول عنها في موضع آخر :« وأمّا سورة الأعراف؛ فإنها وجهت عنايتها إلى تفصيل الإنذار بما أعد للمكذّبين في الدار الآخرة، وبما أصاب أسلافهم في الدنيا من عذاب» [87].

الفـــرع الثـــامن: الوحدة الموضوعـــية في سورة الأنفال.

يقول الشيخ محمود شلتوت :« وقد جاءت سورتا الأنفال والتوبة تعالجان بعض النواحي الحربية التي ظهرت في إثر بعض الغزوات، وقد تضمنتا كثيرا من التشريعات الحربية، والإرشادات التي يجب على المؤمنين إتباعها فيما بينهم،وفيما بينهم وبين المحاربين والمسالمين »[88] .

ويقول أيضا :«...وهكذا كانت غزوة بدر؛ كانت نصرا للمؤمنين ،وهزيمة للمشركين ... هذا هو الجو الذي نزلت فيه سورة الأنفال ،وهذا مجمل ما تضمنته من مبادئ وإرشادات » [89] .

الفـــرع التاســـع: الوحدة الموضـــوعية في سورة التوبة.

قد مرّ بنا ما قاله الشيخ في سورة الأنفال،وممّا قاله أيضا في هذه السورة :«وقد عرضت السورة في تضاعيف الحديث عنهما(هدفي السورة) إلى بيان كثير من الأحكام والإرشادات التي تحتاج إليها الدولة الناشئة الفتية في علاقاتها الخارجية مع غيرها ،وعلاقاتها الداخلية فيما بين أفرادها بعضهم مع بعض، وفيما بينها وبينهم »[90].

---

[85] – المصدر نفسه، ص:292.

وينظر في نفس الموضوع : محمد علي الصابوني : إيجاز البيان في سور القرآن، الجزائر، مكتبة رحاب، ص: 24.

[86] – محمود شلتوت : مصدر سابق، ص: 348، 352.

وينظر : منى بنت عبد الله بن داؤود : منهج الدعوة إلى العقيدة في ضوء القصص القرآني، ط1، دار ابن حزم، ص: 292.

[87] – محمود شلتوت : مصدر سابق، ص: 292.

[88] – محمود شلتوت : مصدر سابق، ص:399

[89] – محمود شلتوت : مصدر سابق، ص: 399- 400، وعبد الحميد طهماز : أسباب النصر في سورة الأنفال، ص:5- 6.

[90] – محمود شلتوت : مصدر سابق، ص: 462.

و عبد السلام محمد : دراسات في القرآن الكريم، مكتبة الفلاح، ص:344 وما بعدها.

ويقول أيضا:«نزلت سورة التوبة ترسم منهاجا للمؤمنين ما يتخذونه أساسا لدولتهم، ومنهاجا لحياتهم ... بالنسبة للمشركين، وبالنسبة لأهل الكتاب، وبالنسبة للمنافقين » [91].

المطلب الثالث: مسميات الوحدة في تفسيره.

من خلال استقرائنا لتفسير الشيخ شلتوت، تبين لنا استخدامه تسميات عديدة للوحدة الموضوعية المقاصدية من جهة، والوحدة الأسلوبية من جهة أخرى؛ تسميات اصطلح بها، وإن كان لبعضها سمة الطابع الشخصي في التسمية.

الفرع الأول: الوحدة.

وهذه من التسميات المتفق عليها؛ بل هي أصلها الدال عليها[92]؛ ففي أثناء تفسيره سورة التوبة –وبعد أن يستخلص موضوعها العام نتيجة منهج الموازنات – يصرّح بهذه التسمية قارنا معها مسمى «الاستقلالية»؛ لأنها دالة عليها ومعبرة عنها .

يقول مبينا ذلك: «وإذ فرغنا من الكلام على أسماء السورة وعلى وحدتها واستقلالها، فلنتناول موضوعاتها[93] بالتفصيل المناسب»[94]، ويقول عن السورة بأنها «سورة مستقلة»[95].

الفرع الثاني: العقد .

وهو مصطلح يدل بعمق على الوحدة العامة في السورة؛ إذ السورة في وحدتها وتكاملها وتناسب موضوعاتها الجزئية كحبات العقد الواحد، متسلسلة فيما بينها، لا ترى بينها عوجا ولا تناقضا، بل هي كلّ متكامل .

ففي سورة البقرة يبين موضوعها العام الوارد في وسط السورة كما سيأتي لاحقا[96] معبرا عن تناسب موضوعاتها مع وسط السورة بهذا الوصف .

فتحت عنوان «واسطة العقد من سورة البقرة»، يقول فيه: «...هذه حبات جانبي العقد الذي ينتظم موضوعات سورة البقرة، والتي جاءت آية البر واسطة لها...» [97].

---

[91] – محمود شلتوت : مصدر سابق، ص 464.

[92] – ينظر : عبد الحي الفرماوي : البداية في التفسير الموضوعي، ص:40، وعبد الستار فتح الله سعيد: المدخل إلى التفسير الموضوعي، ص: 24- 25 وغيرهما.

[93] – المقصود بالموضوعات هنا الموضوعات الجزئية للسورة، ما بيّنا سابقا، ص: 185 من هذه الرسالة.

[94] – محمود شلتوت : تفسير القرآن الكريم، ص: 465.

[95] – المصدر نفسه، ص: 464.

[96] – من خلال المبحث الثاني: ملامح الوحدة الموضوعية للسورة القرآنية، ص: 206 من هذه الرسالة.

الفـــرع الثالث: الشخصـــية الواحدة.

وهذا المصطلح مما استخدمه أيضا بعض المفسرين المعاصرين، وهو سيد قطب؛ الذي يقول في تفسيره: «ولقد لا حظنا –كما أثبتنا ذلك مرارا في التعريف بالسور– أن هناك شخصية خاصة لكل سورة...»[98].

وأما الشيخ محمود شلتوت فيقول عن سورة الفاتحة: «وأطلق عليها «أم القرآن» فأخذت بهذا الاعتبار شخصية تكاد تكون مستقلة في المنهج، وفي المقصـــد عن سائر ســـور القرآن مكـــية ومدنية، وصارت نسبتها إلى جميع سور القرآن بهذه الشخصية واحدة...» [99].

الفـــرع الرابع: الكتـــلة الواحدة .

وذلك أثناء حديثه عن ارتباط موضوعات سورة البقرة، وتناسبها فيما بينها، محققة بذلك الوحدة الموضوعية للسورة يقول في ذلك –بعد الحديث عن موضوعاتها–: «وبذلك يؤكـــد آخرها أولها، ويؤسس أولها لآخرها وتصير السورة كتلة واحدة» [100].

الفرع الخامس: سلك واحد، وصورة كاملة .

يعبر المصطلح الأول منها عن التناسق والتناسب بين موضوعات السورة؛ حتى كأنها سلك واحد، وهو مرادف لمصطلح العقد الذي مر بنا .

وأما المصطلح الثاني–صورة كاملة–؛ فيزيد على المعنى الأول وحدة الموضوع، ووحدة الغرض، والتي تكون بعد التناسق والتناسب.

يؤكد الشيخ محمود شلتوت ذلك دائما في سورة البقرة بقوله: «وقد سلكنا في جميع سبيلا غير التي ألفها الناس في التفسير؛ لنضع بين يدي القارئ الموضوعات التي عرضت لها السورة فيما قبل هذه الآية، والموضوعات التي عرضت لها فيما بعدها، في سلك واحد يجمع بين حبات كل جانب، ويعطي للناظر إليها صورة كاملة لجميع ما احتوت عليه تلك السورة الكريمة ...» [101] .

---

[97] – محمود شلتوت : تفسير القرآن الكريم، ص: 66.

[98] – سيد قطب: في ظلال القرآن، مصدر سابق، 4/ 111- 112.

[99] – محمود شلتوت: مصدر سابق، ص:274.

[100] – المصدر نفسه، ص:46.

[101] – المصدر نفسه، ص: 66.

الفـــرع السادس: القضايا الكـــبرى.

وهو مصطلح استخدمه في الحديث عن موضوع سورة الأنعام حيث يقول تحت عنوان «القضايا الكبرى التي شغلت العقول »[102]: «وهذه القضايا[103] هي:

1-قضية الألوهية وعبادة الله وحده.

2-قضية الوحي والرسالة.

3-قضية البعث والجزاء»[104] .

الفـــرع السابع: أساس واحد، وقوانين كلية .

وهما مصطلحان استخدمهما في الدلالة على الوحدة الأسلوبية للسورة القرآنية؛ فالمصطلح الأول-أساس واحد- وظّفه في سورة آل عمران؛ إذ يقول متحدثا عن نداءاتها-: «...كان من أبرزها خمسة تدور حول أساس واحد وهو تركيز وحدتهم ...»[105].

أما المصطلح الثاني-قوانين كلية- فوظّفه في سورة النساء؛ في توجيه النـــداءات الواردة فيها؛ إذ يقول فيها: «...ونحب أن نضع هذه النداءات جميعها أمام المسلم «الدارس للقرآن» مع تعليق وجيز على كل نداء منها لتكون بيده أشبه بقوانين كلية؛ له أن يستنبط منها ما تحتاج إليه الأمة من وسائل تنظيمها في أهم شئونها»[106].

المبحث الثاني: ملامح الوحدة الموضوعية للسورة القرآنية عن الشيـــخ محمود شلـــتوت في تفسيره.

قد علمنا من قبل أن الشيخ شلتوت كان ممن يثبتـــون الوحدة الموضـــوعية في السورة القرآنية، وقد كان له منهج مميز في ذلك، تطرقنا إلى بعضه في منهجه الموضوعي في التفسير، ومن خلال هذا المنهج برزت ملامح خاصة، ومعالم منهجية في بيان الوحدة الموضوعية في السورة القرآنية، وسنتناولها في المطالب التالية:

---

[102]- المصدر نفسه، ص:294.

[103] - لنا عودة في مبحث التقييم والتقويم لمناقشة هذا الاستنباط، ص: 219 وما بعدها .

[104]- محمود شلتوت : المصدر نفسه، ص:294.

[105]- المصدر نفسه، ص:92.

[106]- المصدر نفسه، ص:187.

المطلب الأول: فواتح السور وتسميتها.

لفواتح السور-كما قال البلاغيون- مكانة خاصة في التمهيد للموضوع المعالج؛ ذلك أن السورة تتضمن ديباجة وموضوعا وخاتمة مترابطة بينها كما قال عبد الله دراز[107]، وأن معالم الابتداء الحسن« اشتماله في أول الكلام على ما يناسب الحال المتكلم فيه،فيما يعرف ببراعة الاستهلال »[108].

والشيخ محمود شلتوت أشار إلى هذا في تفسيره، وبين فيه علاقة مطلع السورة بموضوعها، وذلك في أمثلة عديدة .

ففي تفسيره لسورة النساء يبين علاقة مطلعها لموضوعها (معالجة الاستقرار الداخلي والاستقرار الخارجي للمجتمع المسلم)[109]؛ حيث يقول في ذلك بعد أن ذكر الآية الأولى من قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾[110]، يقول:«هذا الوصف (الإنسانية) هو الحقيقة المشتركة بين بني الإنسان؛ التي جعلت منهم أسرة واحدة ذات رحم واحدة، وهو بعد ذلك عنوان على خاصية العقل ...وأن وحدة الحقيقة والرحم تدعو إلى تبادل العطف والرحمة، وأن يأخذ القوي من أبناء تلك الحقيقة وهذه الرحم بيد الضعيف منهم ...وفي هذا حفز قوي نحو امتثال ما صدرت به السورة من أحكام الضعفاء من اليتامى والنساء والسفهاء»[111].

إن هذه الآية الفذة لتدل دلالة واضحة على وجوب الحفاظ على الاستقرار الداخلي لهذا المجتمع، بحق مساءلة الله والأرحام الذين ورد في السورة ما يحث على العناية بهم وتكفلهم، وتدل أيضا على وجوب الحفاظ على الجبهة الخارجية للمجتمع الإسلامي، وذلك برد شبهات الغير –أهل الكتاب- وقمع عداوتهم، فالخطاب لا شك أنه يشملهم –بهذا العموم-؛ وذلك باعتبار هذه الحقيقة المشتركة بين بني الإنسان جميعا بما فيهم مسلمهم وكافرهم .

---

(107) – محمد عبد الله دراز : مدخل إلى القرآن الكريم، ص:128.

(108) – جلال الدين السيوطي: معترك الأقران في إعجاز القرآن، مصدر سابق، 75/1.

(109) – محمود شلتوت: تفسير القرآن الكريم، ص:137.

(110) – سورة النساء: الآية 01.

(111) – محمود شلتوت: مصدر سابق، ص:188.

وأوضحُ من هذا علاقة مطلع سورة الأنعام بموضوعها عند الشيخ شلتوت (القضايا الكبرى: الألوهية، الرسالة، البعث) [112].

يقول عز وجل:﴿ الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِم يَعْدِلُونَ﴾ إلى قوله ﴿ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴾ [113].

فتحت عنوان «الآيات الأربع الأولى تقرر هذه القضايا»[114] يقول: «وقد بدأت سورة الأنعام فركزت اتجاهها نحو هذه القضايا الثلاث بآياتها الأربع الأولى؛ فقررت في أولاها ما يوجب النظر فيه توحيد الله سبحانه في الألوهية...وأهابت بالعقول إلى أنه هو الذي خلق العالم العلوي والعالم السفلي في مادته وجوهره ...وقررت ثانية الآيات الأربع ما يوجب الإيمان بقضية البعث والجزاء: ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلاً وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ ﴾ [115]، وإذا كان الله هو الذي خلق الإنسان من طين وعاقب عليه أطوار الخلق...فكيف يمتري هذا الإنسان ويشك في أن له نشأة أخرى ...

وتقرر الآية الثالثة خاصية الألوهية من العلم الشامل وعموم القدرة ﴿ وَهُوَ اللّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴾ [116]...

ثم تجئ الآية الرابعة، فتقرر أن لله آيات يبعث بها أنبياءه إلى خلقه، وهي آيات الشرائع والأحكام...ولكن الناس يعرضون ويكذبون » [117].

وفي سبيل إثبات ذلك يعطي أمثلة من السورة، ويقرر بها آيات كل قضية من هذه القضايا الثلاث، والتي تحدثت عنها مقدمة السورة [118]،ومثل ذلك في سورة المائدة[119] والأنفال[120]، والتوبة[121].

---

(112) – المصدر نفسه، ص:294.

(113)– سورة الأنعام : الآية 1-4.

(114) – المصدر نفسه، ص:294.

(115) – سورة الأنعام : الآية 02.

(116)– سورة الأنعام : الآية 03.

(117) – محمود شلتوت: المصدر نفسه، ص:296.

(118)– المصدر نفسه، ص:296-300.

(119)– المصدر نفسه، ص:206.

(120) – المصدر نفسه،ص: 399-400.

(121)– المصدر نفسه، ص:463-464.

وكذلك الأسماء ذوات إشارة عظيمة، ومعان كبيرة، تدل على عظمة المسمى به[122]، وعلى مضمون السورة فيها .

ومن أوضح الأمثلة على ذلك في تفسير الشيخ محمود شلتوت، ما تناوله في سورة الأنفال؛ حيث ذكر أن من بين التسميات الأخرى والتي عرفت بها السورة «سورة بدر» إشارة إلى غزوة بدر الكبرى، ثم ربط بينها وبين الأنفال ثم بين موضوع السورة من جهة أخرى (انتصار الحق على الباطل، أسبابه ومقوماته).

يقول في ذلك: «...سورة الأنفال نزلت بمناسبة غزوة بدر، وقد أطلق عليها ذلك بعض الصحابة «سورة بدر»، ...وكانت هي الجولة الأولى من جولات الحق في تقليم أظافر الباطل ...(الذي) مهما طال أمده، ولمع برقه، وامتد سلطانه، وقويت شوكته، فلابد له من يوم يخر فيه صريعا أمام روعة الحق، وقوة الإيمان، وهكذا كانت غزوة بدر...» [123].

ويعلل التسمية الأخرى –الأنفال– بقوله:«...وقد كان للمسلمين في تلك الغزوة شئون ...منها في الغنائم التي حصلوا عليها: أيختص بها الشباب المحاربون أم يشاركهم فيها الحرّاس وأصحاب الرأي...» [124].

وكذلك ربط اسم العقود بموضوع سورة المائدة (التزام المواثيق)، بجامع أصل الوفاء، وباسم المائدة بإعطاء نموذج واقعي لهذا الموضوع [125].

وكذلك ربط اسم التوبة بسورة التوبة وموضوعها (حفظ الدولة الإسلامية)، بجامع تقوية رجال الدولة الإسلامية، وتبصيرهم بأخطائهم، وباسم براءة للدلالة على ضرورة قيام الدولة الإسلامية على سيادتها الترابية والدينية؛ وذلك بتصفية المشركين من جزيرة العرب، وإعلان البراءة منهم، وجعلها خالصة لدين الإسلام .

بل وأورد أسماء أخرى للسورة؛ تعالج بعض المواقف التي حدثت في إطار مكان الدولة (تأمين الحدود)، وزمنها (غزوة تبوك)، وهذه الأسماء هي: الحافرة، المثيرة، الفاضحة، المنكلة؛ إذ

---

[122] – ينظر : سيف الجابري: أسماء السور القرآنية، دلالات وإشارات، ص:53-54.

[123] – محمود شلتوت: مصدر سابق، ص:399.

[124] – المصدر نفسه، ص: 399-400.

[125] – المصدر نفسه، ص:206-207.

يقول الشيخ عنها: «وهي ألقاب أطلقت عليها باعتبار ما قامت به من حفر قلوب المنافقين، وإثارة أسرارهم، وفضيحتهم بها، وتنكيلها لهم...»[126].

المطلب الثاني: مقاصد وأهداف السـورة.

لقد وعى الشيخ شلتوت أن «مقاصد القرآن إنما هي في إصلاح أفراد البشر وجماعتهم ...وإدخالهم في طور الرشد، وتحقيق أخوتهم الإنسانية، وترقية عقولهم، وتزكية أنفسهم »[127].

وهذه المقاصد تقل وتكـثر في كل سورة من سور القرآن، حسب منهج كل واحـدة منها، وغرضها الخاص في علاج موضوعها، وقد بيننا من قبل أن أهداف السـورة لا تنفـك عن موضوعاتها، وإن التفريق بينها يعد من النظر الجزئي للسورة[128].

من الأمثلة الكثيرة في تفسير الشيخ شلتوت، والتي تعد ملمحا أساسيا في منهج الشيخ الموضوعي –من ملامح الوحدة الموضوعية في تفسيره–، ما تناول به مقاصد الحرب والمعاهدات مع المشركين في سورة التوبة؛ والتي لخصها في هدفين أساسين: «**أحدهما:** تحديد الروح المعنوي ، والقانون الأساسي الذي تشاد عليه دولة الإسلام، وذلك بالتصفية النهائية بين المسلمين و مشركي العرب بإلغاء معاهداتهم، ومنعهم من الحج، وتأكيد قطع الولاية بينهم وبين المسلمين، وبوضع الأساس في قبول أهل الكتاب في جزيرة العرب وإباحة التعامل معهم.

وثانيهما: إظهار ما كانت عليه نفوس أتباع النبي –ﷺ– حينما استغفرهم ودعاهم إلى غزوة الروم، وكشف المنافقين بذلك[129].

إن هذين الغرضين، ليرتبطان بموضوع السورة (رسم أساس الدولة الإسلامية وصيانتها من عناصر الفتنة)، أوثق ارتباط، وقد وزع الشيخ أهدافا جزئية مرحلية في السورة تخدم هذا الغرض العام، فبين مراحل الجهاد السابقة على غزوة تبوك[130] ،ثم الغرض من الحرب ونتيجتها[131] ثم

---

(126) – المصدر نفسه، ص:463-464.

(127) – محمد رشيد رضا : الوحي المحمدي، دار الكتب، الجزائر، ص:166.

(128) – كما علمنا ذلك أثناء الحديث عن الوحدة المقاصدية، ص : 189 وما بعدها.

(129) – محمود شلتوت: مصدر سابق، ص:451.

(130) – ينظر المصدر نفسه، ص:454-460.

(131) – ينظر المصدر نفسه، ص:462.

الحكمة في نقض المعاهدات مع المشركين وإعلان البراءة منهم[132]، ثم الحكمة في إيفائهم مهلة الإجلاء، وإتمام العهد للموفين[133]، ثم الحكمة في الأمان ونبذ المشركين وعهودهم[134] .

وفي الغرض الثاني الحديث عن معالجة نفوس المؤمنين، وشحنها للجهاد في سبيل الله، وكشف المنافقين وفضحهم على رؤوس الأشهاد[135].

إن أهداف السورة التي فصل الشيخ فيها القول[136]، تتناسق فيما بينها مشكلة لنا وحدة الغرض العام لهذه السورة من جهة، ومعبرة –بحقيقة– عن مساهمتها في علاج موضوع السورة، وفي تحقيق وحدته العامة، وتفسيره لم يخلُ من هذه التوجيهات[137].

المطلب الثالث: وسط السـورة.

وهو من الملامح الجديدة في تفسير الشيخ شلتوت في كشف موضوع السورة؛ وهو ملمح يتخذ التناسب الداخلي في السورة أساسا له؛ بحيث يربط بين طرفي السورة –والذي عالج كل واحد منهما هدفا خاصا به– وبين وسطها ربط عجيبا محكما، قلما وجدنا غيره في ذلك من تنبه إلى هذا–حسب علمنا–، متوصلا بذلك إلى موضوع السورة من خلال هذا الربط المحكم .

نراه يطبق هذا المنهج في تفسيره سورة البقرة؛ والتي بين أن موضوعها– كما عرفنـا من قبل – هو: حقيقة البر، الوارد في آية البر من قوله تعالى: ﴿ لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ... ﴾[138]، والتي تقع في وسط السورة ؛حيث ربطها بغرضيها الأساسين (مناقشة بني إسرائيل في شبهاتهم، والتشريع للجماعة المسلمة).

يقول عن هذين الغرضين: «ويأتي الغرضان في آية البر: مجملين «ليس» و«لكن»، فتنفي «ليس» أن يكون البر شيئا مما درج عليه الحرفيون، أصحاب المظاهر الجوفاء، الذين يتمسكون بمثل تولية الوجوه قبل المشرق أو المغرب، وتثبت «لكن» أصول الإيمان الحق والعمل الصالح على أنها هي البر الصحيح، والواقع العملي للتقوى والمتقين...»[139]؛ وهو التقوى أو البر كما عرفنا ذلك من

---

(132) – ينظر المصدر نفسه، ص:466-472.

(133)– ينظر المصدر نفسه، ص:472-477.

(134)– ينظر المصدر نفسه، ص:478-485.

(135) – ينظر المصدر نفسه، ص:485 وما بعدها .

(136) – ينظر في مقاصد الحرب: محمد رشيد رضا: الوحي المحمدي، مرجع سابق، ص:305-318.

(137) – ينظر محمود شلتوت: تفسير القرآن الكريم، ص:77، 86، 352، 486.

(138)– سورة البقرة، الآية 177.

(139) – محمود شلتوت: المصدر نفسه، ص:46.

قبل[140].

وبهذا الوجه الجديد من أوجه المناسبات الداخلية للسورة القرآنية تصير السورة كلها كتلة واحدة، منتظمة موضوعاتها في سلك واحد، يتوسطها موضوع السورة .

المطلب الرابع: التناسب بين السورة وموضوعها .

ونعني بذلك التناسب بين العلاقات الداخلية للسورة، وبين تحقيقها لموضوعها العام، ووحدته الأساسية.

ولعل أهم هذه العلاقات الداخلية للسورة؛ التناسب بين المطلع والموضوع[141]، وبين المطلع الذي ذكر فيه الموضوع وبين آيات السورة [142]، وبين المطلع والخاتمة[143] ،وبين المنهج والخاتمة[144]، وبين الخاتمة والموضوع[145]، وغير ذلك[146].

من الأمثلة على التناسب بين المطلع والموضوع؛ ما عرفناه من قبل في التناسب بين الآيات الأربع الأولى لسورة الأنعام وبين موضوعها[147].

ومن الأمثلة في التناسب بين المطلع وآيات السورة، ما ذكره في سورة الأعراف، من الربط بين الآيات التي عالجت قصص الأنبياء والمرسلين في السورة وبين مطلعها في قوله تعالى: ﴿ وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ ﴾ [148]؛ حيث بيّن أن في ذكر هذه القصص «استعراضا تاريخيا لما كان بين الرسل وأقوامهم وما صار عليه هؤلاء الأقوام بعد تكذيب الرسل، والخروج على أمر الله»[149]، وأن هذا التفصيل لهذا المجمل يخدم غرض السورة وموضوعها في «تقرير أصول الإيمان عن طريق الرسل والأنبياء»[150].

---

(140) – في الوحدة الموضوعية في سورة البقرة، في المبحث الأول من هذا الفصل، ص: 196.

(141)– ينظر: محمود شلتوت: المصدر نفسه، ص: 19، 188، 295.

(142) – ينظر: المصدر نفسه، ص :357، 386، 433، 504، 164.

(143) – ينظر: المصدر نفسه، ص: 66، 277، 303، 359، 388، 403.

(144)– ينظر: المصدر نفسه، ص:287.

(145)– ينظر: المصدر نفسه، ص:128، 129، 279، 283، 403.

(146) – عرفنا ذلك من قبل في منهجه في اعتماد التناسب ضمن منهجه في تفسيره الموضوعي،ص:157.

(147) – في الحديث عن فواتح السور، من هذا المبحث، ص: 202.

(148)– سورة الأعراف: الآية 04.

(149)– محمود شلتوت: مصدر سابق، ص:387.

(150)– المصدر نفسه، ص: 348.

بل إن في ذلك تحقيقا للوحدة الأسلوبية للسورة؛ والتي تتمثل في ازدواجية التذكير بالنعم والتخويف بالعذاب، محققة بذلك اكتمال أسلوب الحجة في إقامة الحق، وقطع العذر في ذلك.

يقول عن أسلوب التخويف: «وبهذا استكملت السورة ناحيتي التحذير والتخويف، فخوفت بالمصير الدنيوي (قصص الأنبياء)، كما خوفت بالمصير الأخروي، وجلت الخطر الذي يتربص بالمكذبين تجلية عظمى ليس بعدها عذرا لمعتذر »[151].

ويزيدنا توضيحا لهذا الوجه التناسبي بين مقاطع السورة وبين مطلعها ، مؤكدا بذلك بأن كل مقطع من مقاطع السورة يتناسق بوجه من الوجوه مع مطلع السورة –إضافة إلى وجوه المناسبات الأخرى الداخلية والخارجية– ليدلا معا على وحدة موضوع السورة وغرضها العام؛ فيقول:«وقد أجملت السورة العذاب الدنيوي في الآيتين الرابعة والخامسة...أما العذاب الأخروي فقد أجملته السورة في الآيات من السادسة إلى التاسعة...»[151].

ومن الأمثلة على التناسب بين المطلع والخاتمة، ما ذكره في سورة الأنفال من التناسب بين مطلعها بذكر أوصاف المؤمنين وبين خاتمتها في قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مِن بَعْدُ وَهَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ مَعَكُمْ فَأُوْلَئِكَ مِنكُمْ وَأُوْلُواْ الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللّهِ إِنَّ اللّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾[152] في توضيح موضوع السورة .

يقول في ذلك: «وانظر كيف بدأت السورة وختمت بأوصاف المؤمنين حقا، وفي هذا، وفيما ذكرت من نعم الله على المؤمنين يتضح لنا مدد النصر الذي يعده الله لعباده المخلصين، وهو مدد دائم يتبع الإيمان والإخلاص أينما وجدا »[153].

ثم يزيد تبينها على ذلك، فيقول: «هذا هو الجو الذي نزلت فيه سورة الأنفال، وهذا هو مجمل ما تضمنته من مبادئ وإرشادات »[154].

ومن أمثلة التناسب بين منهج السورة وخاتمتها في بيان وحدة الموضوع؛ ما تناوله في تحديد موضوع سورة الكهف الذي هو: التربية الخلقية التشريعية، وبذكر قصصها الدالة عليها كقصة الفتية، وقصة موسى– عليه السلام– مع فتاة ومع العبد الصالح، وقصة ذي القرنين، ثم يربط موضوعها بمنهجها قائلا: «وكل هذه القصص مما لا سبيل إلى معرفته والاعتبار بمغزاه إلا عن طريق الوحي

---

(151)– المصدر نفسه، ص:387، ص:357– 358 بتصرف.

(152)– سورة الأنفال : الآيتين 74–75.

(153)– محمود شلتوت: مصدر سابق، ص:403.

(154) – المصدر نفسه.

وإنزال الكتاب، ثم يكون ختام السورة مقررا لمنهجها الخاص بنوع التربية:﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاء رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ [155]»[156].

المطلب الخامس: مناسبة موضوع السورة لواقع التنزيل.

وهو من الملامح الجديدة في تفسير الشيخ محمود شلتوت والتي بيّن -من خلالها- الظروف التاريخية والبيئة التي نزلت فيها السورة القرآنية، وتخللتها موضوعات السورة؛ فهي الإطار التاريخي الذي يعرف من خلاله منهج السورة في معالجة موضوعاتها، وفي تحقيق وحدة السورة الموضوعية بذلك .

تناول ذلك في سورة المائدة، مبينا أنها لم تنزل إلا بعد أن قلمت أظفار المشركين، واكتمل بها الدين، ولذلك فهي لم تتحدث عن موضوعات السور المدنية كالجهاد وغيره؛ بل تحدثت عن التشريع الذي بتمامه يوجب الوفاء به، والالتزام بمبادئه[157] .

يبيّن الشيخ ذلك -الوفاء بالعهود والمواثيق بين المسلمين أنفسهم وبينهم وبين أهل الكتاب -بقوله تحت عنوان «ظواهر تنفرد بها السورة »[158]: «ومن هنا يتبين أن المسلمين في ذلك الوقت كانوا في حاجة إلى ما يغنيهم في الجانبين: جانب أنفسهم، وجانب علاقتهم بأهل الكتاب، وبذلك دار كل ما تضمنته سورة المائدة...» [159].

وتناول ذلك في سورة الأنفال ؛حيث بين فيها أجواء السورة التاريخية (غزوة بدر)، واحتوائها لموضوع السورة (انتصار الحق على الباطل) [160] .

كما فصّل ذلك في سورة التوبة؛ مبينا من خلالها المراحل الجهادية التي سبقت غزوة تبوك (غزوة السورة)، بمعرفة تدرج العلاج الإلهي في معاملة المشركين وأهل الكتاب، وفي تحصين الدولة الإسلامية من الأخطار التي تهددها، وهذا هو موضوع سورة التوبة.

---

[155]- سورة الكهف: الآية 110.

[156]- محمود شلتوت: مصدر سابق، ص: 287.

[157]- المصدر نفسه، ص:217-218.

[158]- المصدر نفسه، ص:218.

[159]- المصدر نفسه، ص: 219.

[160]- المصدر نفسه، ص :399-400.

يقول مبينا ذلك[161]: «ولمعرفة الوضع التاريخي الذي نزلت في جوه سورة التوبة؛ والذي يعين على فهم المقصود منها؛ نرى أن نعرض سراعا للمراحل العملية للدعوة والجهاد ...لنعرف منها كيف تدرجت حالة المسلمين إلى ما يستدعي هذا العلاج الذي قامت به تلك السورة ... وفيما يختص بالتنبه واليقظة بالنسبة لما يتخلل الدولة من عناصر التخذيل في كل وقت وفي كل مكان».

إن معرفة الظروف والأجواء التاريخية والنفسية و الاجتماعية(واقع التنزيل) -واستحضارها في عملية الفهم التفسيري- يضع السورة القرآنية أمام وحدة زمنية وواقعية؛ وبالتالي يحصر موضوعها -في إطار هذه الوحدة التنزيلية- حصرا واضحا، مما تتشكل عن ذلك وحدة موضوعية خاصة بتلك السورة القرآنية.

المطلب السادس: التناسب بين السـور المتجاورة في الترتيب المصحفي .

لقد عهدنا أن يكون التناسب بين سورتين فقط في الترتيب المصحفي، يتوصل من خلال ذلك المفسر إلى أحد موضوع السورتين المختارة[162].

ولقد تميز الشيخ محمود شلتوت بأنه يوازن بين سور عديدة متجاورة في المصحف؛ موازنة منهجية يستخلص بعدها منهج السورة وموضوعها الخاص؛ وذلك بالإشارة إلى موضوعات السور السابقة عليها، ثم ملاحظة الفروق الدقيقة بين مناهج هذه السور وموضوعاتها، ومنهج السورة المتناولة بالتفسير.

يقول الشيخ محمود شلتوت تحت عنوان «منهجنا في دراسة السورة»[163] في سورة الأنعام:«سورة الأنعام هي السورة السادسة من سور القرآن الكريم في الترتيب المصحفي، ولها بحكم مكيتها، وبحكم الأسلوب الذي عالجت به قضاياها الأصلية منهج خاص يخالف منهج السور الأربع المدنية التي سبقتها في الترتيب...ومن هنا رأينا زيادة في تشخيصها وتوضيحا لمنهجها أن نعود فنضع أمام القارئ صورة إجمالية لما عرضت له كل سورة من السور الأربع المدنية السابقة علـيها في الترتيب، ثم نضع بإزاء ذلك صورة إجمالية لما عرضت هي له»[164].

إن الأشياء بأضدادها تعرف كما يقـال؛ ولذلك عقب الشيخ شلتـوت على هذا المنهج

---

(161)- المصدر نفسه، ص:454.

(162)-ينظر: محمد أحمد يوسف القاسم: الإعجاز البياني في ترتيب آيات القرآن الكريم وسوره، مرجع سابق، ص:394- 421.

(163)-محمود شلتوت : تفسير القرآن الكريم، ص:274

(164)- المصدر نفسه.

بقوله: «وبذلك يتضح سبيل الموازنة بين المنهجين »[165].

وبعد أن يذكر الشيخ شلتوت ما عرضت له هذه السور المدنـــية الأربعة (البقرة، آل عمران، النساء، المائدة)، يخلص إلى ما تميزت به سورة الأنعام عن هذه السور الأربعة؛ إذ أن هذه السور تعالج تنظيم شؤون المسلمين بالتشريع لهم، وبإرشادهم إلى مناقشة أهل الكتاب[166]، وأما سورة الأنعام فهي تولي عناية كبرى بمناقشة ومحاجة المشركين المنكرين لقضايا الدعوة الكبرى: الألوهية، الرســـالة والوحي، البعث والجزاء[167].

وقد تكون الموازنة أيضا بين السور المدنية فقط؛ كما وازن بين سورة المائدة، والسور الثلاث التي قبلها في الترتيب المصحفي .

يقول الشيخ شلتـــوت في ذلك: «وهذه النتيجة تفسّـــر لنا جملة من الظواهر نجدها في المائدة، ولا نكاد نجد شيئا منها في غيرها من السور المدنية، حتى في أطول سور القرآن؛ وهي سورة البقرة»[168].

ذلك أنها لم تعن بالحديث عن الشـــرك والمشركين، والحديث عن الجهاد وأحكـــامه وخططه، وإنما عنت بتفصيل التشريع للمسلمين .

ومع أن هذه السور المدنية قبلها قد عالجت التشريع، ومناقشة أهل الكتاب، إلا أن سورة المائدة عرضت له من وجهتها الخاصة؛ ووفق موضوعها العام الذي يقرر «مسؤولية التعاقد والمحافظة على الشخصية الدينية» ؛ إذ أن المسلمين – كما أكد الشيخ شلتوت-:«قد انقشعت عن سمائهم سحابة الشرك، ورسخت أحكام الله-فيما يختص بالجهاد- في قلوبهم...وصار المشركون في قهر وذلة ويأس؛ ولكن إذا كان المشركون قد انقضى عهدهم، فإن للمسلمين أنفسهم شؤونا؛ هم في حاجة إلى إكمال التشريع المنظم لها والسياسة التي تديرها، على وجه يضمن لهم دوام السعادة ويحفظ لهم السيادة..» [169]؛ لأن بها قد تم الدين وكمل.

هذا هو منهج الشيخ شلتوت في التماس موضوع السورة فيما ذكرناه، وفي غيره[170].

---

[165] – المصدر نفسه .

[166]– المصدر نفسه، ص: 275-282.

[167]– المصدر نفسه، ص: 282-283.

[168]– المصدر نفسه، ص:218.

[169] – المصدر نفسه،ص:219، وينظر في التصريح بموضوع سورة المائدة السابق: المصدر نفسه

[170]– المصدر نفسه، ص:450-451.

المطلب السابع: أوجه التناسب بين السور المختلفة التي عرضت لموضوع واحد .

أشار الشيخ شلتوت في تفسيره أن لكل سورة وحدة خاصة ومنهجا متميزا بها؛ وإن شاركتها سور أخرى في نفس الموضوع.

من الأمثلة على ذلك ما عرضه من السور التي عرضت لشأن النساء؛ مبينا من خلالها تميز سورة النساء في معالجة أمورهن، وتكريمهن دنيا ودين .

يقول الشيخ شلتوت: «..بل عرض (القرآن) لهن في أكثر من عشر سور ...عرض لهن في سورة البقرة في حكم تزوج المسلم بالمشركة، وحكم تزوج المسلمة بالمشرك، وفي إبطال بعض العادات الضارة التي كان يعتادها أهل الجاهلية مع النساء ...وفي إبطال بعض المعاملات التي كان يؤذي النساء بها أهلُ الجاهلية... وفي شأن الإرضاع وبعض حقوقهن...وعرض لهن في سورة المائدة، في حل تزوج المحصنات الكتابيات ، وسوى في حقوق الزوجية بينهن وبين المحصنات المؤمنات...وعرض لهن في سورة النور؛ بتشريع ما يرد كرامتها ويحفظ شرفها... وعرض لهن في سورة الأحزاب؛ حيث عالجت كثيرا من المشاكل المنزلية، وما يجب عليهن من آداب ...، وعرض لهن في سورة المجادلة فاستمع إلى رأي المرأة ، وقرره مبدأً يسير عليه التشريع العام الخالد...(فالمرأة) مخلوق له إبداء رأيه، وللرأي قيمته ووزنه...وعرض لهن في سورة الممتحنة، وبيّن حكم النساء يهاجرن مؤمنات من بلاد الأعداء إلى بلاد الإسلام، وحكم زوجيتهن لأزواجهن السابقين...وبيّن حقهن في المبايعة على السمع والطاعة...وعرض لهن في سورة التحريم في شأن جرى بين زوجات الرسول ﷺ... »[171] .

إن كل سورة من هذه السور التي ذكرها الشيخ شلتوت تعالج أمر النساء حسب وجهتها الخاصة، ووفق غرضها العام.

فسورة البقرة عرضت لهن مبينة غرض حقيقة البر وتقوى الله عز وجل فيما شرع؛ ومن بين ما شرع ما يتعلق بأحكام النساء، وسورة المائدة عرضت لهن في إطار تحقيق شخصية المسلم، والوفاء بعهد الله فيما شرع، وسورة المجادلة عرضت لهن في تقرير رأي المرأة وجعله مبدأ يسير عليه التشريع العام الخالد، كما أن سورة الطلاق عرضت لهن في شأن من شؤونهن وهو الطلاق وهكذا.

وأما سورة النساء فقد عرضت لهن على أساس أنهن يشاركن في تأسيس المجتمع الإسلامي، وحفظ استقراره داخليا، وذلك عن طريق بناء الأسرة الصالحة التي هي أولى لبنات

---

[171]- المصدر نفسه، ص: 132- 134 بتصرف، وهذه السور التي عرض لها هي : البقرة، المائدة، النور، الأحزاب، المجادلة، الممتحنة، التحريم، والطلاق.

المجتمع الإسلامي الفاضل[172].

ولذلك عالجت سورة النساء ما يتعلق بهذا الغرض؛كالحديث عن الزواج وتكوين الأسرة، وعن مكانة الأم في ذلك،كما سلطت الضوء-كثيرا- على الحديث عن حقوقهن في الميراث وفي غير ذلك [173].

المطلب الثامن: أوجه التناسب بين السـور المتفق مطلـعها.

وهو من بين الملامح الجديدة في تفسير الشيخ شلتوت، فكما بيّن موضوع السور من خلال الموازنة بين مناهجها، ومواضيعها، بيّن كذلك ذلك من خلال الموازنة بين فواتح هذه السـور المتفقة المطلع، مستخلصا في ذلك الفروق بينها.

ومن الأمثلة البديعية في ذلك التي تدل على دقة ملاحظات الشيخ شلتوت التفسيرية ما قارن به مطلع سورة النساء مع مطلع سورة الحج،والتي من خلالها وصل إلى وحدة موضوع سورة النساء .

أول ما يلاحظه الشيخ في ذلك، بدء السـورتين بنداء واحد، وأمر واحد: نداء النـاس جميعا، وأمرهم بتقوى ربهم [174].

ففي السورة الأولى يقول سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [175]،وفي السورة الثانية، يقول سبحانه وتعالى:﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴾ [176].

ثم يلاحظ -بعد ذلك – الترتيب المصحفي لكلا السورتين؛ إذ سورة النساء تجيء السورة الرابعة في النصف الأول من القرآن، بينما تجيء سورة الحج في النصف الثاني في نفس الترتيب؛ أي: السورة الرابعة[177].

---

[172]- ينظر : المصدر نفسه، ص: 135.

[173]- ينظر : المصدر نفسه، ص: 138-158.

[174]- المصدر نفسه، ص :136.

[175]- سورة النساء: الآية 01.

[176]- سورة الحج: الآية 01.

[177]- محمود شلتوت : المصدر نفسه، ص:137.

وليس ملاحظة هذا الترتيب لإثبات التوافق فحسب؛ بل للدلالة على أن النصف الأول للقرآن يمثل الحياة الدنيا وما فيها، وأن النصف الثاني منه يمثل الحياة الآخرة؛ باعتبار أن الأولى سابقة على الثانية .

وهذا اجتهاد من الشيخ شلتوت يثبت من خلاله أن سورة النساء اختصت بمعالجة موضوع متعلق بالحياة الدنيا؛ يحياه المسلمون في خاصة أنفسهم، أو في علاقاتهم مع غيرهم .

وأن سورة الحج تختص بمعالجة موضوع متعلق بالحياة الآخرة؛ لا شك أنه مما سيحياه الناس جميعا.

وبعد هذا الاستئناس الدقيق، يلحظ الشيخ شلتوت المعنى الوارد بعد النداء في كلا الآيتين؛ فآية النساء يتوجه فيها النداء للناس جميعا وكأنهم «أسرة واحدة للواحد منها حق الأسرة وعليه واجبها، فلا تظالم، ولا طغيان، ولا استغلال؛ ولكن محبة، وتآلف، وعدل ... »[178]، في علاقاتهم مع أنفسهم (استقرار داخلي) ومع غيرهم (استقرار خارجي).

وأما آية سورة الحج فتشير «إلى هول يوم القيامة؛ يوم البعث والجزاء على الأعمال...وتجعل ذلك تمهيدا لإقامة الحجة على أن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور»[179].

وأما في سورة النساء « فتجعل المبدأ الذي قررته تمهيدا يوحي إلى الناس بادئ ذي بدء بالتزام الأحكام التي شرعها الله بعد؛ لينظموا بها أحوالهم، ويقيموا عليها شؤونهم وحياتهم»[180].

وبهذا يخلص الشيخ إلى موضوع السورتين؛ فسورة النساء تعالج تشريع ما يحفظ للمسلمين استقرارهم الداخلي والخارجي معا، وسورة الحج تعالج جانب المعاد والحساب فيه [181].

كما أنه تناول ذلك في السورة التي تبدأ بحمد الله تعالى[182].

---

[178] – المصدر نفسه، ص:136.

[179] – المصدر نفسه، ص:136-137.

[180] – المصدر نفسه، ص:137.

[181]– المصدر نفسه.

[182]– المصدر نفسه، ص: 21، 23، 285-288.

المطلب التاسع: التناسب بين مناهج السـور وموضـوعها.

وهذا الوجه وإن كان متضمنا في المطلب السابق إلا أنه يتميز عنه بأنه يوازن فيه بين المنهج والموضوع معا، بخلاف المطلب السابق والذي ركز على الموضوع بأكثر من المنهج .

مثاله في تفسيره موازنته للسـور التي تفتتـح بحمد الله تعالى؛ وهي السور المكية: الأنعام، الكهف، سبأ، فاطر، والتي رسم الموازنة بين مناهجـها، ضمن منهجه المختار في سورة الأنعام[183].

يقول مبينا ذلك: «مع اشتراك هذه السور الخمـس في الافتتاح بتقرير استحـقاق الحمد لله على هذه النعمة الكبرى، كان لكل سورة منها منهج خاص فيما عرضـت له من أنواع تلك النعمة»[184].

فقد عرضت هذه السور للتربية الإلهية لعباده، لكن على درجات مختلفة؛ إذ كانت سورة الفاتحة جامعة «لفروع التربية وأنحاءها ...جسمية وعقلية بالخلق والإيجاد، كما تنظم التربية التشريعية بالوحي والرسالة ...»[185].

وتقرر سورة الكهف التربية التشريعية عن طريق الوحي[186]،كما تختص سورة سبأ بتقرير التربية الخلقية الكونية الدالة على مطلق الألوهية وكمالها،وتختص سورة فاطر بالمزاوجة بين التربية الخلقية الجامعية بين الجسمية والسماوية وبين التربية التشريعية الوحيية[187]، هذا عن مناهج هذه السور الأربع.

وأما منهج سورة الأنعام فيختص بإظهار التربية المتعلقة بنوع الخلق والإيجاد للكائنات وظواهرها الكونية والبشرية ، كما تسير في وصف عظمة الله في آياته الكونية ، وتعرض لاستلال إبراهيم عليه السلام على وحدانية الله [188]، للدلالة على قضاياها الكبرى الثلاث، وللتنبيه من خلال هذه المظاهر الخلقية على إثبات البعث والمعاد ومحاجة المشركين بها .

---

(183) – المصدر نفسه، ص: 285.

(184) – المصدر نفسه.

(185) – المصدر نفسه.

(186)– المصدر نفسه، ص: 286.

(187)– المصدر نفسه، ص:287.

(188)– المصدر نفسه، ص: 286 بتصرف.

المطلب العاشر: التناســـب من حيث المضمـــون.

من الأمثلة على ذلك في تفسيره، ما وازن به بين سورتي الأنعام والأعراف؛ خاصة وأنه قد لاحظ اشتراك السورتين في «أصل الهدف ،وهو تقرير الأصول الأولى للدعوة القرآنية»[189]، وبعد أن لاحظ الفروق بين منهج كل سورة في تقرير هذه الأصول والتي من بينها:

1-أن سورة الأنعام تبدأ بإثبات الحمد لله، وتقيم الحجة على التوحيد، ... وأن سورة الأعراف تبدأ بتقرير التبليغ والتنويه بشأنه.

2- أن سورة الأنعام تفصّل فيما أحل الله وما حرم ...في حين أن سورة الأعراف تجمل ذلك.

3-أن سورة الأنعام تجمل قصص الرسل، وسورة الأعراف تفصّل ذلك.

4-تثبت سورة الأنعام الألوهية عن طريق ذكر الآثار الكونية الصادرة عنه سبحانه وتعالى، وتثبت سورة الأعراف ذلك عن طريق ما في معبوداتهم من نقص وعجز لا يتفق والمعبودية الصحيحة[190].

5-تعرض سورة الأعراف بتفصيل أوصاف النبي -ﷺ- التي يعرفها عنه أهل الكتاب، بينما تكتفي سورة الأنعام بذكرها إجمالا.

6-تعرض سورة الأنعـــام للعذاب الأخروي من جانب ما سيرون منه، بينما تذكر ســـورة الأعراف، جانب التشفي من المؤمنين في محاورتهم لهم.

7-ترسم سورة الأعراف طريق معاملة المنكرين، بينما لا تعرض سورة الأنعام لذلك .

8-تذكر سورة الأنعام سنة الله في تعاقب الأجيال دون تفصيل، بينما تفصّل سورة الأعراف ذلك بأمثلة واقعية[191].

وبعد هذه الموازنة المنهجية بين الموضوعات الفرعية في السورتين، يخلص الشيخ شلتوت إلى الفرق العام بين مضمون السورتين؛ فيقول: «ونستطيع أن نجمل تلك الفروق في أن سورة الأنعام تعني بتفصيل الشبه التي وجهت إلى الدعوة، كما تعنى بتفصيل البراهين الدالة على صدقها، وبتفصيل ما أحل الله وما حرم، وبتبكيت المعارضين ...وأما سورة الأعراف فإنها وجهت عنايتها إلى تفصيل الإنذار بما أعد للمكذبين في الدار الآخرة، وبما أصاب أسلافهم في الدنيا من عذاب»[192].

---

[189]- المصدر نفسه، ص: 288.

[190]- المصدر نفسه، ص: 288-290.

[191]- المصدر نفسه، ص: 290-291.

[192]- المصدر نفسه، ص: 292،ولسيد قطب نفس التوجيه، ينظر : سيد قطب، في ظلال القرآن،4/ 111- 112.

كما تعد الموازنة بين سورتي الأنفال والتوبة من الأمثلة على ذلك[193].

المبحـــث الثالث: تقييـــم وتقـــويم هذا المنهج.

برز منهج الشيخ شلتوت في التفسير عموما، وفي بيان الوحدة الموضوعية للسورة القرآنية خصوصا؛ غير أنه لا يخلو في ذلك من هفوات، وقصر نظر في بعض جوانبه وذلك على المستويين النظري والتطبيقي .

المطـــلب الأول: الجانب النظـــري.

لم يركز الشيخ محمود شلتوت كثيرا على هذا الجانب، ولم يؤصل نظريا لمنهجه في استخراج الوحدة الموضوعية للسورة القرآنية –إلا قليلا [194]–؛ بل ولم تكن له منهجية متكاملة وواضحة في البحث عن الوحدة الموضوعية، وفي العملية التفسيرية عموما، من الناحية النظرية، وإن كان بتطبيقاته يحدد منهجا تفسيريا خاصا به .

ومع ذلك فإن أهم الملاحظات على هذا المنهج تسجل فيما يلي:

1-لعل قصور الشيخ محمود شلتوت عن تصور منهج كامل، ومستقل في ذلك، يرجع إلى أن هذا المنهج كان وليد النشأة وأنه لم يستقل كمنهج وعلم قائم بذاته من علوم التفسير إلا في العصر الحديث؛ وذلك وفق قواعد ومناهج علمية متفق عليها[195].

فالشيخ شلتوت عاصر هذه البدايات؛ فلا شك أن لا يكون لديه منهج متكامل وواضح في ذلك، وأنه لم يصطلح في ذلك بـــ«الوحدة الموضوعية»؛ الذي يبدو أنه مصطلح حديث عرف بعده[196].

ثم إن الشيخ محمود شلتوت كان مهتما بتقديم النماذج التطبيقية والتي يؤصل-من خلالها- لهذا المنهج فيما بعد[197].

2- يعد تعريفه للوحدة الموضوعية تعريفا للتفسير الموضوعي، وذلك للتقارب الشديد بينهما؛ لأن الوحدة الموضوعية تعد من الأهداف المتوخاة من التفسير الموضوعي، كما أنه قد وفّق إلى حد كبير في بلورة مفهوم واضح للوحدة الموضوعية في السورة القرآنية، وذلك بأن «يؤكد آخرها –السورة-

---

[193]- محمود شلتوت: المصدر نفسه، ص: 453.

[194]- ينظر : المصدر نفسه، ص: 274.

[195]- ينظر : عبد الحي الفرماوي، البداية في التفسير الموضوعي، ص:45-47، زياد الدغامين: منهجية البحث في التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ص: 21-24-25-95.

[196]- وممن عرف بهذا الاصطلاح :حجازي، ومحمد البهي وغيرهما،ولعل محمد حجازي كان سباقا إلى هذا الاصطلاح،والله أعلم.

[197]- ينظر مثلا: رسائله: القرآن والمرأة، القرآن والقتال، ورسالته الوصايا العشر في سورة الأنعام، وغيرها.

أولها، ويؤسس أولها لأخرها، وتصير السورة كتلة واحدة»[198]، كما أنه ركز على الموقف القرآني تجاه ذلك الموضوع، وذلك في إطار تحديد الغرض الأسمى من التفسير وهو هداية الله للناس وإصلاح أحوالهم[199] .

3- لم يشر الشيخ شلتوت كثيرا إلى العلوم القرآنية المساعدة على إبراز الوحدة الموضوعية في السورة القرآنية؛ وإنما كان تركيزه في ذلك -بشكل أولي- على أوجه المناسبات داخل السورة الواحدة وخارجها؛ وذلك فيما يسميه بـ "النسبة"[200]،كما أوضح دور المكي والمدني في إبراز الوحدة الموضوعية، وبين ذلك نظريا في تفسيره[201]، وإن لم يتطرق إليه في باقي كتبه.

4- ومن خلال هذا، فإنه أثبت أن للسورة نظاما محكما يتخللها، ووحدة عامة تشهدها، غير أنه يؤكد أن موضوع السورة لا يكتمل إلا في باقي سور القرآن الكريم-وإن كان واضحا في ذاته حسب منهج السورة -، وذلك وفق المنهج التجميعي[202].

5-كما كان للشيخ شلتوت في منهجه التفسيري منهج البحث في التفسير الموضوعي عموما، وفي الوحدة الموضوعية خصوصا، وذلك كالمزاوجة بين الكشف والتجميع في بيان الوحدة الموضوعية، كما أنه أكد- من خلالها- أهمية الترتيب المصحفي في المناسبة بين السور، وأن ذلك الترتيب توقيفي استدعته المكانة الجديدة للمسلمين، بالإضافة إلى الترتيب النزولي [203]، فالشيخ شلتوت لم يتطرق كثيرا إلى الجانب النظري للوحدة الموضوعية بالتأصيل والتفريع؛ وإنما كان مهتما بالتطبيق أكثر، وأن ذلك لا يعني غياب هذا المنهج في تفسيره؛ وإنما لقصر نظره فيه.

المطلب الثاني: الجانب التطبيقي.

وقد فصّل فيه الشيخ شلتوت كثيرا، وأهم الملاحظات على هذا الجانب:

1- تمكن الشيخ شلتوت في كثير من الأحيان من إبراز التماسك الوشائجي بين آيات السورة ومقاطعها، كأنها أعضاء جسد واحد؛ لكن ذلك لا يكون إلا باكتشاف الروابط الخفية التي أشار

---

(198) - محمود شلتوت: تفسير القرآن الكريم، ص:46.

(199) - ينظر: المصدر نفسه، ص :384

(200) - محمود شلتوت: من هدي القرآن، مصدر سابق، ص: 323.

(201) - ينظر : محمود شلتوت: تفسير القرآن الكريم، ص: 398-399.

(202)- وذلك في مواضع كثيرة من تفسيره، على سبيل المثال، ص :66 وما بعدها .

(203)- و ذلك في منهجه في التفسير الموضوعي، الفصل الثاني من الباب الأول، ص: 163.

إليها في تفسيره للسورة القرآنية، وقد ذكرنا من قبل نماذج من تفسيره تبين حقيقة التماسك داخل السورة [204].

2- نتيجة لهذا، فإن الشيخ شلتوت لم يبيّن هذا صريحا، و لم يفرد دراسة السورة القرآنية لإبراز الوحدة الموضوعية من خلالها فقط؛ بل كان يجمع إلى ذلك الفقه والأحكام والعقائد ودراسة النظم الحديثة؛ فهو كما قال محمد أحمد يوسف القاسم عنه –التفسير–: «موسوعة إسلامية، تجمع بجانب التفسير الفقه والأحكام، والعظة والعبرة، وحكمة التشريع ،والمقارنات بين المذاهب الوضعية والدين الإسلامي ...بجانب ما فيه من أصول وعقائد، وأبحاث في النواحي الاجتماعية والاقتصادية والسياسية»[205].

هذا بالإضافة إلى استغراقه تفسير الآيات تفسير إجماليا، مما حدا بالبعض إلى أن يقولوا بفقدان تفسير الشيخ شلتوت للوحدة الموضوعية للسورة القرآنية؛ خاصة وأنه صرح في مقدمة تفسيره للسور بتعدد الموضوعات والأغراض،وعرفنا أن هذا لا يمنع من وجود جامع لهذه الموضوعات والأغراض يشْكّل وحدتها الموضوعية والمقاصدية، وأن ذلك لا يتأتى إلا بالدراسة العميقة، والنظرة الكلية الشاملة لتفسير الشيخ شلتوت للسورة من أولها إلى آخرها[206] .

3-وما نتج عن هذا أيضا، ضبابية الوصف والتحديد للشيخ شلتوت نفسه في تفسيره؛ فهو وإن توصل إلى وحدة موضوع السورة في كثير من الأحيان؛ إلا أنه –أحيانا أخرى- يزل عن هذا، ولا يذكر صراحة الرابط الخفي بين هذه الموضوعات، مما يجعله لا يحدد بدقة موضوع السورة المقصود؛ بل إنه يذكر أن السورة تشمل على موضوعات العقيدة الكبرى: الألوهية، والوحي والبعث، كما في سورتي الأنعام[207]، والأعراف[208]، مع أن لهاتين السورتين موضوعا خاصا؛ فسورة الأنعام نزلت «في حجاج المشركين وغيرهم من المبتدعة والقدرية وأهل الملل الزائغة، وعليها مبنى أصول الدين لاشتمالها على التوحيد، والعدل، والنبوة، والمعاد، وإبطال مذاهب الملحدين»[209].

---

[204]- أثناء الحديث عن منهجه في اعتماد التناسب وأنواعه، من هذا البحث، ص:157.

[205] - محمد أحمد يوسف القاسم: الإعجاز البياني في ترتيب آيات القرآن الكريم وسوره، ص: 191.

[206] - ينظر: المبحث الأول من هذا الفصل، ص: 187 وما بعدها.

[207]- ينظر : محمود شلتوت: تفسير القرآن الكريم، ص:293-294.

[208] - ينظر: المصدر نفسه، ص: 348-349.

[209]- برهان الدين البقاعي: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، مصدر سابق، 2/578-579.

فالسورة ركزت على الحجاج والدفاع عن قضايا الدين الكبرى، وهذا ما أشار إليه الشيخ شلتوت في ثنايا تفسيره لسورة الأنعام[210]، إلا أنه صرح بتعدد القضايا، وإن كانت كلها ترجع إلى أصل واحد.

وكذلك بالنسبة لسورة الأعراف؛ فإنه صرح بأن موضوعها موضوع السور المكية، وعدّد قضاياها، ولم يبرز بوضوح منهجها الخاص في معالجة موضوع معين؛ والذي يدور حول الإنذار الدنيوي في إهلاك الأمم التي كذبت رسلها[211]، فهي ركزت على جانب الوحي والرسالة، وعالجت الصراع المحتدم بين الرسل وأقوامهم الذين أرسلوا إليهم.

وإن كان الشيخ شلتوت لمحّ إلى هذا في تفسيره[212]، لكنه لم يخصصه بدراسة كافية ووافية، ولعل ذلك يرجع –كما قلنا آنفا– إلى نظرة الشيخ الجزئية للسورة، إضافة إلى عدم اكتمال المنهجية العلمية لديه في التوصل إلى الوحدة الموضوعية للسورة القرآنية .

4-كانت للشيخ شلتوت منهجية خاصة في دراسة السورة القرآنية، وقد كان في بعض ملامحها محاكيا لغيره فيها، كالتناسب بين مضامين السور، وكذلك في فواتحها وأسمائها ومقاصدها وما إلى ذلك، وقد كان – بحق– في البعض الآخر مجتهدا ومجددا فيها وسباقا إليها، كالتناسب بين طرفي السورة ووسطها، أو التناسب بين السور المتفقة المطالع وفي غير ذلك .

وفي الحقيقة أنه وفّق –في كثير من الأحيان– إلى إبراز وحدة موضوع السورة عن طريق هذه الملامح العامة في تفسيره.

5-ومما يلاحظ في تفسيره كثرة الاستطراد وظهوره بصورة واضحة، مما حدا ببعض الباحثين إلى ملاحظة هذا أيضا في تفسيره[213]، وذلك يرجع إلى طبيعة المسائل التي استطرد في بيانها .

وقد علل الشيخ شلتوت ذلك عدة مرات؛ إذ يعلل حديثه عن الحواريين في سورة المائدة، واختلاف المفسرين في إيمانهم بقوله:«...ويجدر بنا تعجيلا للفائدة أن نستطرد بتعليق وجيز على هذه الآيات لبيان ما تدل عليه فيما يختص بالحواريين ،وبالمائدة وضعا للحق في نصابه، وقطعا لألسنة تحاول تحريف الكلم عن مواضعه ابتغاء شهرة زائفة، أو فتنة جامحة»[214].

---

[210]– ينظر: محمود شلتوت: مصدر سابق، ص:283، 297، 306.

[211]– ينظر : محمد الغزالي: نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم، ص:109.

[212]– ينظر : محمود شلتوت: مصدر سابق، ص:292، 387.

[213]– عبد العزيز عزت عبد الحكيم محمود: الشيخ شلتوت ومنهجه في التفسير،مخطوط، مرجع سابق، ص:901.

[214]– محمود شلتوت: تفسير القرآن الكريم، ص:207-208، وينظر، ص:404 .

فالاستطراد هنا كان ضروريا لرد الشبهات الزائفة التي تحاول زعزعة إيمان الموحدين ،كما يكون أيضا استطراده في الأحكام الفقهية؛ كتعليله استطراده في بيان أحكام الإرث بقوله: «وقد كنا في غنى عن شرح هذه الآيات اكتفاء بالرجوع إلى كتب هذا الفن لولا أن رأينا أن أكثر القراء لا يسهل عليهم أخذ ذلك الأحكام من الكتب الفقهية»[215]، وذلك «يعود إلى سببين رئيسين:

أولا: لكثرة ما اشتملت عليه من بحوث واستدلالات وفروض.

وثانيا :لأنها مؤلفة بأساليب قد لا تساعدهم على هضمها ثقافتهم الخاصة التي لم تعرف هذه الأساليب»[216].

كما أنه يستطرد أحيانا لبيان الجو الذي نزلت فيه السورة، وإبراز موضوعها الخاص بها، كاستطراده في الحديث عن مراحل الدعوة والجهاد، قبل غزوة تبوك[217]، ليصل -بعد ذلك- إلى استخلاص موضوع سورة التوبة، وأنها اقتضت رسم أساس الدولة الإسلامية، وحمايتها مما يهددها من الداخل ومن الخارج[218].

غير أن استطراده لا يطول كثيرا، ولا يستغرق أكثر من خمسة عشر صفحة[219]، واستطراداته لا تجاوز الحد، والأفكار عنده منظمة، ومنسقة ومرتبة، تتداعى في ترابط ينتقي الكلمات المناسبة للفكرة والموضحة للمعنى[220]؛ كالاستطراد في بيان طرق هداية القرآن في الاستدلال على البعث، وذكر أنواع هذا الاستدلال[221].

وما يؤكد هذا، أنه يضبط ذلك بعناوين واضحة، تنظم أفكاره، كقوله:«عود إلى ما قبل الاستطراد»[222]، وقوله «عود على بدء»[223]، فكل ذلك مما يبرر استطراداته غير المستفيضة.

---

(215)- المصدر نفسه، ص:151.

(216) - المصدر نفسه

(217)- ينظر المصدر نفسه، ص:454-461

(218) - المصدر نفسه، ص: 462.

(219)- ينظر : المصدر نفسه، ص:415-432.

(220)- عبد العزيز عزت عبد الحكيم محمود: الشيخ شلتوت ومنهجه في التفسير، ص: 902.

(221)- ينظر محمود شلتوت: مصدر سابق، ص:298-300.

(222)- المصدر نفسه، ص:300.

(223)- المصدر نفسه، ص:432.

خاتمة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

وفي نهاية هذا البحث، وخلاصة لما سبق، نخلص إلى أهم النتائج المستخلصة من خلال هذا البحث، وذلك في النقاط التالية:

1- الإمام محمود شلتوت علم شامخ بين أعلام الفكر الإسلامي الحديث، وأحد النخبة الممتازين من شيوخ الأزهر المبرّزين الذين اضطلعوا بدور كبير في الإصلاح الديني والاجتماعي؛ جاهد بعلمه وفكره وقلمه ولسانه من أجل تحقيق ما يصبو إليه من أهداف، ومبادئ، وطموحات.

2-كما كان -رحمه الله- رجلا شجاعا من رجال الإصلاح، وداعية حكيما من دعاة الوحدة والتقريب وتقوية أواصر الإخوة الإسلامية بين المسلمين، وقد تميز بالجرأة في قول الحق، والثبات عليه، إلى جانب الرسوخ المكين في العلم، وتحليه بالروح العلمية المنصفة والموضوعية تجاه مخالفيه في الرأي والحاملين عليه.

كما عرف عنه تمرده على المذهبية العمياء، والتقليد المقيت، وحثه على فتح أبواب الاجتهاد، ونبذه للتقليد، شأنه في ذلك شأن مدرسة المنار إلى أحدثت ضجة كبيرة ضد التقليد وشنعت على المقلدين تشنيعا عنيفا.

والشيخ شلتوت وإن كان من تلاميذ هذه المدرسة النجباء؛ إلا أنه لم يكن متقيدا بأفكارها، ولا مقلدا لأعلامها؛ بل كان متبعا في ذلك روح الدليل ومذهبه؛ فما وجده موافقا في هذه المدرسة للدليل أخذ به، وإلا فإنه يخالفه ولا يأخذ به؛ بل وينتقده ويرد على أصحابه؛ كما رأينا رده على محمد عبده في مسألة الملائكة والجن، وفي مسألة تأويل القصص القرآني ، وفي غير ذلك؛ مما يدل على تمكّن روح الاجتهاد من فكره، وقد ترّجم ذلك في إفتائه بجواز التعبد بالمذهب الجعفري كما يتعبد بباقي المذاهب الإسلامية الصحيحة الأصول.

3- وقد كان لهذا الفكر الاجتهادي، الإصلاحي، التقريبي، والدعوي، أثر في مؤلفاته العلمية، وفي مقالاته الفكرية والتربوية المنشورة في مجالات عدة، كمجلة الأزهر، ومجلة رسالة الإسلام، ومجلة لواء الإسلام وغيرها.

وقد رأينا -من خلال تصفح مؤلفاته -بصمات لهذا الفكر؛ بما فيها تفسيره "تفسير القرآن الكريم"؛ فرأينا فيها-مؤلفاته -الدعوة إلى الإصلاح والتقريب بين المذاهب الإسلامية ، كما رأينا روح الاجتهاد واضحا من خلالها في كثير من المسائل الخلافية التي تطرق إليها،وكانت بذلك مؤلفاته ذات علاقة وطيدة فيما بينها، ومتشابهة بل إنها أحيانا متطابقة في ذاتها، مما يدل على أنها صادرة من فكر واحد، ومتوجهة لمعالجة قضايا مشتركة.

4- وقد تميز الشيخ محمود شلتوت –إضافة إلى هذا –بوحدة الرؤية، ووحدة المعالجة الفكرية والاجتماعية، ووحدة المصدر؛ ذلك أنه يستقي أفكاره من القرآن الكريم ؛كتاب الهداية الإلهية العظمى لإصلاح البشر، ولذا فإنه عرف " بالنظرة القرآنية" لجميع ما يتناوله، أو كما قال عنه عباس محمود العقاد:«عرفناه قرآنيا في دراسته لأسرار اللغة، قبل أن نعرفه لغويا في دراسته لأسرار القرآن».

5-لمعرفة الظروف السياسية والاجتماعية والاقتصادية، والحالة العلمية والفكرية التي عاشها الشيخ محمود شلتوت – والتي اكتنفت عصره-، أهمية بالغة في معرفة فكره القرآني؛ سواء في تفسيره، أو في باقي مؤلفاته الأخرى؛ إذ ضمّن الشيخ شلتوت كثيرا من قضايا عصره في تفسيره سياسيا واقتصاديا، واجتماعيا، وعلميا، وفي نواحي أخرى.

فقد تعرض مثلا للوحدة السياسية بين المسلمين؛ سنة وشيعة، ودعا إلى التقريب المذهبي المبنى على التعارف والتوحد لا على التوحيد والإدماج،كما رأينا –من قبل- معالجته لقانون الجندية في عصره ، وكذلك بسطه صفحات من تفسيره لعلاج أهم القضايا الاقتصادية، ومناقشة النظم العالمية، كالرأسمالية الاستغلالية لحاجات الأفراد ومصالحهم، وغير ذلك.

6- عرفنا أيضا أن تفسير الشيخ محمود شلتوت كان يمثل لديه أغلى وأعز أفكاره التي تبناها، ودعا إليها، وجاهد بفكره وبحياته من أجلها.

و قد كان أصل هذا التفسير مقالات كان الشيخ ينشرها على شكل أعداد متسلسلة في مجلة رسالة الإسلام، ثم أفردها كتابا مستقلا بعد أن نقحها وهذبها، ولذا فإن الرجوع إلى هذه المقالات من الأهمية بمكان.

7-هذا وقد اعتمد الشيخ في تفسيره مصادر كثيرة ومتنوعة ،وفي مجالات عدة، كالتفسير والفقه والمعجمية وغيرها،وكان اعتماده عليها متفاوتا بين مصدر وآخر حسب أهميته؛ إذ عرف بكثرة نقله عن الفخر الرازي، وعن صاحبي المنار، و لم يكن مقتصرا في نقله على الاستشهاد والاستئناس فقط؛ بل كان –أحيانا كثيرة- معقبا عليها، ومنتقدا لها، ولذا امتاز في تفسيره بدقة المناقشة وكثرة تعقيباته على آراء المفسرين.

ومن الجدير بالذكر، أنه كان يصرح أحيانا بهذه المصادر، كما كان –أحيانا- أخرى يبهم ذلك ولا يدل على أصحابها؛ وهذا – وإن كان لا يعني عدم الأمانة العلمية في النقل- يدل على الضبابية والغموض والصعوبة التي يتركها الشيخ شلتوت لقارئ تفسيره في البحث والتنقيب عن هذه المصادر الكثيرة؛ والتي – ربما-أجهدت القارئ من غير أن يعثر على المصدر المنقول عنه.

8-وقد كان للشيخ محمود شلتوت منهج واضح في تفسيره، وقد كان ذلك متمثلا في شقين مزج بينهما في تفسيره؛ المنهج التحليلي، والمنهج الموضوعي، ولكل واحد منهما قواعد منهجية، ومفردات كثيرة،

تدل على أنه لم يخصص تفسيره بواحدة من هذه القواعد المنهجية؛ وإنما كان تفسيره «موسوعة علمية إسلامية، تجمع بجانب التفسير، الفقه والأحكام،والعظة والعبرة، وحكمة التشريع، والمقارنات بين المذاهب الوضعية والدين الإسلامي... بجانب ما فيه من أصول وعقائد».

9-كان الشيخ شلتوت يميل كثيرا في تناوله للعقائد في تفسيره إلى مذهب السلف الصالح، وينتقد طرق المتكلمين في الاستدلال ، لكنه كان أحيانا أخرى متأثرا بمذهب الأشاعرة؛ من حيث اشتراطه القطعية في ثبوت النص ودلالته لإثبات المسائل الاعتقادية الفرعية المختلف فيها.

10-كما كان يميل كثيرا إلى استخدام الأساليب اللغوية والبلاغية والتنبيه إليها، وكان يعتبرها وجها من وجوه إعجاز القرآن الكريم الذي تحدى فصحاء العرب وبلغائهم بسورة من مثله، وكان أهم هذه الوجوه ما قاله بأن القرآن" معجز بما هو به قرآن"، وقد سلك في تفسيره حرية البحث في مسائل الفقه والأحكام، ودعا إلى فتح أبواب الاجتهاد نظريا، وأعطانا أمثلة تطبيقية له في ثنايا تفسيره.

11-وعلى العكس؛ فإن الشيخ شلتوت لا يميل إلى القول بالنسخ-إلا نادرا ونظريا-، ولا الأخذ بالإسرائيليات، والأقوال الشاذة والروايات الموضوعية؛ ويرى أن ذلك يحول بين المسلم وبين استفادته من هداية القرآن؛ بما يصطنعه البعض من ضبابيات وعوائق في ذلك، ولذا فإنه نبذ التفسير العلمي، والتفسير المذهبي، ودعا إلى اعتماد القرآن أصلا في كل شيء؛ أي: أن القرآن الكريم يجب أن يكون متبوعا بدلا من أن يكون تابعا ؛ بمعنى: أنه يجب علينا أن ندخل عالم القرآن من غير مقررات فكرية سابقة عليه.

12-كان الشيخ محمود شلتوت من نجباء مدرسة المنار؛ إلا أنه قد خالفهم في بعض القضايا؛ كإثباته أن معاني الحروف المقطعة من عوالم الغيب التي استأثر إليه بعلمها، وأنها ليست من المتشابه الذي يعني عنده تعدد دلالات اللفظ من غير مرجح، وهي بخلاف معنى المتشابه عند الجمهور والذي يدل على عدم وضوح معانيها،كما اعتمد منهج القرآن في قصصه، و لم يسلك منهج التأويل التي سلكته هذه المدرسة.

13-قد امتاز الشيخ أيضا بسلك منهج التفسير الموضوعي، وكان من الرواد الأوائل في التأصيل له، وكان مدركا لأهم ألوانه؛ الموضوع القرآني، وكان في ذلك واضحا في مؤلفاته، والسورة القرآنية، وكان تفسيره خير نموذج لذلك.

يقول محمد الغزالي عنه:«أما التفسير الموضوعي الأول -الموضوع القرآني-فإن الشيخ شلتوت عرض نماذج له كتابات شتى، والرجل له بصيرة حادة في التفسير تدل على رسوخ قدمه» [1].

14-للشيخ محمود شلتوت معالم كبرى في منهجه في التفسير الموضوعي، أكد على بعضها وصرح بها، وكان مطبقا للبعض الآخر في تفسيره؛ اعتمد التناسب بأنواعه داخل السورة وخارجها؛ حيث كان لبعضه

---

[1]- محمد الغزالي، تراثنا الفكري في ميزان الشرع والعقل، دار المعرفة ودار ريحانه بالاشتراك، د.ت، ص: 129.

مقلدا ومحاكيا، وكان مستجدا لبعض الوجوه الأخرى في التناسب؛ كالتناسب بين أطراف السورة ووسطها، وبين موضوعاتها وواقع التنزيل، وغيرهما؛ مما يدلنا على أن الشيخ كان مكثرا لأوجه التناسب، كما صرّح هو بنفسه عن ذلك.

15-القول بالوحدة الموضوعية للسور راجع إلى وحدة القرآن العامة؛ بمعنى: أن القرآن الكريم يشكل وحدة لا تتجزأ، في تعاليمه وأحكامه، وهي مترابطة فيما بينها فيما « يشبه الوحدة العضوية بين أعضاء الجسم الواحد، ولا يفصل جزء عن سائر الأجزاء»[2].

فرغم تباعد الفاصل الزمني بين الحوادث المختلفة، إلا أن القرآن الكريم جمع بينها - في سورة منه أو أكثر -جمعا محكما، ورتب بين عناصرها ترتيبا متناسقا عجيبا، مشكلا بذلك الوحدة الموضوعية؛ مما يدلنا أيضا على أن السورة الواحدة مهما طالت أو قصرت، ومهما تنوعت موضوعاتها، فإن لها نظاما خاصا، ورباطا جامعا ووحدة موضوعية عامة ترجع إليها تلك الموضوعات وترتبط بها.

16-لم يفصّل الشيخ محمود شلتوت الحديث عن الوحدة الموضوعية؛ لأنه كان منشغلا بتقديم النماذج التطبيقية والحلول القرآنية لمشكلات واقعه ومجتمعه، ولذا فإنه لم يفصّل كثيرا في تعريف الوحدة الموضوعية، وفي شرحها، ولم يشر إلى تاريخ الوحدة؛ وإنما ركز على أوجه التناسب بأنواعها ثم أشار إلى دور بعض علوم القرآن كالمكي والمدني، وسياق السورة وأسلوبها في بيان وحدتها الموضـــوعية العامة، وكان ذلك جليا على المستوى التطبيقي في تفسيره.

17-وقد اصطلح الشيخ في ذلك بتسميات خاصة، بعضها متفق عليها؛ كالوحدة والشخصية والبعض الآخر مما طبع بسماته الشخصية؛ كالأساس والقوانين وغيرها.

18-يؤكد الشيخ محمود شلتوت على أهمية الترتيب المصحفي في التفسير الموضوعي، ويعلل ذلك بأنه أوفق وأرعى لحالة الجماعة المؤمنة، وأنسب مع حالتها الجديدة؛ ومع ذلك فإنه لا يستبعد الترتيب النزولي؛ بل إنه كثيرا ما يلجأ إليه لتحليل المواقف القرآنية، ومعرفة منهج الوحي في علاج القضايا المعروفة في مرحلة التنزيل.

وبذلك فهو ينبـــه إلى أهمية المزج والاستعانة لكلا الترتيبين في معرفة المواقف القرآنيـــة، أو استخراج النظرية القرآنية تجاه قضية معينة تناولها القرآن بالدرس والتحليل، وهو يخالف في ذلك بعض المفسرين الذين يؤكدون استقلالية التفسير الموضوعي بالترتيب النزولي فقط، كما كان من محمد عزة دروزة ، ومحمد محمود حجازي ، وعبد الرحمان حسن حبنكة الميداني وغيرهم.

---

[2]-يوسف القرضاوي: المرجعية العليا في الإسلام للقرآن والسنة ضوابط ومحاذير في الفهم والتفسير، مكتبة وهبة، ص:28.

19-وقد بنى الشيخ شلتوت رأيه في ذلك على القول بتوقيفية الترتيب المصحفي، وبالتالي فإنه -هذا الترتيب- أسرارا وحكما ومناسبات وطيدة بين سوره، تساهم هي الأخرى في عقد الموازنات بينها، للتأكيد على وحدة السورة المتناولة بالدرس، فالكل توقيفي من عند الله والوشائج بينها كائنة لا محال، وإن خفت على البعض.

20-من الحقائق المهمة في هذا المجال أن لكل سورة حدودا وأهدافا وأغراضا تدور حولها، فتعرض لتحقيق ذلك إلى عدة معان، وتأخذ من كل معنى ما يتناسب مع هدفها ؛ وهي بذلك تحقق وحدة كاملة لها طابعها الخاص في اللفظ، وفي السياق، وفي الفواصل، وفي ختام الآيات، وفي الأسلوب، ولها في الوصول إلى هدفها طرق خاصة، فلا يضير السورة- بعد ذلك- أن تشترك معها سور أخرى في نفس الموضوع؛ إذ لا يعني ذلك انعدام تحقق الوحدة الموضوعية من خلالها، بل إنها -السورة-تحققها من وجهتها الخاصة وهذا هو المقصود بالوحدة الموضوعية للسورة القرآنية.

21-ومن هذا الباب، فإن الموضوع الواحد إذا كرر في عدة سور-وخاصة في القصص القرآني- فإنه يناسب كل سورة ذُكر فيها جزء منه شكلا وموضوعا ومنهجا، وأن ذلك يدل على كمال الوحدة الموضوعية وتناسقها في جميع السور؛ بمعنى أن الموضوع الخاص بكل سورة لا يذكر بتمامه فيها لأسرار فنية أدبية، وموضوعية توجيهية، وخطابية دعوية؛ وذلك فيما يتعلق بالإجمال والتفصيل والاختصار والإكمال، والتفصيل والتذكير، وقد نبه الشيخ شلتوت إلى هذا، ودعاه ذلك إلى أن يستخدم منهج التجميع داخل السورة بالإضافة إلى منهج الكشف ليصل إلى كمال الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم المتعلقة بالموضوع القرآني، وإن كانت السورة متضمنة لوحدتها الخاصة، ومراميها المبتغاة.

22-رأينا أيضا أن الموضوعات التي احتوتها السورة مترابطة فيما بينها، وأنها تشكل وحدة عامة للسورة.

ولذا أخطأ البعض حينما رأى أن الشيخ شلتوت يقول بتعدد موضوعات السورة دون وحدتها، وأن ذلك راجع إلى افتقاد النظرة العامة الشمولية للسورة- الذي نص عليه علماؤنا-وربط موضوعات السورة بمحورها العام المكتشف من خلال هذه النظرة الكلية؛ ولذلك يجب الربط بين النصوص بعضها وبعض والنظر إلى السورة-بله وأحكام الإسلام -كلها «نظرة شاملة مستوعبة لا يفصل عقيدة عن شريعة، ولا شريعة عن خلق، ولا خلقا عن فكر، ولا فكرا عن عاطفة، ولا عاطفة عن عمل...» ، وذلك من خلال جو السورة العام.

23- ولعل تصريح الشيخ محمود شلتوت بتعدد الموضوعات في السورة الواحدة -وإن أثبت وحدتها بعد ذلك -يدل على إبهامه في ذلك؛ بل إنه لم يوفق أحيانا -في إثبات الوحدة الخاصة بكل سورة و لم يضبطها في إطار خاص ؛بل إنه تركها عامة مميعة، كما كان في تحديد موضوع سورة الأعراف.

وعلى العكس من ذلك، فإنه وفق إلى حد كبير في إبراز الوحدة الموضوعية في باقي السور التي تناولها بالتفسير ، وذلك من خلال أوجه عديدة في الموازنات، ولكن ذلك يستدعي متابعة تفسيره لكل السورة، لا التركيز على جزئية معينة.

24-من الحقائق المهمة أيضا الترابط الوثيق بين الوحدة الموضوعية والوحدة المقاصدية ؛أي: بين موضوع السورة وأهدافها؛ فأهداف السورة تحقق موضوعها، ولذا فقد أخطأ من فصل بين أهداف السورة وموضوعها، وباعد بينها.

ولذلك أيضا رأينا أن الشيخ محمود شلتوت يعبر ويصطلح بالمقصد والأهداف للدلالة على الموضوع العام أو الموضوعات الجزئية، فهما عنده بمعنى واحد، وكل واحد منهما يخدم الآخر؛ بل إن هنا ما يخدمها أيضا؛ وهو الوحدة الأسلوبية للسورة.

25- حدد الشيخ شلتوت ملامح السورة ومعالمها تحديدا تطبيقيا، ركز - من خلالها — على وجوه المناسبات الداخلية والخارجية للسورة ،كما أشار إلى بعض الملامح الأخرى ؛كموضوعات المكي والمدني، والقصص القرآني، وأسلوب السورة.

وما يجب التأكيد عليه هنا أن بعض هذه الملامح كانت مما جد بها الشيخ في تحديدها، كالتناسب بين أطراف السورة ووسطها، والتناسب بين مطالع السور والتناسب بينها —السورة- وبين ظروف نزولها، وأنه استطاع —إلى حد كبير- أن يبرز -من خلالها-وحدة السورة العامة، ولذا يمكننا القول أن الشيخ محمود شلتوت أتى بالجديد من هذه الناحية بما لم يأت به غيره.

26-وأخيرا وليس آخرا إذا كان الشيخ شلتوت وفق ولكن بصورة غير واضحة وغير جلية إلى إبراز الوحدة الموضوعية للسورة القرآنية، فإنه لم يوفق كثيرا في تحديد ملامحها العامة التي تعرف بها، أو العوامل التي تساعد في ذلك؛ ولذا فإن النظر السليم والشمولي للسورة يستدعي وحدة العوامل، والأخذ بها كلها كخطوات هامة في منهجية البحث في السورة القرآنية،من علوم القرآن ،ومناسبات متعددة، واستحضار البيئة المعنوية لها، ومعرفة أسلوبها، وسياقها الخاص، ونظام آياتها، في إطار نظرة شاملة كاملة ومتكاملة.

وهذا ما ندعو إليه في الدراسات العلمية التخصصية، وفي تضمينها في المناهج العلمية، وفي تفعيلها على نطاق واسع.

هذا جهد المقل، فإن أصبت فمن الله وحده وإن أخطأت فأرجو أن لا يفوتني أجر الاجتهاد وصل اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا، والحمد لله رب العالمين.

*-*الفهـــــــارس*-*

1- فهرس الآيـــات القرآنية.

2- فهـــرس الأحاديث النبوية الشريفة والآثـــار.

3- فهـــرس الأعـــلام.

4- فهـــرس المصـــادر والمـــراجع.

5- محتـــوى الموضـــوعات.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الآيـــة	رقمهـــا	الصفحـــة
1- سورة الفاتحة		
﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾	05	94
﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾	06	92
﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ...﴾	07	92، 137
2- سورة البقرة:		
﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ ...﴾	03	137
﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ...﴾	06	93، 137
﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا...﴾	14	137
﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا﴾	23	51
﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ...﴾	44	161
﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ...﴾	177	161
﴿لَا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾	286	147
3- سورة آل عمران		
﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ...﴾	07	148، 186
﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا...﴾	23	91
﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ...﴾	24	91
﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا...﴾	92	161
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقًا...﴾	100	186، 194
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ...﴾	102	145، 194
﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا...﴾	103	138
﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ...﴾	113	187
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً... مُحِيطٌ﴾	120-118	194
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا...﴾	130	110، 194
﴿لَقَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا...﴾	181	187
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا...﴾	200	194

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

4- سورة النساء:		
﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ...﴾	01	202، 213
﴿وَاعْبُدُوا اللهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا...﴾	36	128
﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ...﴾	46	03
﴿إِنَّ اللهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ...﴾	48	125، 186
﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ...﴾	51	74
﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا...﴾	58	74
﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ...﴾	82	84
﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ..﴾	93	147
﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ... مُحِيطًا﴾	105-108	142
﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّنْ نَّجْوَاهُمْ...﴾	114	90، 101
5- سورة المائدة:		
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ...﴾	01	97
﴿... وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى...﴾	02	161
﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ...﴾	03	138
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ...﴾	11	141
﴿...يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ...﴾	13	03
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ...﴾	35	115،167،195
﴿جَعَلَ اللهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ...﴾	97	112
6- سورة الأنعام:		
﴿ الْحَمْدُ للهِ الَّذِي خَلَقَ... مُعْرِضِينَ﴾	01-04	203
﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ...﴾	27	124
﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ...﴾	59	05
﴿...وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ...﴾	151	181
﴿...وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ...﴾	151	139،147
﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ... وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا...﴾	152	129
﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ...﴾	153	138

جمعية التراث للعلوم الإسلامية

7- سورة الأعراف:		
﴿وَكَمْ مِّنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا...﴾	04	207
﴿يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا...﴾	26	93
﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ...﴾	31	159،93
﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللهِ الَّتِي أَخْرَجَ...﴾	32	159
﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ...﴾	33	159
﴿وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا...﴾	43	135
﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾	199	146
﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا...﴾	204	104، 168
8- سورة الأنفال:		
﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ...﴾	01	145،160
﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ...﴾	05	93
﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا...عَلِيمٌ﴾	75-74	208
9- التوبة:		
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَالَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا...﴾	38	127
﴿لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى...﴾	91	147
﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ...﴾	112	95
﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا...﴾	113	95
﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً...﴾	122	147
10- سورة يونس:		
﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِّنْهُمْ...﴾	02	97
﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّى يَحْكُمَ اللهُ...﴾	109	97
11- الإسراء:		
﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا...﴾	01	98
﴿... وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا...﴾	15	125
12- سورة الكهف:		
﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ...﴾	110	160 ، 209

جمعية التراث للعلوم الإسلامية

13- سورة طـه		
﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا...﴾	105	116
14- سورة الأنبياء:		
﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ...﴾	47	04
15- سورة الحج:		
﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ...﴾	01	213
﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ...﴾	05	124
﴿هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ... الْحَرِيقِ﴾	22-19	87
16- سورة الفرقان:		
﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا...﴾	70	147
17- سورة الشعراء:		
﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً... وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾	9-8	80
﴿قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا...﴾	24	80
﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِي...﴾	78	80
﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾	125	80
18- سورة الروم:		
﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَؤُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ...﴾	27	124
19- سورة لقمان:		
﴿إِنَّ اللهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ...﴾	34	05
20- سورة يس:		
﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ...﴾	81	124
21- سورة ص:		
﴿وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ... ذِكْرَى الدَّارِ﴾	55-45	94
22- سورة غافر:		
﴿وَيَا قَوْمِ مَالِي أَدْعُوكُمْ... الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ﴾	42-41	91
23- سورة فصلت:		
﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ...﴾	34	147

24- سورة الفتح:		
﴿وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا...﴾	13	125
25- سورة الطور:		
﴿...أَنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ﴾	28	161
26- سورة الرحمان		
﴿وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ﴾	10	03
27- سورة الواقعة:		
﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ... لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ﴾	77-75	92 -91
28- سورة المجادلة:		
﴿...وَتَنَاجَوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾	09	161
29- سورة المعارج:		
﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ... خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾	04-01	94
﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا... مَنُوعًا﴾	21-19	91
30- سورة القيامة:		
﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّى ۞ وَلَكِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾	32-31	92
31- سورة المرسلات		
﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾	19	101
﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾	50	101
32- سورة النازعات:		
﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ ۞ تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ﴾	7-6	90
﴿فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾	24	89
33- سورة عبس:		
﴿كِرَامٍ بَرَرَةٍ﴾	16	161
34- سورة المطففين:		
﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾	22	161
35- سورة الغاشية:		
﴿وَأَكْوَابٍ مَوْضُوعَةٍ﴾	14	03

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

سورة الفجر:		
﴿...يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ... قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾	24-23	88
37- سورة الليل:		
﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى... لِلْعُسْرَى﴾	10-05	92

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ثانيا: فهرس الأحاديث والآثار

طرف الحديث	الراوي	الصفحـــــة
– أن رسول الله ﷺ فسر مفاتح الغيب...	أبو هريرة	05
– أعطيت مكان التوراة السبع الطوال...	وائلة بن الأسقع	71
– لا يقاد والد بولده	أبو هريرة	111
– إذا جلس بين شعبها الأربع ثم جهدها...	أبو هريرة	131
– اقرؤوا الزهراوين :البقرة وآل عمران..	أبو هريرة	98
– إنما الماء من الماء	أبو سعيد الخدري وغيره	133
– حبل الله هو القرآن الكريم	عبد الله بن عباس	138
– خط رسول الله ﷺ خطا بيده...	عبد الله بن مسعود	138
– سئل عن ذئب عدا على شاة...	عبد الله بن عباس	138

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ثالثـــا: فهـــرس الأعـــــلام

اسم العلم	الصفحـــــة
أحمد أمين	19
أحمد بن فارس	02، 03، 10، 45، 81
أحمد حسن الزيات	14، 21، 22، 23، 32، 33
أحمد تقي الدين بن تيمية	36، 76، 77، 113، 141
أحمد رحماني	56، 57
احمد عرابي	24
أحمد محمد شاكر	144
إسحاق بن راهويه	138
أبو إسحاق الشاطبي	51، 54، 59، 64، 71، 72، 76
أبو إسحاق النظام	126
إسماعيل بن كثير أبو الفداء	121
إسماعيل صدقي باشا	17
أمين الخولي	18، 50
بدر الدين الزركشي	02، 86، 139، 168
أبو البقاء الكفوي	03، 04
أبو بكر الباقلاني	50
أبو بكر بن العربي	06، 49، 54، 74، 82، 85، 111
أبو بكر السجستاني	06
أبو بكر الشاشي	111
برهان الدين البقاعي	11، 51، 82، 83، 85، 96، 197
بلاشير	59
توفيق نسيم	25
ابن جزيء الكلبي الغرناطي	76، 86
الجعبري	76، 96
أبو جعفر بن الزبير الغرناطي	52، 85، 89

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جلال الدين السيوطي	02، 52، 84، 86، 97
جمال الدين الأفغاني	36
جمال الدين بن منظور	02، 10
أبو حامد الغزالي	110
الحسن البصري	152
أبو الحسن الأشعري	126
حسن البنا	25
حفص بن سليمان الأسدي الكوفي	145
حمزة بن حسن الزيات	145
أبو حيان الأندلسي	02، 86
الخطيب الإسكافي	91
الراغب الأصفهاني	03، 08، 10، 45، 110
الدامغاني	06
رفعت فوزي عبد المطلب	56
زياد خليل محمد الدغامين	11، 77، 189
زيد بن خالد	131
سعد بن أبي وقاص	131
سعد زغلول	16، 25
أبو السعود	86، 114
سعيد حوى	54، 67، 70، 71
أبو سعيد الخدري	131
السمين الحلبي	03، 10
سير ويليام بروقيت	24
سيد قطب	53، 55، 67، 69، 70، 71
ساش بن قيس	74- 75
شمس الدين بن قيم الجوزية	36، 49، 146
شهاب الدين محمود الألوسي	86، 115

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ابن شهيد ميسلون	73
صبحي الصالح	61، 86
صلاح عبد الفتاح الخالدي	06
الشعراني	114
طاهر الجزائري	86
طعمة بن أبيرق	142
فخر الدين الرازي	51، 54، 64، 83، 84، 91، 111- 112
فهد الرومي	63، 136
قتادة بن دعامة السدوسي	06، 152
ذو القرنين	74، 208
عاصم بن أبي النجود	145
عائشة بنت أبي بكر الصديق	145
عباس محمود العقاد	22، 31، 188، 224
عبد الحليم محمود	22
عبد الحميد بن باديس	120، 179
عبد الحميد الفراهي	53، 55، 67، 68، 71، 83
عبد الحي الفرماوي	04
عبد الرحمن بن صخر الدوسي (أبو هريرة)	145
عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني	56، 66 ، 227
عبد الرزاق السنهوري	19
عبد الستار فتح الله سعيد	06، 50، 62، 63
عبد الفتاح الشافعي	96
عبد القادر المغربي	120
عبد العزيز عزت عبد الحكيم محمود	185، 188، 190
عبد الله بن سلام	143
عبد الله بن أم مكتوم	90
عبد الله بن الصديق الغماري	53، 85- 86

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

عبد الله بن عامر	145
عبد الله بن عباس	138، 145، 147
عبد الله بن كثير الداري القارئ	145
عبد الله بن مسعود	138
أبو عبد الله الزنجاني	94
عبد الله السمان	42
عبد الوهاب حمودة	107
عبد الوهاب خلاف	36، 107
عبد الوهاب عزام	107
عبد المجيد سليم	15، 16، 20، 22، 34
عدنان محمد زرزور	70
العز بن عبد السلام	61، 86
عمر بن بحر الجاحظ	49
علي بن أبي طالب	145
علي بن أحمد الواحدي	141
علي عبد الرزاق	18
علي النجدي ناصف	80
عيسى عليه السلام	143، 145، 151
الغرنوي	61
كعب الأحبار	143
كعب بن الأشرف اليهودي	74
الكمال بن الهمام الحنفي	113
مالك بن نبي	55، 57
مجاهد بن جبر	152
محمد أبو الفضل الجيزاوي	15، 22
محمد أحمد يوسف القاسم	82، 86، 219
محمد الأحمد الظواهري	17، 18

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

محمد الأنصاري القرطبي	77، 112، 116
محمد أنور السادات	20
محمد باقر الصدر	47، 50
محمد بخيت المطيعي	22
محمد بن إسماعيل البخاري	05
محمد بن إسماعيل الشافعي	21
محمد البهي	22، 33، 39، 120، 179، 188
محمد تقي القمي	20، 31، 39
محمد حسن باجودة	56
محمد حسين الذهبي	136، 140
محمد الخالصي	31
محمد الخضر الحسين	32
محمد خليل جيجك	96
محمد رشيد رضا	36، 52، 76، 86، 115، 120، 150
محمد شاكر	22، 28
محمد شلتوت	15
محمد الصادق إبراهيم عرجون	140، 152- 153
محمد صديق القنوجي	61
محمد الطاهر بن عاشور	03، 77، 86
محمد ظاهر بن غلام	86
محمد فؤاد عبد الباقي	08
محمد قطب	76
محمد عبد القوي شلتوت	15
محمد عبد العظيم الزرقاني	148
محمد عبد اللطيف الفحام	16، 19
محمد عبد الله دراز	53، 56، 57، 60، 67، 156، 188، 193
محمد عبده	15، 16، 24، 27، 34، 36، 37، 115، 120،

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

	122، 150
محمد عزة دروزة	227
محمد علي باشا	27
محمد علي توفيق	18
محمد علي الحسن	157
محمد علي الشوكاني	61، 114
محمد علي الصغير	23
محمد الغزالي	76، 156، 184، 197، 226
محمد محمد المدني	188
محمد محمود حجازي	47، 56، 86، 163، 227
محمد محي الدين عبد الحميد	22
محمد مصطفى المراغي	16، 17، 18، 19، 25، 28، 30، 34، 36
محمد يوسف موسى	108
محمود بسيوني فودة	157
محمود بن عمر الزمخشري	51، 62، 86، 93، 100
محمود الشرقاوي	22
محي الدين النووي	113
مرتضى آل ياسين	109
مصطفى رجب	157
مصطفى صادق الجويني	49
مصطفى صادق الرافعي	53، 54، 86، 87، 89
مصطفى عبد الرزاق	16، 18
مصطفى مسلم	04، 05، 83
معاذ بن جبل	131
معمر بن المثنى	06، 95
منصور أبو نصر النيسابوري	86
موسى عليه السلام	208

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ناصر الدين الشيرازي البيضاوي	113
نافع بن عبد الرحمن المدني	145
نور الدين عتر	56
نولد كه	59
ولي الدين الملوي	59، 85
ولي الله الدهلوي	114
يعقوب عبد الوهاب	107
يوسف بن عبد البر	109
أبو هاشم	126

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

رابعا: فهرس المصادر والمراجع

I- القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم

II- مؤلفات الشيخ محمود شلتوت:

1-السلام عقيدة وشريعة، ط 18، القاهرة، دار الشروق، 2001م.

2-إلى القرآن الكريم، دار الكتاب العربي، د.م، د.ت.

3-تفسير القرآن الكريم، ط 12، القاهرة، دار الشروق، 2004م.

4- رسالة الأزهر ، مطبعة الأزهر ، 1959م.

5- الفتاوى، ط 18، القاهرة، دار الشروق، 2004م.

6-من توجيهات الإسلام، ط 8، دار الشروق، 2004م.

7-من هدي القرآن، دار الكتاب العربي، د.م، د.ت.

8-الوصايا العشر في سورة الأنعام، ط 3، القاهرة، دار الشروق، 1980م.

III- التفاسيـــــر:

1- أحمد تقي الدين بن تيمية، التفسير الكبير، تحقيق عبد الرحمن عميرة، بيروت، دار الكتب العلمية.

2-أحمد محمد شاكر، عمدة التفسير، مختصر تفسير ابن كثير، ج1، المنصورة، دار الوفاء.

3-إسماعيل بن كثير، تفسير القرآن العظيم، بيروت، دار الأندلس، د.ت، 2003م.

4-برهان الدين البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، تحقيق عبد الرزاق المهدي، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، 1995م.

5-أبو بكر بن العربي، أحكام القرآن، تحقيق محمد علي البجاوي، بيروت، دار الفكر، د.ت.

6-ابن جزيء الغرناطي: التسهيل لعلوم التنزيل، بيروت، دار الكتاب العربي، 1983م.

7-أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، ط 2، القاهرة، دار الفكر، 1983م.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

8-الخطيب الإسكافي: درة التنزيل وغرة لتأويل في تأويل الآيات المتشابهات من الكتاب العزيز، ط3، بيروت، دار الآفاق الجديدة، 1979م.

9-أبو السعود العمادي : إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، القاهرة، دار المصحف.

10-سعيد حوى، الأساس في التفسير: ط 5، القاهرة، دار السلام، 1999م.

11-سيد قطب، في ظلال القرآن: ط 11، بيروت، دار الشروق، 1985م.

12-فخر الدين الرازي : مفاتيح الغيب "التفسير الكبير" بيروت، دار الفكر، 1983م، وطبعة دار إحياء التراث العربي.

13-عبد الحميد بن باديس: مجلس التذكير من كلام الحكيم الخبير، ط 1، الجزائر، طبعة وزارة الشؤون الدينية، 1982م.

14-عبد الرحمان بن الجوزي: زاد المسير في علم التفسير، تحقيق عبد الرحمن عبد الله، بيروت، دار الفكر، 1987م.

15-عبد الرحمان حسن حبنكة الميداني: معارج التفكر ودقائق التدبر، [تفسير تدبري للقرآن بحسب ترتيب النزول]، ط1، دمشق، دار الفكر، 1981م.

16-مالك بن نبي : الظاهرة القرآنية، ترجمة عبد الصبور شاهين، دمشق، دار الفكر، 1981م.

17- محمد الأنصاري القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، بيروت، دار الكتاب العربي.

18- محمد بن جرير الطبري : جامع البيان في تأويل آي القرآن ،ط1، بيروت -لبنان ، دار المعرفة ، 1983م.

19- محمد رشيد رضا: تفسير القرآن الحكيم المعروف بتفسير المنار، ط3، در المنار ، د.ت.

20-محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، تونس، الدار التونسيـــة، 1984م، وطبعة سحنون، 1997م.

21-محمد عبد الله دراز: النبأ العظيم، نظرات جديدة في القرآن، ط 4، الكويت، دار القلم، 1977م، وط7، دار القلم ، 1993م.

22- محمد عي السايس: تفسير آيات الأحكام،ت.عبد الحميد هنداوي، ط1، القاهرة، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع،2001م.

23-محمد علي الشوكاني : فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراسة من علم التفسير، صححه أحمد عبد السلام، بيروت، دار الكتب العلمية، 1994م.

24-محمد الغزالي : نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم، الجزائر، منشورات بغدادي، د.ت.

25-محمود جار الله الزمخشري : الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، بيروت، دار الكتاب العربي، 1986م.

26-شهاب الدين محمود الألوسي : روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ط 1، بيروت، دار إحياء التراث العربي، وطبعة دار الفكر، 1414هـ.

27-ناصر الدين الشيرازي البيضاوي: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، بيروت، دار الفكر، 1982م.

VI- علـــوم القـــرآن:

1-أحمد أبو زيد : التناسب البياني في القرآن، دراسة في النظم المعنوي والصوتي، الرباط، كلية الآداب (سلسلة رسائل وأطروحات)، 1992م.

2-أحمد حسن فرحات : في علوم القرآن، عرض ونقد وتحقيق، عمان، دار عمار، 2001م.

3- أبو بكر الباقلاني : إعجاز القرآن ، شرح وتعليق محمد بن المنعم خفاجي ، ط محمد صبيح ، مصر ، 1951م.

4- إسماعيل بن كثير: فضائل القرآن، ط 05، لبنان، دار الأندلس، 1982م.

5-بدر الدين الزركشي : البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضـــل إبراهيم، ط 3، بيروت، دار الفكر، 1980م.

6-بلاشير : القرآن نزوله وتدوينه، ترجمة رضا سعادة، ط1، لبنان، دار الكتاب اللبناني، د.ت.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

7-أبو جعفر بن الزبير الغرناطي : البرهان في ترتيب سور القرآن، تحقيق محمد شعباني، المغرب، مطابع فضالة، 1993م.

8- \\ \\ ملاك التأويل القاطع بإلحاد ذوي التأويل، ط 1، دار المغرب الإسلامي، 1983م.

9-جلال الدين السيوطي : الإتقان في علوم القرآن، وبهامشه إعجاز القرآن للباقلاني، بيروت، دار الكتب الثقافية، 1987م.

10- \\ \\ لباب النقول في أسباب النزول، ط 4، بيروت، دار إحياء العلوم، 1983م.

11-\\ \\ تناسق الدرر في تناسب السور، المسمى "أسرار ترتيب القرآن"، تحقيق عبد القادر عطا، تونس، دار بوسلامة، 1983م.

12-\\ \\ مراصد المطالع في علم المناسبات في السور والآيات، تحقيق محمد بازمول، د.ط، د.م، المكتبة الملكية، 2002م.

13-\\ \\ معترك الأقران في إعجاز القرآن، تحقيق محمد علي البجاوي، دار الفكر العربي، د.ت.

14-سعيد حسن بحيري : علم لغة النص، المفاهيم والاتجاهات، مصر، الشركة المصرية العالمية، 1997م.

15-سيف بن راشد الجابري : أسماء السور القرآنية، د.م، ط1، 2002م.

16-صبحي الصالح : مباحث في علوم القرآن، ط14، بيروت، دار العلم للملايين، 1982م.

17-فؤاد علي رضا : من علوم القرآن، بيروت، دار اقرأ، د.ت.

18-عباس فضل حسن : القصص القرآني، الجزائر، شركة الشهاب، د.ت.

19- عبد الرحمان بودرع: منهج السياق في فهم النص، ط1، الدوحة، قطر، سلسلة كتاب الأمة، فبراير 2006م.

20-عبد الرحمان حسن حبنكة الميداني: قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عز وجل،ط 3، دمشق، دار القلم، 2004م.

21-عبد الرزاق حسن أحمد : المكي والمدني، ط1، القاهرة، دار ابن عفان، 1999م.

22-عبد الصبور شاهين : تاريخ القرآن، ط1، القاهرة، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، مايو 2005م.

23- عبد الفتاح الشافعي : أسرار أسماء سور القرآن الكريم ، مخطوط ، رسالة دكتوراه من جامعة الأزهر الشريف ، 2000م.

24-عبد الفتاح القاضي : البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة من طريق الشاطبية و الدرى، تحقيق أحمد عناية، ط 1، بيروت، دار الكتاب العربي، 2004م.

25- \\ \\ من علوم القرآن : مكتبة الكليات الأزهرية، د.ت.

26-عبد القاهر الجرجاني : دلائل الإعجاز، تحقيق محمود أحمد شاكر، ط2، القاهرة، مكتبة الخانجي، 1989م.

27-عبد الكريم الخطيب : القصص القرآني في منطوقه ومفهومه، بيروت، دار المعرفة، د.ت.

28-عبد اللطيف الخطيب : معجم القراءات، القاهرة، دار سعد الدين للطباعة والنشر والتوزيع، د.ت.

29-عبد المنعم النمر : علوم القرآن الكريم، ط2، القاهرة، دار الكتاب المصري، بيروت، دار الكتاب اللبناني، 1983م.

30-عدنان محمد زرزور : مدخل إلى تفسير القرآن وعلومه، ط2، بيروت، دار القلم، 1998م.

31-علي بن أحمد الواحدي : أسباب النزول، تعليق شريف عبد الرحمان، دار التقوى للتراث، د.ت.

32-علي النجدي ناصف : مع القرآن الكريم، دراسة مستلهمة، القاهرة، دار المعارف، 1981م.

33-غازي عناية : أسباب النزول القرآني، باتنة ، دار الشهاب، 1987م.

34-غانم قدوري الحمد : محاضرات في علوم القرآن، عمان، دار عمار، 2003م.

35-محمد أحمد يوسف القاسم : الإعجاز البياني في ترتيب آيات القرآن وسوره، د.م، د.ن، 1979م.

36-محمد البشير النيفر: القرآن والقصص، ط1، مطبعة الشمال الإفريقي، د.ت.

37-محمد بن الجزري : النشر في القراءات العشر، مراجعة علي محمد الصباغ، دار الفكر، د.ت.

38-محمد بن محمد أبو شهبة : الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، ط4، القاهرة، مكتبة السنة، 1988م.

39- // // المدخل لدراسة القرآن الكريم، القاهرة، مكتبة السنة، 1992م.

40-محمد حسناوي : الفاصلة القرآنية، عمان، دار عمار، 1986م.

41-محمد خليل جيجك : دلالة أسماء سور القرآن الكريم من منظور حضاري، ط1، بيروت، مؤسسة الرسالة، 2001م.

42-محمد الدالي: الوحدة الفنية في القصة القرآنية، د.ن، 1993م.

43-محمد رأفت سعيد : الترتيب والتناسب في آيات القرآن وسوره ودلائل الإعجاز، ط1، القاهرة، دار التوفيق، 1991م.

44-محمد رشيد رضا : الوحي المحمدي، الجزائر، عالم الكتب، د.ت.

45-محمد الزفراف:التعريف بالقرآن والحديث، ط4، الكويت، مكتبة الفلاح، 1984م.

46-محمد شديد : منهج القصة في القرآن، الرياض، شركة عكاض، 1984م.

47-محمد الصادق إبراهيم عرجون : القرآن العظيم هدايته وإعجازه في أقوال المفسرين، مكتبة الكليات الأزهرية، د.ت.

48-محمد صبيح : بحث جديد عن القرآن، ط8، بيرو ت، دار الشروق، 1983م.

49-محمد عبد الله دراز : مدخل إلى القرآن الكريم، الكويت، دار القلم، 1986م.

50-محمد عزة دروزة : القرآن المجيد، صيدا، بيروت، المكتبة العصرية، د.ت.

51-محمد عناية الله أسد سجاني : إمعان النظر في تناسب الآيات والسور، عمان، دار عمار، 2003م.

10-علي حسن العريض : تاريخ علم التفسير ومناهج المفسرين، دار الاعتصام، د.م، د.ت.

11-محمد حسن الذهبي : التفسير والمفسرون، د.م، مكتبة مصعب بن عمير، 2004م.

12-محمد الصادق عرجون: نحو منهج لتفسير القرآن، ط3، جدة، السعودية، 1979م.

13-محمد عبد الكريم الجزائري : مقدمة في علوم القرآن وعلوم التفسير، ط1، طربلس ، ليبيا، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، 2002م.

14-محمد كبير يونس : دراسات في أصول التفسير، ط1، طرابلس، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، 2002م.

15- مصطفى الجويني : مناهج في التفسير ، منشأة المعارف بالإسكندرية ، د.ت.

16- منيع عبد الحليم محمود : مناهج المفسرين، القاهرة، دار الكتاب المصري، بيروت، دار الكتاب اللبناني، 2000م.

IV- دراسات قرآنية:

1-تمام حسان : البيان في روائع القرآن، ط2، القاهرة، عالم الكتب، 2000م.

2-ابن شهيد ميسلون: نظرة العجلان في أغراض القرآن، تقديم مصطفى الرزقا، دمشق، المطبعة العصرية، د. ت.

3-رفعت فوزي عبد المطلب : الوحدة الموضوعية للسورة القرآنية، ط1، القاهرة، دار السلام، 1986م.

4-صابر طعيمة : بنو إسرائيل في ميزان القرآن الكريم، بيروت، دار الجيل، د.ت.

5-صلاح عبد الفتاح الخالدي : المنهج الحركي في ظلال القرآن، الجزائر، دار الشهاب، 1988م.

6-عبد الحميد طهماز: أسباب النصر في سورة الأنفال، ط1، دمشق، دار القلم، 1990م.

7- \\ \\ بصائر الحقائق في سورة الأنعام، دمشق، ط1، دار القلم، 1990م.

8- محمد حسن باجودة : الوحدة الموضوعية في سورة يوسف، ط2، جدة، تهامة، 1983م.

9-محمد باقر الصدر: المدرسة القرآنية، بيروت، دار التعارف، د.ت.

10-محمد حسين الصغير: المستشرقون والدراسات القرآنية، بيروت، المؤسسة الجامعية، 1986م.

11-محمود الدوسري : عظمة القرآن الكريم، ط1، السعودية، دار ابن الجوزي، 1426هـ.

12-محمد قطب : دراسات قرآنية، ط6، القاهرة، دار الشروق، 1991م.

13-محمد عبد السلام محمد : دراسات في القرآن الكريم، ط2، الكويت، مكتبة الفلاح، 1987م.

14-محمد علي الصابوني: إيجاز البيان في سور القرآن، الجزائر، مكتبة رحاب، د.ت.

15-محمد الغزالي : نظرات في القرآن، ط6، باتنة، دار الشهاب، 1986م.

16-محمد محمود حجازي : الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم، ط2، الزقازيق، مكتبة دار التفسير، 2004م.

17-منى عبد الله حسن بن داوود : منهج الدعوة إلى العقيدة في ضوء القصص القرآني، بيروت، دار ابن حزم، 1998م.

IIV- دراسات تخصصية في مصطلح التفسير الموضوعي:

1-أحمد جمال العمري : دراسات في التفسير الموضوعي للقصص القرآني، ط1، القاهرة، مكتبة الخانجي، 1986م.

2-أحمد رحماني : التفسير الموضوعي نظرية وتطبيق، باتنة، منشورات جامعة باتنة، 1998م.

3-زياد خليل محمد الدغامين : منهجية البحث في التفسير الموضوعي، ط1، عمان، دار البشير، 1995م.

4-صلاح عبد الفتاح الخالدي : التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق، ط1، دار النفائس، 1997م.

5-عبد الجليل عبد الرحيم : التفسير الموضوعي للقرآن في كفتي الميزان، ط1، عمان، د.ن، 1992م.

6-عبد الحي الفرماوي : البداية في التفسير الموضوعي، ط7، د.م، 2005م.

7-عبد الستار فتح الله سعيد : المدخل إلى التفسير الموضوعي، ط2، القاهرة، دار التوزيع والنشر الإسلامية، 1991م.

8-عطية طه عطية الزلمة:المنهج الرباني في التفسير الموضوعي،د.م، د.ن، 2003م.

9-مصطفى مسلم : مباحث في التفسير الموضوعي، ط2، دمشق، دار القلم، 1997م.

IIIV- الحديث وشروحه:

1-أحمد بن حنبل : المسند، تحقيق أحمد محمد شاكر، القاهرة، مكتبة التراث الإسلامي، د،ت.

2-أحمد بن علي بن حجر العسقلاني : تهذيب التهذيب، ط1، دار الفكر، 1984م.

3-أبو بكر بن العربي : عارضة الأحوذي بشرح صحيح الترمذي، دار العلم للجميع، د.م، د.ت.

4-أبو جعفر الطحاوي : مشكل الآثار،ط1، بيروت، دار الصادر، 1333هـ.

5-سليمان بن أحمد الطبراني : المعجم الكبير، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي، ط2، د.م، د.ن، 1984م.

6-علي بن خلف بن بطال : شرح ابن بطال على صحيح البخاري، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، 2003م.

7-محمد بن إسماعيل البخاري : الجامع الصحيح، مصر، مصطفى الحلبي وأولاده، 1345هـ.

8-محمد علي الشوكاني : نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار، ط1، القاهرة، الشركة الدولية للطباعة، 2003م.

9-محمد ناصر الدين الألباني : سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، الرياض، مكتبة المعارف، 1995م.

10-محمد بن يزيد بن ماجة : سنن ابن ماجة، تعليق محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر للطباعة ولنشر والتوزيع، د.ت.

11-محي الدين النووي : صحيح مسلم بشرح النووي، ط2، بيروت، دار إحياء التراث العربي، 1972م، وط1، القاهرة ، دار الحديث ، 1994م.

12-يوسف بن عبد البر: الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار وعلماء الأقطار فيما تضمنه الموطأ من معاني الرأي والآثار، ط2، بيروت،دار الكتب العلمية، 2002م.

XI- المعاجم اللغوية والمعاجم التخصصية:

1-أحمد بن فارس : معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، ط3، مكتبة الخانجي، 1991م.

2-أبو البقاء الكفوي : الكليات، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1993م.

3- جمال الدين بن منظور الإفريقي، لسان العرب، القاهرة، دار المعارف، د.ت.

4- مجد الدين الفيروز آبادي : القاموس المحيط، ذ3، مصر، المطبعة الأميرية ، بولاق ، 1301هـ.

5-محمد مرتضى الزبيدي : تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق أحمد خراج عبد الستار، الكويت، مطبعة حكومة الكويت، 1965م.

6-الراغب الأصفهاني : المفردات في غريب القرآن، تحقيق محمد خليل عيتاني، ط4، بيروت، دار المعرفة، 2005م.

7-السمين الحلبي : عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، تحقيق محمد التونجي، ط1، عالم الكتب، 1993م.

8-محمد فؤاد عبد الباقي : المعجم المفهرس لألفاظ لقرآن الكريم، ط1، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1986.

9-معجم ألفاظ القرآن الكريم لمجمع اللغة العربية، ط2، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، 1970م.

X- كتـــب عامـــــة:

1-أحمد جاد عبد الرزاق : فلسفة المشروع الحضاري بين الإحياء الإسلامي والتحديث الغربي (سلسلة الرسائل الجامعية)، أمريكا، م.ع.ن.إ، 1995م.

2-أحمد تقي الدين بن تيمية : مجموع الفتاوى، المغرب، مكتبة المعارف.

3-١١ ١١ درء تعرض النقل والعقل، أو موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول، صححه عبد اللطيف عبد الرحمان، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، 1997م.

4- أحمد بن علي الشعراني: الميزان الكبرى ، ذ2، دمشق، دار الفكر ، د.ت.

5-أبو إسحاق الشاطبي : الموافقات في أصول الشريعة، تعليق عبد الله دراز، القاهرة، المكتبة التوفيقية، د.ت.

6-جمال الدين الأسنوي : نهاية السول شرح منهاج الوصول للقاضي البيضاوي، عالم الكتب، د.ت.

7-أبو حامد الغزالي : إحياء علوم الدين، تحقيق سيد عمران، القاهرة، دار الحديث، 2004م.

8-شمس الدين بن القيم الجوزية : إعلام الموقعين عن رب العالمين، مراجعة وتعليق طه عبد الرؤوف سعد، القاهرة، مكتبة الكليات الأزهرية، د.ت.

9-فخر الدين الرازي : المحصول من علم الأصول، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، 1988م.

10-فوبليكوف ،أكاديمية العلوم في الاتحاد السوفييتي : تاريخ الأقطار العربية المعاصرة، ، موسكو، دار التقدم، 1976م.

11- عبد الجبار المعتزلي وآخرون: رسائل العدل والتوحيد، تحقيق محمد عمارة، ط2، القاهرة، دار الشروق، 1998م.

12-عبد الرحمان الزنيدي : مناهج البحث في العقيدة الإسلامية في العصر الحاضر ، ط1، الرياض، مركز الدراسات والإعلام، اشبيليا ، 1998م.

13- عبد الملك بن هشام: السيرة النبوية(سيرة ابن هشام)، ت.مصطفى السقا وآخران، بيروت، دار إحياء التراث العربي، د.ت.

14- غنيمي هلال : النقد الأدبي الحديث ، بيروت ، دار العودة ، 1986م.

15-الكمال بن الهمام : شرح فتح القدير، ط دار الفكر، د.ت.

2-أحمد تقي الدين بن تيمية : مجموع الفتاوى، المغرب، مكتبة المعارف.

3-\\ \\ درء تعرض النقل والعقل، أو موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول، صححه عبد اللطيف عبد الرحمان، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، 1997م.

4- أحمد بن علي الشعراني: الميزان الكبرى ، ذ2، دمشق، دار الفكر ، د.ت.

5-أبو إسحاق الشاطبي : الموافقات في أصول الشريعة، تعليق عبد الله دراز، القاهرة، المكتبة التوفيقية، د.ت.

6-جمال الدين الأسنوي : نهاية السول شرح منهاج الوصول للقاضي البيضاوي، عالم الكتب، د.ت.

7-أبو حامد الغزالي : إحياء علوم الدين، تحقيق سيد عمران، القاهرة، دار الحديث، 2004م.

8-شمس الدين بن القيم الجوزية : إعلام الموقعين عن رب العالمين، مراجعة وتعليق طه عبد الرؤوف سعد، القاهرة، مكتبة الكليات الأزهرية، د.ت.

9-فخر الدين الرازي : المحصول من علم الأصول، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، 1988م.

10-فوبليكوف ،أكاديمية العلوم في الاتحاد السوفييتي : تاريخ الأقطار العربية المعاصرة، ، موسكو، دار التقدم، 1976م.

11- عبد الجبار المعتزلي وآخرون: رسائل العدل والتوحيد، تحقيق محمد عمارة، ط2، القاهرة، دار الشروق، 1998م.

12-عبد الرحمان الزنيدي : مناهج البحث في العقيدة الإسلامية في العصر الحاضر ، ط1، الرياض، مركز الدراسات والإعلام، اشبيليا ، 1998م.

13- عبد الملك بن هشام: السيرة النبوية(سيرة ابن هشام)، ت.مصطفى السقا وآخران، بيروت، دار إحياء التراث العربي، د.ت.

14- غنيمي هلال : النقد الأدبي الحديث ، بيروت ، دار العودة ، 1986م.

15-الكمال بن الهمام : شرح فتح القدير، ط دار الفكر، د.ت.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

16-محمد إبراهيم الفيومي : في مناهج تجديد الفكر الإسلامي، التقريب بين المذاهب، القاهرة، دار الفكر العربي، 2001م.

17- محمد أبو زهرة : أصول الفقه ، دار الفكر العربي ، 1997م.

18- محمد العشماوي : قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث ، بيروت ، دار النهضة العربية ، 1979م.

19-محمد الغزالي : تراثنا الفكري في ميزان الشرع والعقل، دار المعرفة ودار ريحانة بالاشتراك، د.ت.

20-مسعود بن عمر التفتازاني : شرح المقاصد، تحقيق عبد الرحمان عميرة، ط2، بيروت، عالم الكتب، 1998م.

21-أبو المعالي الجويني : الإرشاد على قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد، تحقيق أسعد تميم، ط1، بيروت، مؤسسة الكتب الثقافية، 1985م.

22- وهبه الزحيلي : أصول الفقه الإسلامي ، دمشق ، دار الفكر ، د.ت.

23-يوسف القرضاوي : الاجتهاد في الشريعة الإسلامية، الكويت، دار القلم، 1985م.

24- \\ \\ رسالة الأزهر بين الأمس واليوم والغد، بيروت، مؤسسة الرسالة، 2001م.

IX- التراجـــم والسيـــر:

1-خير الدين الزركلي : الأعلام ، بيروت، دار العلم للملايين، 1986م.

2-عادل نويهض : معجم المفسرين من صدر الإسلام حتى عصرنا الحاضر، تقديم حسن خالد، د.م، مؤسسة نويهض، 1983م.

3-عمر رضا كحالة : معجم المؤلفين، ط1، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1993م.

4-محمد رجب البيومي : النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين، ط المكتبة العصرية، د.م.

5-محمد صبري : تاريخ مصر من محمد علي إلى العصر الحديث، الجزء 13، (صفحات من تاريخ مصر)، القاهرة، مكتبة مدبولي، 1990م.

6-محمد عبد المنعم خفاجي : الأزهر في ألف عام، ط2، بيروت، عالم الكتب، القاهرة، مكتبة الكليات الأزهرية، 1988م.

7-محمد كامل الفقي : الأزهر وأثره في النهضة الأدبية الحديثة، صيدا/بيروت، منشورات المكتبة العصرية، 1982م.

IIX- المجـــــلات:

1-مجلة الأزهر، القاهرة.

2-مجلة رسالة الإسلام، القاهرة.

3-مجلة المنهل السعودية.

4-مجلة مجمع اللغة العربية، القاهرة.

5-مجلة كليات الدراسات الإسلامية والعربية بالإمارات.

6-مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية بالكويت.

7-مجلة المعارج اللبنانية.

8-مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض.

9-مجلة الرسالة بالقاهرة.

10-مجلة كلية الشريعة وأصول الدين، أبها، السعودية.

11-مجلة كلية الآداب بجامعة الإمارات.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

خامسا: فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
إهداء	
شكر وتقدير	
مقدمة	أ
مدخل حول التفسير الموضوعي	001
الباب الأول: الشيخ محمود شلتوت والوحدة الموضوعية في القرآن الكريم	012
الفصل الأول: سيرة الشيخ محمود شلتوت	013
المبحث الأول: حياته وعصره	015
المطلب الأول: حياته وسيرته	015
الفرع الأول: نشأته الأسرية وحياته العلمية	015
الفرع الثاني: وفاته	021
الفرع الثالث: شيوخه وتلاميذه وأصدقاؤه	022
الفرع الرابع: مواقف وآراء	022
المطلب الثاني: عصره	023
الفرع الأول: الأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية	023
الفرع الثاني: الحالة العلمية والفكرية في عصره	027
المبحث الثاني: مكانته ومؤلفاته العلمية	030
المطلب الأول: مكانته العلمية	030
الفرع الأول: صفاته الخلقية والعلمية وأقوال العلماء فيه	031
الفرع الثاني: الشيخ شلتوت رجل الإصلاح الديني والتجديد الشمولي	033
الفرع الثالث: الشيخ شلتوت ومدرة الإمام محمد عبده	036
الفرع الرابع: الشيخ شلتوت داعية الوحدة وإمام التقريب	037
المطلب الثاني مؤلفاته العلمية	039
الفرع الأول: كتاب "الإسلام عقيدة وشريعة"	039

الفرع الثاني: كتاب: "الفتاوى" 042
الفرع الثالث: كتاب: "من توجيهات الإسلام" 043
الفصل الثاني: الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم 044
المبحث الأول: الوحدة الموضوعية للمصطلح والموضوع القرآني..... 045
المطلب الأول: مفهوم الوحدة الموضوعية، تاريخها ،ومسمياتها 045
الفرع الأول: مفهوم الوحدة الموضوعية 045
الفرع الثاني: تاريخ الوحدة الموضوعية 048
الفرع الثالث: مسمياتها، والفرق بينها وبين المسميات الأخرى 054
المطلب الثاني: الوحدة الموضوعية بين النفي والإثبات..... 058
الفرع الأول: المستشرقون والوحدة الموضوعية 058
الفرع الثاني: بعض النافين لها من العلماء المسلمين..... 061
الفرع الثالث: بعض النافين لها في السورة القرآنية..... 062
الفرع الرابع: الشيخ شلتوت وقضية الدفاع عن الوحدة الموضوعية..... 063
المطلب الثالث: الوحدة الموضوعية بين المصطلح القرآني وبين الموضوع القرآني.. 064
المطلب الرابع: التجميع وعلاقته بطريق الكشف عن الوحدة الموضوعية..... 066
المبحث الثاني: الوحدة الموضوعية للسورة القرآنية 067
المطلب الأول: السورة القرآنية بين ذاتية الوحدة المستقلة وبين تبعية الوحدة العامة
في القرآن الكريم..... 067
الفرع الأول: السورة القرآنية ذات وحدة موضوعية مستقلة 067
الفرع الثاني: تبعية الوحدة الموضوعية للسور القرآنية للوحدة القرآنية في سورة
البقرة عند سعيد حوى..... 070
الفرع الثالث: السورة القرآنية ذات وحدة موضوعية تبعية..... 071
الفرع الرابع: وضوح الموضوع في السورة وعدم اكتماله إلا في سور أخرى..... 071
المطلب الثاني: علوم القرآن والوحدة الموضوعية..... 072
الفرع الأول: أسباب النزول 073

الفرع الثاني: موضوعات المكي والمدني 075
الفرع الثالث: القصص القرآني 078
المطلب الثالث: علم المناسبات والوحدة الموضوعية 081
الفرع الأول: مدخل إلى علم المناسبات 081
أولا: تعريف علم المناسبات.....081
ثانيا: موضوعه وأهميته وثمرته.....083
ثالثا: كيفية اكتشاف المناسبات وأهم المصنفات فيها.....084
الفرع الثاني: العلاقة بين علم المناسبات والوحدة الموضوعية 086
أولا: التناسب الصوتي 086
ثانيا: التناسب اللفظي 089
ثالثا: مناسبة الآيات..... 091
رابعا: مناسبات السورة والسور القرآنية 095
المطلب الرابع: بنية السورة والوحدة الموضوعية 099
الفرع الأول: نظام الفواصل 100
الفرع الثاني: أسلوب السورة 102
الفرع الثالث: سياق السورة والآيات 102
الباب الثاني: المنهج والوحدة الموضوعية في تفسير الشيخ محمود شلتوت 105
الفصل الأول: منهج الشيخ محمود شلتوت في تفسيره..... 106
المبحث الأول: التعريف بتفسيره..... 107
المطلب الأول: ظروف تأليفه ومصادره 107
الفرع الأول: ظروف تأليفه..... 107
الفرع الثاني: مصادره في تفسيره 109
المطلب الثاني: علاقة تفسيره بمؤلفاته الأخرى..... 117
المطلب الثالث: لماذا لم يكمل تفسيره؟ 120

المبحث الثاني: منهج الشيخ شلتوت في تفسيره التحليلي والموضوعي 121
المطلب الأول: المنهج التحليلي في تفسيره 123
الفرع الأول: منهجه في العقيدة والمسائل الكلامية 123
الفرع الثاني: اللغة والبلاغة في تفسيره 127
الفرع الثالث: مسائل الفقه والأحكام 130
الفرع الرابع: الاتجاه العقلي في تفسيره 135
الفرع الخامس: التفسير بالمأثور في تفسيره 136
الفرع السادس: منهجه في علوم القرآن 138
أولا : وجوه الإعجاز في تفسيره 138
ثانيا: موقفه من أسباب النزول 141
ثالثا : التحذير من الإسرائيليات والروايات الموضوعة 142
رابعا : المكي والمدني والقراءات 144
خامسا : قضايا النسخ ، المحكم والمتشابه في تفسيره 145
سادسا : الحروف المقطعة في أوائل السور 149
سابعا : منهجه في فهم القصص القرآني 150
ثامنا : موقفه من التفسير العلمي والتفسير المذهبي 152
المطلب الثاني: منهجه في تفسيره الموضوعي 155
الفرع الأول: اعتماده التناسب وأنواعه 157
الفرع الثاني: المزاوجة بين الكشف والتجميع 161
الفرع الثالث: بين الترتيب النزولي والترتيب المصحفي 163
الفرع الرابع: الموازنة بين السورة القرآنية المكية والمدنية 165
الفرع الخامس: اعتماد السياق والاستقراء في تفسيره 167
الفرع السادس: استخلاص الدروس والعبر 170
الفرع السابع: عدم تفسير كل آيات السورة 171

المبحث الثالث: خصائص ومميزات تفسيره 172
المطلب الأول: أهم الخصائص المنهجية والنظامية لتفسيره 173
الفرع الأول: التنظيم والتنسيق والترتيب للمعلومات والموضوعات ووضع فهرس لها173
الفرع الثاني: توزيع العناوين وترتيبها 176
الفرع الثالث: التلخيص والإجمال والختم بالدعاء 178
المطلب الثاني: أهم خصائص المضمون والمحتوى 179
الفرع الأول: دقة المناقشة والتعقيب على المفسرين 179
الفرع الثاني: إبراز حكمة التشريع 180
الفرع الثالث: الواقعية 182
الفصل الثاني: أنواع الوحدة للسورة القرآنية، مسمياتها، مواضعها، وملامحها في تفسير الشيخ محمود شلتوت 183
المبحث الأول: أنواع الوحدة السورية، مواضعها، ومسمياتها 184
المطلب الأول: أنواع الوحدة السورية في تفسيره 184
الفرع الأول: الوحدة الموضوعية 184
الفرع الثاني: الوحدة المقاصدية 189
الفرع الثالث: الوحدة الأسلوبية 193
المطلب الثاني: مواضع الوحدة الموضوعية في تفسيره 196
الفرع الأول: الوحدة الموضوعية في سورة الفاتحة 196
الفرع الثاني: الوحدة الموضوعية في سورة البقرة 196
الفرع الثالث: الوحدة الموضوعية في سورة آل عمران 197
الفرع الرابع: الوحدة الموضوعية في سورة النساء 197
الفرع الخامس: الوحدة الموضوعية في سورة المائدة 197
الفرع السادس: الوحدة الموضوعية في سورة الأنعام 197
الفرع السابع: الوحدة الموضوعية في سورة الأعراف 198
الفرع الثامن: الوحدة الموضوعية في سورة الأنفال 198

الفرع التاسع: الوحدة الموضوعية في سورة التوبة 198
المطلب الثالث: مسمياتها في تفسيره 199
الفرع الأول: الوحدة 199
الفرع الثاني: العقد 199
الفرع الثالث: الشخصية الواحدة 200
الفرع الرابع: الكتلة الواحدة 200
الفرع الخامس: سلك واحد وصورة كاملة 200
الفرع السادس: القضايا الكبرى 201
الفرع السابع: أساس واحد وقوانين كلية 201
المبحث الثاني: ملامح الوحدة الموضوعية للسورة القرآنية عند الشيخ شلتوت من
خلال تفسيره 201
المطلب الأول: فواتح السور وتسميتها 202
المطلب الثاني: مقاصد وأهداف السورة 205
المطلب الثالث: وسط السورة 206
المطلب الرابع: التناسب بين السورة وموضوعها 207
المطلب الخامس: مناسبة موضوع السورة لوقع التنزيل 209
المطلب السادس: التناسب بين السور المتجاورة في الترتيب المصحفي 210
المطلب السابع: أوجه التناسب بين السور المختلفة التي عرضت لموضوع واحد 212
المطلب الثامن: أوجه التناسب بين السور المتفق مطلعها 213
المطلب التاسع: التناسب بين مناهج السور وموضوعها 215
المطلب العاشر: التناسب من حيث المضمون 216
المطلب الثالث: تقسيم وتقويم هذا المنهج 217
المطلب الأول: الجانب النظري 217
المطلب الثاني: الجانب التطبيقي 218
خاتمة 222

الفهارس..... 229
فهرس الآيات القرآنية 230
فهرس الأحاديث النبوية والآثار..... 236
فهرس الأعلام..... 237
فهرس المصادر والمراجع..... 244
فهرس الموضوعات 258
الملخصات.
الملخص باللغة العربية.
الملخص بالغة الفرنسية.
الملخص باللغة الإنجليزية.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ملخص البحث باللغة العربية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

لا شك أن منهج التفسير الموضوعي هو المنهج الذي يلبي مستحدثات العصر بما يمدها به من هدايات و أدوية قرآنية ، ولقد اتخذ التفسير الموضوعي في ذلك ثلاثة ألوان هي:

الأول: المصطلح القرآني والذي يهتم بالمفردات القرآنية، وتتبع تصاريف اشتقاقها في القرآن الكريم.

الثاني: الموضوع القرآني والذي يهتم بتتبع المعنى الواحد المبثوث في سور القرآن الكريم .

الثالث: السورة القرآنية: والتي ينصب اهتمام المفسر من خلالها على الكشف عن وحدة الموضوع لهذه السورة، والتعرف عليها كوحدة متماسكة، مقاطعها وعناصرها، مترابطة فيما بينها ترابط الحبات في خيط السبحة؛ ولا شك أن وحدة الموضوع هي لب التفسير الموضوعي للسورة وقلبه، ولقد كان الشيخ محمود شلتوت من العلماء المهتمين بهذه المسألة الجوهرية في عصره؛ وذلك في تفسيره "تفسير القرآن الكريم "، ولذا فإن إشكالية البحث تتمحور حول مفهوم الوحدة الموضوعية ومعالمها عند الشيخ محمود شلتوت؟ وما إذا وفق في إيضاحها إيضاحا وافيا بشكل يجعله من السباقين في هذا المجال،أم لا؟.

ولطبيعة هذا البحث وخصوصياته ، فقد قسمته إلى مدخل ومقدمة وبابين كبيرين وخاتمة.

مقدمة :وقد دونت فيها أسباب اختيار الموضوع ، و إشكاليته ، وأهميته ، وأهدافه ، والصعوبات العلمية التي صادفتها و اعترضتني في إنجاز هذا البحث.

أما الباب الأول: فكان للحديث عن أهم معالم حياة الشيخ محمود شلتوت وسيرته العلمية،كما تضمّن الحديث عن الجانب النظري للوحدة الموضوعية في القرآن الكريم ؛ وذلك لأنواع التفسير الموضوعي الثلاثة: المصطلح القرآني ، والموضوع القرآني ، والسورة القرآنية ؛ والتي تناولتها كمدخل عام لهذا البحث ، وكانت الدراسة – من خلاله – منصبة على كشف حقيقية الوحدة الموضوعية وبنيتها في القرآن الكريم ، والتركيز على ما يحققها بصورة واضحة من العوامل المهمة في تحقيق ذلك ، فكان الباب الأول مقسما إلى فصلين كبيرين:

الفصل الأول: سيرة الشيخ محمود شلتوت ، ومكانته و مؤلفاته العلمية.

الفصل الثاني: الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم للمصطلح والموضوع القرآنيين.

وأما الباب الثاني فكان للحديث عن منهج الشيخ شلتوت العام في تفسيره ؛ التحليلي و الموضوعي ، ثم تخصيص ذلك بالحديث عن منهجه الخاص في تحقيق الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم ، و بيان الملامح العامة لذلك ، وذلك – طبعا – من خلال تفسيره الموسوم ب " تفسير القرآن الكريم " ؛ فكان هذا الباب مقسما هو الأخر إلى فصلين كبيرين :

الفصل الأول : منهج الشيخ محمود شلتوت في تفسيره ، وخصائص هذا التفسير.

الفصل الثاني :الوحدة الموضوعية للسورة القرآنية عند الشيخ محمود شلتوت من خلال تفسيره.

وتحت كل فصل مجموعة من المباحث ، والمطالب ، والفروع، هي مذكورة في فهرس الموضوعات.

ثم أنهيت ذلك بخاتمة توصلت فيها إلى أهم النتائج والمسجلة في النقاط التالية:

- قد كان للشيخ محمود شلتوت منهج واضح في تفسيره، وقد كان ذلك متمثلا في شقين مزج بينهما في تفسيره؛ المنهج التحليلـــي، والمنهج الموضوعي، ولكل واحـــد منهما قـــواعد منهجية، ومفردات كثيرة، تدل على أنه لم يخصص تفسيره بواحدة من هذه القواعد المنهجية؛ وإنما كان تفسيره موسوعة علمية إسلامية، تجمع بجانب التفسير، الفقه والأحكام،والعظة والعبرة، وحكمة التشريع، والمقارنات بين المذاهب الوضعية والدين الإسلامي... بجانب ما فيه من أصول وعقائد.

- قد امتاز الشيخ أيضا بسلك منهج التفســـير الموضوعي، وكان من الرواد الأوائـــل في التأصيل له، وكان مدركا لأهم ألوانه؛ الموضوع القرآني، وكان في ذلك واضحا في مؤلفاته، والسورة القرآنية، وكان تفسيره خير نموذج لذلك.

- للشيخ محمود شلتوت معالم كبرى في منهجه في التفسير الموضوعي، أكد على بعضها وصرح بها، وكان مطبقا للبعض الآخر في تفسيره؛ اعتمد التناسب بأنواعه داخل السورة وخارجها؛ حيث كان لبعضه مقلدا ومحاكيا، وكان مستجدا لبعض الوجوه الأخرى في التناسب؛ كالتناسب بين أطراف السورة ووسطها، وبين موضوعاتها وواقع التنزيل، وغيرهما؛ مما يدلنا على أن الشيخ كان مكثرا لأوجه التناسب، كما صرّح هو بنفسه عن ذلك.

- القول بالوحدة الموضوعية للسور راجع إلى وحدة القرآن العامة؛ بمعنى: أن القرآن الكريم يشكل وحدة لا تتجزأ، في تعاليمه وأحكامه، وهي مترابطة فيما بينها فيما يشبه الوحدة العضوية بين أعضاء الجسم الواحد، ولا يفصل جزء عن سائر الأجزاء.

فرغم تباعد الفاصل الزمني بين الحوادث المختلفة، إلا أن القرآن الكريم جمع بينها - في سورة منه أو أكثر –جمعا محكما، ورتب بين عناصرها ترتيبا متناسقا عجيبا، مشكلا بذلك الوحدة الموضوعية؛ مما يدل أيضا على أن السورة الواحدة مهما طالت أو قصرت، ومهما تنوعت موضوعاتها، فإن لها نظاما خاصا، ورباطا جامعا ووحدة موضوعية عامة ترجع إليها تلك الموضوعات وترتبط بها.

- لم يفصّل الشيخ محمود شلتوت الحديث عن الوحدة الموضوعية؛ لأنه كان منشغلا بتقديم النماذج التطبيقية والحلول القرآنية لمشكلات واقعه ومجتمعه، ولذا فإنه لم يفصّل كثيرا في تعريف الوحدة الموضوعية، وفي شرحها، ولم يشر إلى تاريخ الوحدة؛ وإنما ركز على أوجه التناسب بأنواعها ، ثم أشار إلى دور بعض علوم القرآن كالمكي والمدني، وسياق السورة وأسلوبها في بيان وحدتها الموضـــوعية العامة، وكان ذلك جليا على المستوى التطبيقي في تفسيره.

- وقد اصطلح الشيخ في ذلك بتسميات خاصة، بعضها متفق عليها؛ كالوحدة والشخصية والبعض الآخر مما طبع بسماته الشخصية؛ كالأساس والقوانين وغيرها.

- يؤكد الشيخ محمود شلتوت على أهمية الترتيب المصحفي في التفسير الموضوعي، ويعلل ذلك بأنه أوفق وأرعى لحالة الجماعة المؤمنة، وأنسب مع حالتها الجديدة؛ ومع ذلك فإنه لا يستبعد الترتيب النزولي؛ بل إنه كثيرا ما يلجأ إليه لتحليل المواقف القرآنية، ومعرفة منهج الوحي في علاج القضايا المعروفة في مرحلة التنزيل.

وبذلك فهو ينبـــه إلى أهمية المزج والاستعانة لكلا الترتيبين في معرفة المواقف القرآنيـــة، أو استخراج النظرية القرآنية تجاه قضية معينة تناولها القرآن بالدرس والتحليل، وهو يخالف في ذلك بعض المفسرين الذين يؤكدون استقلالية التفسير الموضوعي بالترتيب النزولي فقط، كما كان من محمد عزة دروزة ، ومحمد محمود حجازي ، وعبد الرحمان حسن حبنكة الميداني وغيرهم.

- وقد بنى الشيخ شلتوت رأيه في ذلك على القول بتوقيفية الترتيب المصحفي، وبالتالي فإنـــه له —هذا الترتيب- أسرارا وحكما ومناسبات وطيدة بين سوره، تساهم هي الأخرى في عقد الموازنات بينها، للتأكيد على وحدة السورة المتناولة بالدرس، فالكل توقيفي من عند الله والوشائج بينها كائنة لا محال، وإن خفت على البعض.

-من الحقائق المهمة في هذا المجال أن لكل سورة حدودا وأهدافا وأغراضا تدور حولها، فتعرض لتحقيق ذلك إلى عدة معان، وتأخذ من كل معنى ما يتناسب مع هدفها ؛ وهي بذلك تحقق وحدة كاملة لها طابعها الخاص في اللفظ، وفي السياق، وفي الفواصل، وفي ختام الآيات، وفي الأسلوب، ولها في الوصول إلى هدفها طرق خاصة.

فلا يضير السورة- بعد ذلك- أن تشترك معها سور أخرى في نفس الموضوع؛ إذ لا يعني ذلك انعدام تحقق الوحدة الموضوعية من خلالها، بل إنها —السورة-تحققها من وجهتها الخاصة وهذا هو المقصود بالوحدة الموضوعية للسورة القرآنية.

-ومن هذا الباب، فإن الموضوع الواحد إذا كرر في عدة سور-وخاصة في القصص القرآني— فإنه يناسب كل سورة ذُكر فيها جزء منه شكلا وموضوعا ومنهجا، وأن ذلك يدل على كمال الوحدة الموضوعية وتناسقها في جميع السور؛ بمعنى أن الموضـــوع الخاص بكل ســـورة لا يذكر بتمـــامه فيها لأسرار فنية أدبية، وموضوعية توجيهية، وخطابية دعوية؛ وذلك فيما يتعلق بالإجمال والتفصيل والاختصار والإكمال، والتفصيل والتذكير، وقد نبه الشيخ شلتوت إلى هذا، ودعاه ذلك إلى أن يستخدم منهج التجميع داخل السورة بالإضافة إلى منهج الكشف ليصل إلى كمال الوحدة الموضوعية

في القرآن الكريم المتعلقة بالموضوع القرآني، وإن كانت السورة متضمنة لوحدتها الخاصة، ومراميها المبتغاة.

- رأينا أيضا أن الموضوعات التي احتوتها السورة مترابطة فيما بينها، وأنها تشكل وحدة عامة للسورة.

ولذا أخطأ البعض حينما رأى أن الشيخ شلتوت يقول بتعدد موضوعات السورة دون وحدتها، وأن ذلك راجع إلى افتقاد النظرة العامة الشمولية للسورة= الذي نص عليه علماؤنا-وربط موضوعات السورة بمحورها العام المكتشف من خلال هذه النظرة الكلية؛ ولذلك يجب الربط بين النصوص بعضها وبعض والنظر إلى السورة-بله وأحكام الإسلام -كلها «نظرة شاملة مستوعبة لا يفصل عقيدة عن شريعة، ولا شريعة عن خلق، ولا خلقا عن فكر، ولا فكرا عن عاطفة، ولا عاطفة عن عمل...» ، وذلك من خلال جو السورة العام.

- ولعل تصريح الشيخ محمود شلتوت بتعدد الموضوعات في السورة الواحدة -وإن أثبت وحدتها بعد ذلك -يدل على إبهامه في ذلك؛ بل إنه لم يوفق أحيانا -في إثبات الوحدة الخاصة بكل سورة ولم يضبطها في إطار خاص ؛بل إنه تركها عامة مميعة، كما كان في تحديد موضوع سورة الأعراف.

وعلى العكس من ذلك، فإنه وفق إلى حد كبير في إبراز الوحدة الموضوعية في باقي السور التي تناولها بالتفسير ، وذلك من خلال أوجه عديدة في الموازنات، ولكن ذلك يستدعي متابعة تفسيره لكل السورة، لا التركيز على جزئية معينة.

-من الحقائق المهمة أيضا الترابط الوثيق بين الوحدة الموضوعية والوحدة المقاصدية ؛أي: بين موضوع السورة وأهدافها؛ فأهداف السورة تحقق موضوعها، ولذا فقد أخطأ من فصل بين أهداف السورة وموضوعها، وباعد بينها، ولذلك أيضا رأينا أن الشيخ محمود شلتوت يعبر ويصطلح بالمقصد والأهداف للدلالة على الموضوع العام أو الموضوعات الجزئية، فهما عنده بمعنى واحد، وكل واحد منهما يخدم الآخر؛ بل إن هنا ما يخدمها أيضا؛ وهو الوحدة الأسلوبية للسورة.

- حدد الشيخ شلتوت ملامح السورة ومعالمها تحديدا تطبيقيا، ركز - من خلالها -- على وجوه المناسبات الداخلية والخارجية للسورة ،كما أشار إلى بعض الملامح الأخرى ؛كموضوعات المكي والمدني، والقصص القرآني، وأسلوب السورة.

ومما يجب التأكيد عليه هنا أن بعض هذه الملامح كانت مما جد بها الشيخ في تحديدها، كالتناسب بين أطراف السورة ووسطها، والتناسب بين مطالع السور والتناسب بينها -السورة- وبين ظروف نزولها، وأنه استطاع -إلى حد كبير- أن يبرز -من خلالها-وحدة السورة العامة، ولذا يمكننا القول أن الشيخ محمود شلتوت أتى بالجديد من هذه الناحية مما لم يأت به غيره.

- وأخيرا وليس آخرا إذا كان الشيخ شلتوت وفق ولكن بصورة غير واضحة وغير جلية إلى إبراز الوحدة الموضوعية للسورة القرآنية، فإنه لم يوفق كثيرا في تحديد ملامحها العامة التي تعرف بها، أو العوامل التي تساعد في ذلك؛ ولذا فإن النظر السليم والشمولي للسورة يستدعي وحدة العوامل، والأخذ بها كلها كخطوات هامة في منهجية البحث في السورة القرآنية،من علوم القرآن ، ومناسبات متعددة، واستحضار البيئة المعنوية لها، ومعرفة أسلوبها، وسياقها الخاص، ونظام آياتها، في إطار نظرة شاملة كاملة ومتكاملة.

نسأل الله تعالى أن يعصمنا الزلل في الرأي والخطأ في العمل ، والحمد لله رب العالمين.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

Traduction en langue

FRANÇAISE

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

L'unité thématique dans la Sourate selon MAHMOUD CHALTOUTE

Au nom d'Allah, le Tout Miséricordieux, le Très Miséricordieux

(Et quant au bienfait de ton Seigneur, proclame-le)

Sourate 93 : adduha (Le jour montant)

Louange à Allah et Salut sur Son envoyé et vénéré mohammad, que le salut de Dieu soit sur lui et sur ses descendants et compagnons.

L'explication et l'interprétation par la méthode thématique va de pair avec les exigences de notre ère, lui procurant remèdes et orientations.

Il existe trois types de l'explication thématique :

1/ Le terme coranique : se penche sur l'étymologie des mots et leurs différentes sortes d'emplois.

2/ Le thème coranique : cherche le sens dispersé un peu partout dans l'ensemble du Saint - CORAN

3/ La sourate : cherche à démontrer l'unité thématique dans la seule sourate. Elle peut être considérée comme le noyau de l'explication thématique.

L'un des leaders de cette méthode reste sans conteste MAHMOUD CHALTOUTE qui a essayé de la démontrer dans sa fameuse explication du texte coranique « ***Tafsir Al-Qur'an Al karim*** »

Notre problématique afflue dans ce sens ; essayer de comprendre voire de cerner ce concept tout en cherchant ses traits caractéristiques selon le précurseur de ce courant en l'occurrence MAHMOUD CHALTOUTE.

On ira même à vérifier s'il a pu la cerner efficacement afin de la démontrer et prouver son existence.

Pour mener efficacement ce projet de recherche, on a envisagé de le traiter sous deux (02) grandes parties, outre l'Introduction et la Conclusion.

L'Introduction englobe les motivations de choix, la problématique de mon thème, son importance et ses objectifs.

Ont été abordées également les difficultés que j'ai rencontrées durant la réalisation du projet.

LA PREMIERE PARTIE (PARTIE I) :

Se subdivise en deux chapitres

Le premier a été consacré à la vie de MAHMOUD CHALTOUTE (biographie) ainsi que son parcours et productions scientifiques.

Le deuxième chapitre traite de l'Unité Thématique sous ces trois aspects : le terme coranique, le thème coranique et la Sourate.

L'étude a donc porté sur la vérification de l'existence d'une telle notion et les facteurs conduisant à son émergence.

La seconde partie (partie II) :

Tout comme la précédente, elle se subdivise en deux (02) chapitres.

En premier chapitre, on a abordé la méthodologie analytique et thématique de Cheikh MAHMOUD CHALTOUTE dans son explication du texte coranique.

Le cheminement de sa pensée prouvant l'existence de l'unité thématique n'a pas été occulté, et ce, depuis son fameux « Tafsir ***Al-Qur'an Al karim*** ».

Le deuxième chapitre traite de l'unité thématique de la sourate, toujours selon son ouvrage cité ci-dessus.

Ce modeste travail est sanctionné par une conclusion qui regroupe les résultats que je citerai ci-après :

Afin de réaliser son explication du SAINT-CORAN (Tafsir ***Al-Qur'an Al karim***), MAHMOUD CHALTOUTE s'est appuyé sur deux méthodes ; l'une analytique, l'autre thématique.

Chacune d'elles se distinguant de l'autre par son vocabulaire spécifique et ses propres bases méthodologiques, ce qui a redonné à son « TAFSIR » un sens encyclopédique avec excellence.

M.CHALTOUT a non seulement posé les jalons de l'explication thématique (wihda maoudouîa) mais l'a davantage expérimentée, en maîtrisant ses deux aspects : le thème et la sourate Coraniques.

En expliquant le texte Coranique, il s'est appuyé sur une méthode particulière appliquant les rapports endogènes et exogènes de la sourate ; relier les différentes parties de la sourate et son noyau, ses thèmes et les raisons de la révélation (asbab at'anzile).

L'unité thématique des sourates est à mettre en relation avec l'unité du thème Coranique qui est un tout indivisible à l'instar du corps humain.

Or, malgré l'intervalle de temps qui sépare les différents faits ou incidents (hawadith), le texte Coranique les réunit dans une ou plusieurs sourates en les organisant d'une façon on ne peut plus logique, réalisant ainsi l'unité thématique.

Ce qui prouve, une fois encore, que chaque sourate, longue ou courte, a un thème unique ou « dénominateur commun » qui relie ses différentes parties.

La préoccupation du cheikh par la recherche de modèles pratiques sur l'unité thématique et les maux de sa société d'alors l'ont empêché de détailler et d'expliquer davantage sa propre vision sur l'unité thématique, ni son historique d'ailleurs.

Par contre, il a pu démontrer que les différentes sortes de la conformité (at'anasùb) entre les différentes parties de (s) sourate (s), l'apport de certaines sciences coraniques (Macqui / Madani) ainsi que le but et le style de la sourate prouvent l'existence de l'unité thématique.

Cela apparaît clairement dans différentes applications vérifiables dans son œuvre majeure « Tafsir *Al-Qur'an Al karim* »

Afin d'atteindre son objectif, en plus des termes communs, MAHMOUD CHALTOUTE s'est procuré un vocabulaire spécifique.

Ex : base ou fondation (assass) / loi (qanùn)

Selon le cheikh, l'ordre des sourates dans le SAINT-CORAN joue un rôle on ne peut plus déterminant dans l'explication et l'interprétation par le biais de l'unité thématique, car il correspond le mieux au profil actuel des croyants. Ce qui ne l'a pas empêché de recourir à l'explication par l'ordre des raisons de la révélation.

Il nous offre donc un modèle original, conjuguant ces deux procédés afin de mieux comprendre et de mieux expliquer le SAINT-CORAN.

Cette nouvelle méthode vient chevaucher celle de Mohammed Izzat Drouza, Mohammed Mahmoud Hidjazi, Abderrahmane Hassan Hanbaka Almaydani, qui, faut-il le rappeler voient en l'explication par l'unité thématique une méthode qui ne doit recourir qu'à l'ordre des causes de la révélation.

MAHMOUD CHALTOUTE s'est basé sur le fait que l'ordre des sourates dans le SAINT-CORAN est un ordre divin, ce qui prouve que les sourates tissent des liens étroits entre elles, réalisant ainsi l'unité thématique de la sourate.

Chaque sourate a un objectif bien déterminé qui travaille son sens et qui réalise son unité thématique ; dans le style, les propos et la fin des sourates.

Or, il se peut que plusieurs sourates aient un thème en commun, ce qui ne touche en aucun cas le principe de l'unité thématique, réalisable à l'intérieur de la sourate elle-même.

Un seul thème peut-être présent dans plusieurs sourates, surtout les récits (ou Al-qassass) mais correspondant au thème général et aux objectifs de la sourate. Tout comme le sujet général de la sourate qui se verra consacrer la plupart des versets et non pas la totalité.

Ce qui a amené le cheikh à rassembler les différents fragments du même récit présents dans plusieurs sourates pour réaliser ce qu'il appelle « l'unité thématique ».

Les différents sujets traités dans une seule sourate contribuent au sens général de celle-ci et permettent de composer son unité générale.

Ce qui prouve une fois encore que MAHMOUD CHALTOUTE voit en l'unité thématique un système allant du lien qui doit être établi entre

les différents sujets traités dans la sourate ainsi que dans l'ensemble du SAINT-CORAN mais aussi avec les lois et régimes de l'Islam.

MAHMOUD CHALTOUTE n'a pas su prouver la présence de plusieurs sujets dans la même sourate, ce qui a entravé son entreprise de démontrer l'unité thématique dans la sourate.

L'exemple le plus saillant est celui de sourate Al-Aaraf.

Par contre, on peut constater d'une façon générale, qu'il a réussi, à un point assez convaincant, à démontrer l'unité thématique des sourates en établissant plusieurs sortes de parallélismes.

Une pensée solide et tangible qu'on peut vérifier en lisant toute l'explication de la sourate.

L'unité thématique noue un lien étroit avec l'objectif de la sourate, et ceux qui la cloisonnaient dans la seule lignée de l'unité des objectifs s'inscrivent dans le faux car les objectifs aident à mieux comprendre le sens.

Il est à noter que le cheikh recourait même à l'unité stylistique de la sourate.

MAHMOUD CHALTOUTE a établi le profil pratique des sourates. un profil qui se focalise sur les liens internes et externes de la sourate tout en indiquant d'autres procédés possibles ; les thèmes du Macqui et du Madani, les récits (*qassass*) coraniques et le style des sourates.

Il est à signaler que ces différents traits ont été soigneusement démontrés par MAHMOUD CHALTOUTE à l'instar de l'homogénéité entre les débuts des sourates et les circonstances des révélations, lui facilitant ainsi la tâche de démontrer l'unité générale de la sourate. Une innovation de sa part.

Bien que MAHMOUD CHALTOUTE a, tant bien que mal, su prouver l'unité thématique de la sourate, on peut dire qu'il ne l'a pas été de même pour ses traits caractéristiques ni les facteurs aidant à la diagnostiquer.

Ce qui nous amène à conclure en disant que pour avoir une vue globale saine et immaculée de la sourate on devrait évoquer et unifier tous les facteurs conduisant à chercher méthodologiquement dans le si délicat projet de la sourate Coranique, à savoir les sciences Coraniques, les différentes causes et circonstances de révélations, le style, l'environnement abstrait et l'organisation des versets dans une perspective générale voire globale.

Je demande humblement à Allah de m'accorder la sincérité dans l'intention et Sa Clémence et d'unir tous les musulmans sous la bannière du prophète Mouhammad afin que nous soyons parmi les gagnants le Jour du Jugement.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

mo
exp
I. (
Qu
II.
III.
Sur
thr
his
and
cen
wh
The
cor
Int
obj
Pa
and
so
Qu
the
fac
Ch
Ch
Th
obj
and
wit
Ch
int
Ch
Ur

Summary in English

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

Abstract

There is no doubt that the method of interpretation is substantive curriculum that meets modern innovations including guidance and Quranic remedies, and has taken substantive explanation in three fields which are:

I. Quranic terminology: that deals with Quranic vocabulary, and tracking their derivation in Quran.

II. Quranic subject: This deals with the unique meaning in the Holy Quran.

III. Quranic Sura: which focuses interpreter through which to detect the unity theme of this Sura, identified as a coherent segments and elements are interlinked interdependence act that the thread scattered; no doubt that the unity issue is the core objective interpretation of the Sura and his heart, has been Sheikh Mahmoud Shaltout of Concerned Scientists this core issue in his time; and in the interpretation of "the interpretation of the Koran," and therefore problematic research centred on the concept of thematic unity and landmarks where Sheikh Mahmoud exclusive? And whether in clarified as a full explanation of it is set in this area, or not?

The nature of this research and privacy, it apportioned to the entrance and the introduction and conclusion and two big chapters.

Introduction: The codified the reasons for selecting the topic and problematic, relevance, and its objectives, and the scientific difficulties encountered during the completion of this research.

Part I: It was to talk about the most important features of the life of Sheikh Mahmoud Shaltout and his scientific also included talk about the theoretical side of the unit objectivity in the Koran; so as to the types of the three substantive explanation: Quranic term, and subject Quran, and the Quranic Sura; and addressed by the input of this research, The study - which - to reveal his real thematic unity and structure in the Koran, and to focus on what is clearly achieved significant factor in achieving this, the first section was divided into two major:

Chapter I: The biography of Sheikh Mahmoud Shaltout, his stature and writings.

Chapter II: thematic unity in the Holy Quran and the topic of the term pale.

The second section was to talk about a year in the exclusive Sheikh explained; analytical and objective, and then talk about the allocation systematize private reunion objectivity in the Koran, and the general features of the statement, and that - of course - through its interpretation is marked with 'interpretation of the Quran Karim '; this section was divided into two chapters is also great:

Chapter I: Sheikh Mahmoud exclusive method of interpretation, and the characteristics of this interpretation.

Chapter II: thematic unity of the Al-Quran at Sheikh Mahmoud Shaltout through interpretation. Under each separate group of detectives, and demands, and the branches are listed in the catalogue

of subjects. Terminated then reached the conclusion that the most important results and recorded in the following points:

- Has been to Sheikh Mahmoud exclusive approach is evident in its interpretation, it has been represented in the two mix them in the interpretation; analytical approach, and substantive approach, and every one of them rules methodology, and many items, indicating that no provision be interpreted in one of these rules methodology; but The scientific interpretation of Islamic encyclopaedia, combining the side of interpretation, jurisprudence and provisions, moral and lesson, and the wisdom of the legislation, and comparisons between different situation and the Islamic religion ... What side of its assets and beliefs.
- Sheikh is also known by the substantive explanation, and was the first to start rooting it, and was aware of the main colours; Quranic theme, which was so evident in his music, and the Quranic Sura, and the interpretation of the best model for that.
- Sheikh Mahmoud Shaltout major milestones in the systematization of interpretation objective, he said, some of them, and had been applied to others in its interpretation; adopted different kinds of proportionality Sura within and outside; where he was part of the emulator and simulators, and the innovation of some of the other faces in the proportionality; like the proportionality between parties Sura and centre, and the subject matter and the reality of the download, and others; which tells us that the Sheikh was rich for the proportionality, as stated himself from that.
- Say substantive unity of the fence due to the unit Koran Assembly; sense: that the Koran is an indivisible whole, the teachings and provisions, which are interlinked with similar organic unity among members of a single body, not separated from other parts segment.

Despite the remoteness of the time lapse between the various incidents, but the Koran collecting them - to Sura from or more - collectively arbitrator, and levels between its arrangement even coherent, substantive problem that unit; It also demonstrates that no matter how long one Sura or failed, whatever the variety themes, it has a special bond and the whole unit due to an objective overview of those issues and connected.

- Unresolved Sheikh Mahmoud Shaltout talk about the thematic unity; because he was busy providing practical models and solutions to the problems of Quranic reality and collectively, and therefore not much separates the definition of thematic unity, and explained, did not refer to the history of the unit; but focused on the kinds of proportionality, and then Some pointed to the role of sciences of Mequi and Medina Quran, Sura context and style in a statement thematic unity, and had impacted on the level applied in the interpretation ..

- Sheikh was known in that particular nomenclature, some agreed; unity and personal and others which printed its personal; stories, laws and others.
- Sheikh Mahmoud emphasizes the importance of exclusive arrangement of holy book in substantive interpretation, and explain that he tried to be more satisfactory and the situation Community believers, and appropriate with the new situation; However, it does not rule out the arrangement downward; but it is often used to analyse the Quranic attitudes, and knowledge of a revelation in the treatment known cases at the stage of the download.
- And so is alert to the importance of mixing and the use of both arrangements in the knowledge of the Quranic positions, or extract theory Quranic addressed to a specific case studied the Koran and analysis, which runs the explainers some who assert independence interpretation substantive arrangement only downward, as was Mohammed Ezzat Darwazeh, Mohamed Mahmoud Hijazi, Abdul Rahman Hassan Hpennekh field and others.
- Was built Sheikh exclusive banner at the arrangement of the holy book, and therefore it is - this arrangement - secrets, and a solid occasions between Sura, are also contributing to hold balances between them, to emphasize the unity Sura dealt lesson, Everyone from God and the ties among them located not happen, and that eased some.
- Of important facts in this area that every Sura limits and goals and objectives revolve around offers to achieve that several meanings, and take all the meaning of what happened commensurate with the objective; and thus achieve a unity with their private word, in context, and in the commas, and end of the verses, and in style, and have access to its special methods.
- Not a disadvantage Sura - then - to participate with other fence in the same subject; It does not mean lack of thematic unity achieved through them, but they - Sura - verification of its own and this is the intended objective of unity of Quranic Sura.
- In this section, the topic if one repeated in several fence - especially in Quranic stories - it is appropriate to every Sura stating part form and substance and approach, and that this demonstrates the integrity of thematic unity and consistency in all the walls; sense that the special theme each Sura is not recall applies where the secrets of literary art, objective guidelines, and rhetorical advocacy; in connection with the broadly detail and brevity, completion, and detail and to recall, has warned Sheikh exclusive to this, and those who are to be used within a compilation Sura addition to the method of detection for up to a complete thematic unity in the Quran on the subject, although Sura contain special unity, and desired goals.
- Also saw that subjects contained Sura are interrelated, and that they alone are generally Sura.

Therefore erred when some believed that Sheikh Shaltout says multiple topics Sura without unity, and that this is due to lack of inclusiveness of the outlook Sura - that is enshrined in our scientists - and linking themes Sura centre general detected through this holistic vision; We must therefore link between some of the texts and some consideration to Sura - worse, and provisions of Islam - all «comprehensive view absorbed not separated from the doctrine of the law, not the law on the creation, and ethics for thought, and thought about passion, and passion for work ...», through the general atmosphere of the Sura.

- Perhaps the statement, Sheikh Mahmoud Shaltout Sura multiple subjects in one - and proved their unity after that - indicates the thumb; but was unsuccessful at times - to demonstrate unity of each Sura did not regulated under special; but left fluidized general, as in the definition of the subject of Al-A'raf.
- On the contrary, it greatly according to highlight thematic unity in the rest of the fence covered interpretation, through the many budgets, but that requires follow-up interpretation of each Sura, the focus on partial certain.
- Of important facts also close interrelationship between the thematic unity and unity design; namely: the theme Sura and objectives; Sura objectives achieved object, and therefore missed the separation between the goals Sura and theme, and separated them. and therefore also our view that Sheikh Mahmoud Shaltout reflects the purpose and goals so to denote on the general topic or topics partial understanding of the true meaning of one, and every one of them serving other; but here also served; a stylistic unity of the Sura.
- Identified Sheikh Sura exclusive features and landmarks application specifically focused - which - on the faces of the internal and external events of the Sura, also pointed out some other features; topics of Makah and Medina, and Quranic stories. and the way Sura. What must be emphasized here is that some of these features, which were the very Sheikh identified, proportionality between parties Sura and centre, and proportionality between the times of the fence and proportionality among them - Sura - and the circumstances descent, and that he was able to - to a large extent - that highlights - which - Unit Sura public, and therefore we can say that Sheikh Mahmoud Shaltout came novelty of this has not come to terms by others.
- Last but not least whether Sheikh exclusive, but as a non-clear and obvious to highlight thematic unity of the Quran, it was unsuccessful in identifying features often known by the public, or factors that help in that; Therefore, the proper consideration of the totalitarian Sura calls for the unity of factors, and the introduction of the all important steps in the methodology of research in the Quranic Sura of the Quran Sciences, and several occasions.

and evoke moral environment, and know the style, and their private sectors, and the system of mandates, in the context of an overall comprehensive and integrated manner.

We ask Allah almighty to maintain us from doing mistakes in the opinion and error at work, and thank Allah the Lord of the Worlds.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية